الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

معهد الحضارة الإسلامية
قسم اللغة والدراسات القرآنية

صيغ المبالغة في عيون البصائر للبشير الإبراهيمي
دراسة لغوية دلالية

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في علوم اللغة

إعداد الطالب :
عبد الله بوربيع

إشراف الأستاذ الدكتور:
عبد الله بوخلخال

السنة الجامعية: 1997-1998م

الموافق لـ: 1418-1419هـ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

رب اشرح لي صدري (25)
ويسر لي أمري (26)
واحلل عقدة من لساني (27)
يفقهوا قولي (28)

(سورة طه)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهـــــداء

إلـى

روح والـدي...
وإلـى أمـي.....
اللذيـن تعبا كثيـرا مـن أجلـي
أثنـاء انكبابـي علـى الـعلم والـدرس
إلـى زوجتـي...
التي حاولت جاهدة تهيئة الظروف
المناسبـة للبحـث والـدراسة
إلـى أبنائـي :
زكرياء ومحمد الأمين وزين الـدين وأسماء
إلى كل الأصدقاء والأهل ومحبي العلم والمعرفة
إلى بلادي العزيزة : الجزائر ...
إلى هؤلاء جميعا
أهدي هذا العمل العلمي

عبد الله بوربيع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمـــــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة: يعالج هذا البحث صيغ المبالغة في عيون البصائر للأديب الجزائري **الشيخ الإبراهيمي**.

فمن هو **الإبراهيمي** ؟.

مولده ونشأته:

ولد " البشير الإبراهيمي" بأولاد **براهم برأس الواد**، بولاية **سطيف** في الشرق الجزائري عام **1889**م ولم تكن أسرته على جانب من الثراء والجاه، ولكنها كانت معروفة بالعلم والدين.

نشأ **البشير الإبراهيمي** في بيت والده الذي اهتم بتربية وتعليمه، فدفعه إلى أحد شيوخ قريته ليعلمه القرآن الكريم، ولما بلغ سن التاسعة أتم حفظ القرآن الكريم كله، وبعد ذلك تولى تربيته وتثقيفه عمه "**محمد المكي**" الذي كان معروفا بالعلم والتقوى، وكان **البشير** شغوفا به محبا له فلازمه وتأثر به. وعندما بلغ الطفل **الرابعة عشرة** من عمره فاجأه القدر بوفاة عمه ثم تولى هو مهمة تعليم تلاميذ عمه حتى هجرته إلى **المدينة المنورة**.

هجرته إلى المدينة المنورة:

وقد لحق **محمد البشير** عام **1912** م بأسرته التي سبقته إلى الهجرة إلى **المدينة المنورة** عام **1908** م، فمرّ بمصر، وأقام فيها **ثلاثة** أشهر تعرف خلالها على بعض الجوانب الحضارية والفكرية في تلك البلاد والتقى ببعض علمائها وأدبائها وشعرائها من أمثال " **الشيخ سليم البشري، والشيخ محمد بخيت، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم** " وغيرهم. وعندما استقر في **المدينة المنورة** درس **البشير** " **صحيح مسلم**"، و " **موطأ الإمام مالك**"، وتتلمذ على كبار العلماء في **المدينة المنورة** في ذلك الوقت من أمثال : " **الشيخ أحمد الفيض آباد الهندي، والشيخ الوزير التونسي، والشيخ حمدان الونيسي القسنطيني، والشيخ محمود الشنقيطي** ".

وتردد **البشير** على المكتبات الموجودة في **المدينة المنورة**، وحفظ من علومها، واطلع على بعض مخطوطاتها النادرة.

وفي أثناء إقامته **بالمدينة المنورة** التقى بصديقه الشيخ " **ابن باديس**" الذي وفد إليها قاصدا الحج عام **1913**م، وتوثقت الصلة بينهما. ويؤكد **البشير** أن هذه الفترة التي قضاها مع صاحبه **ابن باديس** في **المدينة المنورة** من عام **1913** م هي التي شهدت مولد تأسيس **جمعية العلماء المسلمين بالجزائر** وإن كان ظهورها قد تأخر إلى عام **1931**م. وعند هجرته إلى **الشام** ونزوله **بدمشق** لأسباب سياسية اختير أستاذا للمدرسة السلطانية وهي المدرسة الثانوية الوحيدة في ذلك الوقت.

وبعدها قرر العودة إلى **الجزائر** عام **1920** ليأخذ مكانه في صفوف الجهاد في سبيل نشر العلم وبعث الأمة الجزائرية ويعمل جنبا إلى جنب مع صديقة **ابن باديس**. وأخذ **البشير** دوره في الجهاد التعليمي، فكان يعلم التلاميذ في بلدته. ويلقي بعض الدروس في المساجد ليفقه الكبار، وفي الوقت نفسه كان يمارس التجارة، وبين الحين والآخر يلتقي بصديقه " **ابن باديس**" فينظمان الجهود ويمارسان الخطط ويواصلان الكفاح، وفي عام **1931** تأسست **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** وكان **للبشير** فضل كبير في تأسيسها، وهو الذي وضع دستورها.

وعندما ضاقت به وبأمثاله **فرنسا** زجت به في السجن بقرية" **أفلوا** " على مقربة من مدينة " **تيارت** " وفي هذا المنفي قضى **البشير** أيامه ثقيلة بالهموم، فقد تلقى خبر وفاة صديقه **ابن باديس** بعد أيام قليلة من النفي وتحمل مسؤولية رئاسة **جمعية العلماء المسلمين**، فأخذ يديرها عن طريق المراسلة خلال مدة الحرب.

أما في مجال التعليم فقد ضرب فيه **الشيخ البشير** بسهم وافر وقام بعدة إصلاحات هامة في هذا الميدان أهمها.

1- توحيد التعليم بقيادة لجنة عليا أشرف بنفسه عليها.
2- تأسيس **معهد** ابن باديس في **قسنطينة** عام **1947** للتعليم الثانوي.
3- وضع برنامج تعليمي موحد وتنظيم **التفتيش**.
4- تنظيم إطارات المدرسين ووضعهم في أربعة إطارات رئيسية.

وعندما أحست **جمعية العلماء** بثبات كيانها داخل الأرض الجزائرية، فأرادت أن توثق علاقاتها بالبلاد العربية، فكلفت **البشير** أن يقوم بالاتصال بهذه الدول ويطلب معونتها المادية والمعنوية وينسق معها تنظيما للبعثات الجزائرية في تلك البلاد فاتخذ **الشيخ البشير** من **القاهرة** عام **1952** منطلقا لنشاطه في مختلف بلدان المشرق العربي، وأخذ يستقبل نفوذ الطلاب الدارسين من **الجزائر** ويرسل بهم إلى "**الأزهر**" والجامعات المصرية، وجامعات **بغداد والشام** وغيرها، ويرفع مطالب الشعب الجزائري في كل مكان وينادي بحرية الجزائر في كل المجالات العربية والإسلامية والدولية ! وظل في **مصر** حتى حقق الله **للجزائر** استقلالها عام **1962**م.

وفاته:

وقد أثر على صحته طول الجهاد والكفاح والصعاب التي قاساها في حياته، وبدا عليه ذلك عندما تقدم به السن، ففارق الحياة وعمره **ستة وسبعون عاما**، وكان ذلك في **الواحد والعشرين من شهر ماي عام خمسة وستين وتسعمائة وألف**، وشيعت جنازته في موكب شعبي عظيم.

الدراسات السابقة لآثار البشير الإبراهيمي:

التفت في العقود الأخيرة من القرن العشرين نخبة من الشباب الجزائري الواعي بقضايا بلده التي أهملت ردحا من الزمن إلى تراث أمته ينبش فيه وينقب عن كنوزه التي لا تنفذ، ومن جملة هذه الكنوز العلمية والفكرية آثار **البشير الإبراهيمي** التي تستحق لأكثر من وقفات ووقفات. ونذكر من بين الرجال الذين عرضوا لهذه الآثار القيمة بالدراسة والبحث والتحليل الدكتور **أسعد السحمراني** في كتابه : " **الاستبداد والاستعمار وطرق مواجهتهما عند الكواكبي والإبراهيمي**" ، وفي رسالة جامعية بعنوان : " **البشير الإبراهيمي أديبا للشاب عباس محمد**" مقدمة إلى كلية الآداب **بجامعة بغداد**، ورسالة جامعية أخرى[1]

---

[1]- البشير الإبراهيمي أديبا، لمحمد عباس، دار الفجر وهران، ص: 31-64. مجلة الثقافة، إصدار وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر، السنة الخامسة عشرة، العدد 87/ شعبان/ رمضان 1405 هـ/ مايو/ يونيو 1985م/ ص: 95، 161، 375، 413.

بعنوان: " **نثر الشيخ البشير الإبراهيمي في الفترة من 1929 إلى 1939 للشاب الرجل محمد العيد تاورتة** " التي تقدم بها إلى معهد الآداب والثقافة العربية **بجامعة قسنطينة** سنة **1980** للحصول على درجة الماجستير في الأدب العربي الحديث.

وبحثنا هذا يندرج ضمن هذه المحاولات الشبانية الرجالية المعاصرة الجادة التي تسعى جاهدة لإحياء التراث الثقافي الأدبي الجزائري الأصيل.

وهي عبارة عن دراسة لغوية دلالية تنطق من الجانب النظري ثم تدعمه بالجانب التطبيقي التحليلي للنصوص المستخرجة من المصنف الآنف الذكر. والمبالغة في التعبير أسلوب من أساليب اللغة العربية تؤيده استعمالات أهل العربية، وشواهد الشعر والنثر منذ العصر الجاهلي، وكذا الشواهد والأمثلة العديدة التي يزخر بها **القرآن الكريم والحديث الشريف**.

التعريف به : أما أسلوب المبالغة الذي نعنيه– بالضبط هنا– فهو الذي جاء في صيغ معينة محددة من قبل علماء العربية، وأهل التصريف نحو : **فعال، فعول، مفعال، فعيل، وفعل**. وهناك من أضاف إليها صيغا أخرى إلى أن بلغ بها **اثنتي عشرة صيغة**.

أما من حيث قياسها وعدمها جعلوا منها ما هو قياسي ومنها ما هو سماعي، وبعضهم يرى أنها جميعا سماعية ولا يوافق على انقياس واحدة منها.

ويكثر استخدام هذه الصيغ – في الغالب – للدلالة على المبالغة في المعنى والوصف، وتوكيدهما أو شدتهما.

وأما الدافع إلى اختيار البحث في هذا الموضوع بالذات فهو باعث معرفي بالدرجة الأولى للاشتقاق والمشتقات وأحكامها النحوية، ووظيفتها في المعنى، ودلالتها الزمنية، وشبهها في ذلك بالأفعال التي تشتق منها دلالة وإعرابا. هذا على وجه العموم، وأبنية المبالغة – على وجه الخصوص – وهي نوع من أنواع هذه المشتقات كاسم الفاعل، والمفعول، والصفة المشبهة، وأفعل التفضيل وغيرها. يبدأ أن هذه الأبنية لم تنل حظها من الدرس والبحث والتحليل مثلما نالته سائر المشتقات الأخرى. لذلك فضلنا أن ينصب بحثنا على هذا الموضوع ذي الأهمية العلمية، والذي رأينا أنه بحاجة ماسة إلى تسليط كثير من الأضواء على مختلف جوانبه، لنجيب بذلك عن العديد من أسئلة، واستفسارات القراء والباحثين، ومحبي هذا العلم.

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى سبب اختيارنا لمدونة : **عيون البصائر**، وإجراء هذه الدراسة التطبيقية على نصوصها التي تتكون من **مائة وثمانية وأربعين** موضوعا في السياسة والاجتماع والتربية والتعليم والدين، وكذا تناولها لبعض الشخصيات العربية والإسلامية التي فرضت وجودها – سواء– على المستوى المحلي أو مستوى العالم الإسلامي والدولي في ميدان التربية، والإصلاح الاجتماعي، ونشر الفكر النير والعلم الصحيح.[2]

---

[2] دلائل الإعجاز لعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية/ وحدة الرغاية– الجزائر 1991/ ص: 3–4.

وإن من بين السمات التي لفتت انتباهنا في هذه المدونة هو ما تمتاز به من قيمة أدبية، وعلمية وفكرية راقية.

فالقيمة الأدبية تتمثل في ذلك المستوى الأدبي الرفيع الذي ارتقى إليه أسلوب نصوصها : فصاحة وبلاغة، وقدرة فائقة على التعبير والإفصاح عما يجول بخاطر صاحبها من أفكار، ومعان، وانفعالات وأحاسيس، وتبليغها إلى المخاطب في سهولة ويسر، وبذلك حقق الكاتب ذلك الهدف الذي يبتغى من الكلام والبلاغة فيه : " إنما وضع الكلام لإفادة المعاني، والبلاغة فيه هي أن تبلغ به ما تريد من نفس المخاطب من إقناع وترغيب وترهيب وتشويق أو تعجيب أو إدخال سرور أو حزن أو غير ذلك ...).

وأما قيمتها العلمية فتظهر في تقيد صاحب المدونة بجميع أصول وأحكام وقواعد العربية مما استنبطه أهل النحو والتصريف والبيان من لغة العرب وكلامهم الصحيح المصفى الموثق.

وأما القيمة الفكرية فتبدو في تلك المنافحات والردود التي أفحم بها الاستعمار الفرنسي الذي كان يعمل جاهدا على تدويخ الأمة الجزائرية عن طريق التلاعب بالأفكار ومخادعتها باستخدام منطق قلب الحقائق في نظرها، ليجعلها تطمئن إلى تلك الدعايات الكاذبة المسمومة التي يريد لها الترويج داخل كيان المجتمع الجزائري، ليسهل عليه اصطياده.

ومن جانب آخر أننا سنركز ملاحظتنا حول أي صيغة من صيغ المبالغة التي استخدمها الكاتب أكثر من غيرها.

ومن حيث الفعل اللازم والمتعدي، والثلاثي والرباعي، وماذا يمكن أن نستنتج من هذه الدراسة الإفرادية التركيبية لصيغ المبالغة في هذا البحث، وهل هناك نظرية أو صيغة عامة تجمع شتات هذه النصوص النثرية المتناثرة هنا وهناك في مدونة عيون البصائر؟ أم هي نثر لمتناثر وشذوذ في شذوذ لا تربطها أية علاقة ببعضها؟.

وهل للغة وأسلوب النثر علاقة بهذه النظرية العامة ؟ وهل للفترة التي قبلت فيها هذه النصوص النثرية المتضمنة لأبنية المبالغة أثر في ذلك ؟.

والأمر نفسه بالنسبة للبيئة المحيطة بهذه النصوص، وكذا شخصية الكاتب في نضالها المرير ضد الاستعمار الفرنسي الغاشم وأعوانه وعملائه ؟.

مما لا ريب فيه أن لكل ذلك أثرا في أسلوب الكاتب ومفرداته وتراكيبه على الرغم من النسيج العام الكلي الذي تنتظم فيه هذه المفردات والتراكيب التي تخضع في نهاية المطاف لنظام لغوي معين، يهدف لخدمة المعاني والأفكار والانفعالات التي يسعى الكاتب جاهدا لتبليغها إلى الرأي العام الجزائري - خاصة- والرأي العام- عامة- إبان الحقبة الاستعمارية المظلمة في تاريخ وحياة الأمة الجزائرية.

وأما منهج البحث فهو إحصائي ووصفي وتحليلي، هو منهج إحصائي لأنه يتعقب الصيغ والمفردات ويرتبها، ويصنفها تبعا لهيئاتها وصورتها التي وردت فيها ثم يضعها ضمن جدول بياني خاص بكل فئة ليصل في آخر الأمر إلى الكم الذي تمثله كل فئة على حدة.

وهو منهج وصفي تحليلي لأنه يركز على الشرح، والتعليل، والاستدلال، والتحليل، والتفسير والاستنتاج لكل مفردة وصيغة ضمن سياق التعبير المركب المعقد المتشابك الذي وردت فيه، وبناء على ما

سبق من التعريف والتوضيح نرى من الأفيد أن نقسم هذا البحث إلى أربعة فصول، وخاتمة حسب التفصيل الآتي :

الفصل الأول:

المبحث الأول: حظ صيغ المبالغة من الدرس النحوي واللغوي.

المبحث الثاني: صيغ المبالغة بين القياس والسماع

المبحث الثالث: اشتقاق أبنية المبالغة والقول بتعدد صيغها وأوزانها.

المبحث الرابع: تداخل صيغ المبالغة بغيرها من المشتقات في السياق الاستعمالي والأوزان.

الفصل الثاني: مرحلة الاستقراء والإحصاء لصيغ المبالغة القياسي منها والسماعي في عيون البصائر.

الفصل الثالث: مرحلة التحليل اللغوي لهذه الصيغ.

الفصل الرابع: دراسة تحليلية إفرادية وتركيبية لأبنية المبالغة الواردة في عيون البصائر .

المبحث الأول: صيغة فعال.

المبحث الثاني: صيغة فعول.

المبحث الثالث: صيغة مفعال.

المبحث الرابع: صيغة فعيل.

المبحث الخامس: صيغة فعل.

المبحث السادس: صيغ سماعية أخرى.

الدراسة: ترتكز على الجانب النظري أولا، وتحليل النصوص ثانيا .

الخاتمة:

الفهارس:

1-**فهرس الآيات القرآنية.**

2-**فهرس الأشعار.**

3-**فهرس مصادر البحث ومراجعه.**

4-**فهرس موضوعات البحث.**

وفيما يتعلق بالصعوبات التي واجهتنا خلال القيام بهذا البحث، فهي عديدة تقتصر في حديثنا على أهمها، وهي افتقارنا لذلك المناخ العلمي الواجب توفره في محيطنا، ذلك الجو الذي به وحده يمكن أن نثري المسائل والقضايا اللغوية العديدة بالنقاش، والبحث، والمحاورة، وتصويب الأخطاء، واقتراح البديل، وتصحيح مناهج البحث في العلوم اللغوية سواء في مجلات دورية أو في الصحف والجرائد اليومية التي وجدناها جميعا تخلو من أي حديث عن هذه المسائل والموضوعات اللغوية، الأمر الذي يجعل الباحث يتخبط في تيه عماء بسبب ما يسود من الركود العلمي والثقافي إلى أن يبلغ به اليأس - أحيانا- غايته فيكاد ينفر من طلب العلم، والبحث فيه، ويهجره كلية ليترك الفرصة للجهل يعشش، وينمو، وينتشر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يضاف إلى ذلك تقصير الهيئات والمؤسسات الثقافية، والعلمية في هذا المجال، وكذلك وسائل الإعلام المرئية والسمعية التي لا تولي لعلوم اللغة العربية أدنى اهتمام، ناهيك عن الموضوعات الشائكة فيها لا بالمحاضرات، ولا بالمناظرات، ولا بالندوات، ولا بالملتقيات التي يمكن أن تعقد بين رجال العلم وأهل التخصص لإثارة المسائل اللغوية، والمشكلات التي تعترض طريق انتشار العربية كتبسيط طرق تلقينها وإعادة النظر في مناهج تدريسها، ومراجعة مناهج التأليف فيها، وأساليب عرض قواعدها وأحكامها وقوانينها والاقتصار على الأهم منها بما يكفل الإقبال عليها، وحبها بدل النفور منها وكراهيتها.

وعلى الرغم من هذه العراقيل والعوائق التي صادفتنا أثناء إنجاز عملنا هذا المتواضع، فإننا استطعنا أخيرا بشيء من الصبر، والكثير من الإرادة والتحدي- التغلب على كل تلك الصعوبات والمشاق بفضل الله تعالى، وبفضل كل الذين لم يدخروا جهدا في تقديم العون إلينا - من قريب أو بعيد- وأخص بالذكر أستاذي وأخي وصديقي الكريم المتواضع ذا الصدر الرحب الدكتور المشرف على البحث **عبد الله بوخلخال** الذي وهبني من وقته الذي لا يقدر بثمن - على الرغم من إنشغالاته الكثيرة بحكم أستاذيته في الجامعة، والإشراف على النشاط العلمي، وقيامه بالإشراف والتوجيه على العشرات من الطلبة الذين يحضرون بحوثا وشهادات عليا وغيرها من النشاطات الأخرى ليس هنا مقام سردها. لذلك كله فإنني أتقدم بشكري القلبي الخالص لأستاذي البار مقدرا له كل ذلك الجهد الجهيد، وتلك التضحية النبيلة متمنيا له حياة ملؤها الصحة، والسعادة والرفاهية، والتوفيق.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لكل أصدقائي ورفاقي في المهنة من أساتذة جامعيين، وثانويين وغير هؤلاء وهؤلاء ممن لم يردونا خائبين كلما طلبنا منهم يد العون بالمساهمة في تقديم خدمة صغيرة أو كبيرة.

ومن أجل ذلك كله أحب مرة أخرى أن أجدد شكري الخالص لهؤلاء جميعا راجيا من الله العلي القدير أن يغمرهم بعنايته ورعايته وحفظه، وأن يوفقهم - دوما إلى خدمة العلم والمعرفة لتخرج بهم الأمة العربية والإسلامية من غياهب الظلمات إلى النور الذي به تثلج الصدور، وتطمئن القلوب، وتتنور العقول وترتاح النفوس، وتهدأ الضمائر.

والله الموفق وبه نستعين في كل حين والسلام.

الحروش في 01 جوان 1997.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصـــــل الأول

صيغ المبالغة في المنظور التقعيدي

ويشتمل على أربعة مباحث:

1-1-المبحث الأول: حظ صيغ المبالغة من الدرس النحوي واللغوي

1-2-المبحث الثاني: صيغ المبالغة بين القياس والسماع

1-3-المبحث الثالث: اشتقاق أبنية المبالغة والقول بتعدد صيغها وأوزانها.

1-4-المبحث الرابع: تداخل صيغ المبالغة بغيرها من المشتقات في السياق الاستعمالي والأوزان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

1-1- حظ صيغ المبالغة من الدرس النحوي واللغوي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-1 حظ صيغ المبالغة من الدرس النحوي واللغوي:

إذا عدنا إلى الكتب والمراجع التراثية، وأمعنا النظر من حيث تناولها لصيغ المبالغة- خصوصا- وأجرينا نوعا من المقارنة بينها وبين مثيلاتها من أنواع المشتقات كاسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضيل وغيرها وجدنا أن علماء اللغة والنحو يكادون يهملون التحدث عن الصيغة الأولى وإذا تحدثوا عنها فهم يتناولونها -غالبا- ضمن اسم الفاعل باعتبار أن هذه الصيغة الأخيرة هي التي تحول للمبالغة والتكثير إلى : فعال، أو فعول، مفعال...الخ، لارتباطها ببعضها من هذا الجانب فحسب. وإذا أردنا ترتيب الأشياء كما وردت عنهم يمكننا القول بشيء من الجزم أن علماء اللغة العربية انصب اهتمامهم بالدرجة الأولى على علم النحو، ثم أتى اهتمامهم بعد ذلك بعلم الصرف في الدرجة الثانية، ويليهما في المرتبة الثالثة والأخيرة علم الاشتقاق.

وكان الأجدر أن يبدأ في الدراسات اللغوية بأصول الكلمة مفردة من حيث مادتها التي تتألف منها وما يتفرع عن هذا الأصل من صيغ وكلمات، وما يطرأ لها من تقلبات وتبدلات، وموازنتها بما يشبهها وما يشتبه معها في هذه الأصول مع التوجه بالتركيز، والاستقراء والتقصي لمخارج الأصوات، والحروف والمقاطع التي تتركب منها الكلمة مفردة. ولو نهج علماؤنا القدماء هذا النهج لوصلوا إلى اكتشاف العلوم اللغوية اللسانية العصرية التي تولي اهتماما كبيرا إلى عناصر الصوت، والحرف، والمقطع الذي تتركب منه الكلمة؛ ووصلوا كذلك إلى التطور التاريخي، والتغيير اللذين يلحق عناصر الكلمة، وموادها عبر الزمان والمكان، وأثر ذلك على اللغة إيجابا وسلبا، ثم بعد ذلك كله يأتي الدرس النحوي متينا، قويا، محصنا مختصرا سهلا، قريبا إلى الاستيعاب، والفهم الشامل المنطقي المعقول ويمكننا الآن أن ننتقل من المجال النظري إلى الكلام المؤيد بالاستدلال الصحيح القوي مبتدئين بسيبويه الذي يقول :"وأجروا اسم الفاعل إذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر مجراه إذا كان على بناء فاعل، لأنه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل إلا أنه يريد أن يحدث عن المبالغة فما هو الأصل الذي عليه أكثر هذا المعنى: فعول، وفعال، ومفعال، وفعل. وقد جاء : فعيل كرحيم وعليم وقدير وسميع وبصير، يجوز فيهن ما جاز في فاعل من التقديم والتأخير والإظهار والإضمار "[1].

نفهم من هذه الفقرة من كتاب سيبويه أن الصيغ القياسية لأمثلة المبالغة -وهي التي عبر عنها هنا- بـ " الأصل الذي عليه أكثر هذا المعنى" : خمسة هي فعول، وفعال، ومفعال، وفعل، وفعيل لا غير.

ثم انتقل مباشرة إلى ذكر الأحكام النحوية التي تحكمها، وهي الأحكام نفسها التي تخضع لها صيغة اسم " الفاعل- من التقديم والتأخير والإضمار والإظهار.

وقد كان كل ذلك ضمن باب سماه " هذا باب ما جرى في الاستفهام من أسماء الفاعلين والمفعولين مجرى الفعل كما يجري في غيره مجرى الفعل ".[2]

---

[1] الكتاب/ عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه/ تحقيق وشرح عبد السلام هارون/ مكتبة الخانجي القاهرة ط3/ 1988: ج1، ص:110.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص: 108.

إضافة إلى أن هذا الجزء من الكتاب يتناول في معظمه قضايا نحوية محضة لا تمنعه أحيانا من ملامسة بعض المسائل الصرفية والاشتقاقية لمسا يسيرا خفيفا، وكانت المنهجية والعمل المنظم يقتضيان من المؤلف التحدث عن الجانب الصرفي والاشتقاقي للصيغة بشيء من التفصيل، والدقة والوضوح ثم يتبع ذلك بتبيان لأوجه التشابه والافتراق من الوجه التصريفية والاشتقاقية بين صيغ المبالغة وأنواع المشتقات التي تلتقي معها في بعض أوصافها وسماتها المميزة لها كاسم الفاعل، والصفة، المشبهة، واسم المكان والزمان، واسم الآلة، والنسب، وغيرها.

ثم يأتي الحديث عن الأحكام النحوية، وأوجه التشابه فيها، والافتراق، وأسبابها في قسم خاص مستقل في الكتاب لتكون معرفتنا للأشياء قائمة على أساس منهجي، ومنطقي بعيدة عن كل لبس وإبهام أو عسر في الفهم والاستنباط.

ويجدر بنا أن ننبه إلى أن سيبويه قد خصص الجزء الرابع من الكتاب للمسائل الصرفية، وقد تصفحنا هذا الكتاب مرارا وتكرارا، وتقصينا موضوعاته موضوعا موضوعا لعلنا نجد حديثا يروي الظمأ عن الاشتقاق، وأنواعه، وأقسامه في طيات هذه الموضوعات الصرفية لكن عملنا هذا كان بدون جدوى في هذا الشأن.

أما الشواهد الشعرية التي أستأنس بها سيبويه من كلام العرب لصيغ المبالغة الخمسة القياسية عنده فهي للأحكام النحوية فحسب، وليست للحديث عن الصيغ الصرفية.

وما يهمنا هنا بالدرجة الأولى هي الصيغ الصرفية التي ذكرها في بداية حديثه عن أمثلة المبالغة التي أجريت مجرى اسم الفاعل. وأول صيغة هي: " فعول " واستدل لها بقول الشاعر ذي الرمة:

هجوم عليها نفسه غير أنه * متى يرم في عينيه بالشبح ينهض

وقول أبي ذؤيب الهذلي:

قلى دينه واهتاج للشوق إنها * على الشوق إخوان العزاء هيوج[3].

ففي البيت الأول: هجوم على وزن " فعول " ،وفي البيت الثاني: هيوج على وزن " فعول ".

والجدير بالذكر أن المؤلف قد أورد هذين البيتين في معرض الحديث عن عمل صيغة "فعول" مؤخرة ومقدمة لا ناحية الصرفية، ولا الاشتقاقية ؟.

والصيغة الثانية هي : " فعال" واستدل لها بقول القلاخ:

أخا الحرب لباسا إليها جلالها ** وليس بولاج الخوالف أعقلا.

فإنه قد أعمل "لباسا" وهو صيغة من صيغ المبالغة - لاعتماده على موصوف مذكور في الكلام : وهو قوله :"أخا الحرب" . وكذلك في قوله : " أما العسل فأنا شراب ". فقد نصب مفعولا به مقدما وهو "أما العسل"، لذلك فإن هذه الصيغة تعمل كذلك في التقديم والتأخير أي عندما يكون معمولها مؤخرا أو مقدما[4].

---

[3] - المصدر السابق ج1، ص: 110-111.

[4] أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك / ابن هاشم الأنصاري/ المكتبة العصرية صيدا - بيروت ج 3، ص 220.

والصيغة الثالثة هي : "فعل" وليس في كثرة ذلك أي أنها أقل من صاحباتها من حيث الكثرة قال هو وعمر بن أحمر [5]:

أو مسحل شنج عضادة سمحج ** بسراته ندب لها وكلوم.

أو مسحل شنج " مبالغة شانج، أي ملازم، والمسحل : الحمار الوحشي وسحيله : نهاقه كأنه سحل المبرد. والعضادة : الجانب، أو معناه إلى جانب عضدها. والسمحج : الأتان الطويلة الظهر، والسراة : أعلى الظهر. والكلوم : الجراح جمع كلم.

والصيغة الرابعة هي : "مفعال" ومن كلامهم : " إنه لمنحار " بوائكها" . وناقة بائكة : سمينة خيار فتية حسنة.

والصيغة الخامسة هي : "فعيل" كرحيم وعليم وقدير وسميع وبصير، وأجروه حين بنوه للجمع كما أجري في الواحد ليكون كفواعل حين أجري مثل فاعل كقول الشاعر زيد الخيل، – وهو الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم زيد الخير :

أتاني أنهم مزقون عرضي ** جحاش الكرملين لها فديد.

مزقون جمع مزق– بفتح فكسر– وهو صيغة المبالغة لمازق الذي هو اسم فاعل من المزق، وأصله شق الثوب ونحوه، ويستعمل في مزق العرض على المجاز.

وجحاش جمع جحش، وهو ولد الأتان، وهي أنثى الحمار.

والكرملين : تثنية كرمل – برنة زبرج وهو ماء بجبل من جبلي طيء. والفديد : الصوت.

قوله : "مزقون عرضي" واسم المبالغة هنا معتمد على مخبر عندهم وهو اسم إن [6].

والقاعدة العامة الشاملة لهذا الأمرهي أن تثنية اسم الفاعل وجمعه وتثنية أمثلة المبالغة، وجمعها كمفردهن في العمل والشروط [7]

قال الله تعالى :" والذاكرين الله كثيرا" [8] وقال تعالى :" هل هن كاشفات ضره" [9]، وقال تعالى : "خشعا" أبصارهم" [10]، وقال عنترة بن شدادا من معلقته المشهورة :

الشاتمي عرضي ولم أشتمهما ** والناذرين – إذا لم ألقهما – دمي. [11]

---

[5] البيت للبيد في ديوانه ص: 125 من قصيدة طويلة.

[6] الكتاب ج1 : ص : 112.

[7] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك/ بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري/ دار التراث القاهرة ط 20/ 1980 ج3، ص:115، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ج3، ص: 225.

(8)سورة الأحزاب الآية : 35.

فضلت استعمال السور القرآنية وأرقام الآيات في الهامش بدلا من كتابتها داخل النص حتى نتجنب كثرة الأقواس والأرقام داخل النص، فيضيق القارئ بذلك وينشود النص ويقع التفكك في الأفكار وتهرب من ذهن القارئ أثناء القراءة للنص .....الخ.

[9] سورة الزمر الآية : 38.

[10] سورة القمر الآية :7.

[11] أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ج3، ص : 225، شرح ابن عقيل ج3، ص: 117.

وقال طرفة بن العبد البكري :

ثم زادوا أنهم في قومهـــــم ** غفر ذنبهم غير فخر.

في بيت عنترة قوله : " والناذرين دمي" حيث أعمل مثنى اسم الفاعل - وهـو قـــــوله "النـاذرين" وهذا المثنى مقترن بأل فلا حاجة به إلى الاعتماد على شيء مما ذكرته المصنفات النحوية القديمة والحديثـــة وأوضحته في شرح الشواهد عند المناسبة.

وفي بيت طرفة بن العبد قوله : غفر ذنبهم" حيث أعمل جمع صيغة المبالغة وهو قوله " غفر" فإنـــه جمع غفور، وغفور مبالغة غافر؛ وقد أعمل هذا الجمع إعمال مفرده، وبالتالي إعمال الفعل واســـم الفـاعل فنصب به المفعول وهو قوله : " ذنبهم" وصيغة المبالغة هنا معتمدة على مخبر عنه مذكور وهو اسم إن.

أما قوله تعالى : " خشعا أبصارهم" حيث أعمل جمع خاشع وهو اسم فاعل للمفرد، وجـمع خشـــاع هذا مبالغة اسم الفاعل للمفرد، وقد أعمل هذا الجمع في الآية الكريمة السالفة الذكر إعمال مفرده -وبالتـــالي- إعمال الفعل واسم الفاعل،فرفع به الفاعل وهو قوله : " أبصارهم ".

ومن أجل ذلك كله يقرر أهل اللغة والتصريف والنحويون جميعا أنه لا فرق بين أن يكون الجمع جمع مذكر سالما أو جمع مؤنث سالما وأن يكون جمع تكسير، فمن جمع اسم الفاعل جمع التكسير قول أبي كبـــير الهذلي :

ممن حملن به وهن عواقـــــد ** حبك النطاق فشب غير مهبـــــل [12].

وإذا كان هذا شأن إمام النحويين في طريقة تناوله للمسائل الصرفية والنحوية والاشتقاقية، وهو تناول -كما ترى - متداخل بعيدا عن أي منهجية هدفها التبويب، والتصنيـــف، والفـــرز، والتنظيـسم للموضوعـــات والأبواب والمسائل المتشابهة، فماذا ننتظر من غيره ؟ وقد رأينا كثيرا من أهل النحو والتصريـــف يحـدون حدوه وينهجون نهجه في تصنيف مؤلفاتهم اللغوية والنحوية والصرفية، ويقدمون موضوعات، ومسائل علـــم النحو على مسائل علم التصريف، ويطنبون في الأولى، ويوجزون في الثانية حتـــى يخال للقارئ والـدارس أن علم النحو هو الجوهر والأصل؛ وعلم التصريف، والاشتقاق علوم فرعية يمكن الاستغناء عنها.

لكن الحقيقة على خلاف ما ذهب إليه هؤلاء جميعا، وقد تنبه إلى ذلك بعض الـعلماء الـــــمتقدمين من أمثال ابن عصفور الإشبيلي الذي رأيناه يعترف بمنزلة علم التصريف حيث يقول :" ... ومما يبين شـــرفه أيضا - أي شرف علم التصريف- أنه لا يوصل إلى معرف الاشتقاق إلا به ... إلا أن يقـــرر فـــي النهايـــة وبصراحة: ...وقد كان ينبغي أن يقدم علم التصريف على غيره، من علوم العربية، إذ هو معرفة ذوات الكلم، وفي أنفسها، من غير تركيب. ومعرفة الشيء في نفسه، قبل أن يتركب، ينبغي أن يكون مقدمة على معرفـــة أحواله التي تكون له بعد التركيب "[13]

---

[12] المصدر السابق ج3، ص : 225، 227، 228، شرح ابن عقيل ج 3، ص : 117.

[13] الممتع في التصريف لابن عصفور الإشبيلي/ تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة/الدار العربية للكتاب طرابلس/الجماهرية العربية الليبية/ط5/1983 ج1:ص:28،30،31.

ويفهم من عبارة ابن عصفور إذا أردنا ترتيب هذه العلوم العربية حسب أهميتها ودرجة الأولوية فيها أن يحتل علم التصريف المنزلة الأولى ثم يليه علم الاشتقاق، وأخيرا علم النحو لأن معرفة الشيء في نفسه يكون قبل تركيبه مع غيره من عناصر تشبهه، أو قريبة الشبه به، ليسهل فرز كل عنصر على حدة، والتعرف عليه عن كثب بخصائصه، وأصوله، وجوهره المنبثق عنه، ثم تأتي بعد ذلك محاولة التعرف على أحواله التي تكون له وهو مركب في كل متكامل؛ فمن الأجزاء الصغيرة يتكون الكل المركب، وهذا الكل المركب يحتاج إلى التجزئة لمعرفة العناصر التي يتكون منها فهي عملية تحليل وتركيب واعية هادفة عالمة بكنه الشيء وخفاياه. ونرى كذلك أبا عثمان المازني في منصفه يقول بمبدأ تقديم علم التصريف على علم النحو قبل ابن عصفور بحوالي ثلاثة قرون، حيث يرى أنه : " من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف، لأن معرفة الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلا لمعرفة حالة المتنقلة ... " [14].

فالثابت أصل للمتغير والمتحول، والجوهر أصل للعرض والطارئ، ومبادئ العقل والمنطق العامة تقرر أنه من الواجب الأوجب الاستعانة بالأصول، والأحكام الثابتة على الأحوال والظواهر المتقلبة المتبدلة.

ونحن لا نتفق مع تلك المقولة -قديما وحديثا- التي تحاول أن تبرر تأخير علم التصريف في التعلم والاستيعاب إلى مرحلة متأخرة من التعليم وعمر المتعلم بدعوى " أن هذا الضرب من العلم لما كان عويصا صعبا بدئ قبله بمعرفة النحو، ثم جيء به بعد ليكون الارتياض في النحو موطئا للدخول فيه، ومعينا على معرفة أغراضه ومعانيه، وعلى تصرف الحال " [15].

وتجدر الملاحظة هنا أن البناء الشامخ يحتاج دوما إلى الأساس المتين القوي، والأرضية الصلبة، حتى لا يهتز لأبسط ريح عاتية ولا يتصدع لأدنى هزة أرضية تصيبه.

وقد ذكر ابن فارس في فقه اللغة في باب (البناء الدال على الكثرة) : " البناء الدال على الكثرة : فعول وفعال نحو : ضروب وضراب. وكذلك مفعال إذا كان عادة النحو : معطار، وامرأة مذكار إذا كانت تلد الذكور، وكذلك مئناث في الإناث " [16] فالملاحظة الأولى أن ابن فارس قد اكتفى بذكر ثلاث صيغ فحسب وهي : فعول، وفعال، ومفعال.

وقد زاد عليه سيبويه صيغتي : "فعل، فعيل ".

والملاحظة الثانية أنه لم يقل شيئا عن أصل اشتقاقها، أهي من مصدر الفعل الثلاثي، أم اشتقت من مصدر الفعل الثلاثي أو الرباعي المتعدي أم غير ذلك ؟.

---

[14] المنصف/ شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري/ تحقيق لجنة من الأستاذين : إبراهيم مصطفى؛ عبد الله أمين/ مطبعة البابي الحلبي وأولاده/ القاهرة/ بمصر/ ط1/ 1954 ج1؛ ص :4.

[15] المصدر السابق ج1، ص:5.

[16] الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها/ لأبي الحسن أحمد بن فارس/ مؤسسة أ-بدران للطباعة والنشر/ بيروت- لبنان/ ط2/ 1963: ص : 224.

وفي رأينا أن الإهمال المقصود لمثل هذه الجوانب العديدة في دراسة الموضوعات العلمية يخلق بلبلة وحيرة لدى القارئ، ويترك هذه الموضوعات على جانب كبير - بصفة مستمرة- من الغموض والإبهام إذا كان كل عالم منا يكتفي بالتلميح والإشارة إليها من بعيد جدا وبطريقة جد محتشمة كذلك.

ومما ورد في إصلاح المنطق لابن السكيت عن صيغ المبالغة قوله : " وإذا كان فعيل في تأويل فاعل فإن مؤنثه بالهاء نحو : كريم وكريمة، وشريف وشريفة، ورحيم ورحيمة، وعتيق في الرقة والجمال وعتيقة وسعيد وسعيدة.

وإذا كان فعول في تأويل فاعل، فإن مؤنثه بغير هاء، نحو قولك رجل صبور وامرأة صبور، ورجل غدور، وامرأة غدور، ورجل كفور وامرأة كفور، ورجل غفور وامرأة غفور، ورجل شكور، وامرأة شكور. إلا حرفا نادرا، قالوا : هي عدوة الله ...، وما كان على مثال مفعيل أو مفعال كان مذكره ومؤنثه بغير الهاء، نحو : رجل معطير وامرأة معطير وهما الكثيرا العطر. وهذا فرس منشير من الأشر، وهذه فرس مئشير وهذا فرس محضير. وتقول : هذا رجل معطاء وامرأة معطاءة وامرأة مئناث ومذكار، وأشبهه " [17]. وإذا أمعنا النظر في هذه الأمثلة التي أوردها ابن السكيت نجده يقتصر على ثلاث صيغ بعضها مما أتى به ابن فارس في كتابه فقه اللغة نحو : فعول، ومفعال. وأما صيغة " فعال" فلم يذكرها صاحب " إصلاح المنطق"؛ وذكر صيغة : " فعيل" مكانها والتي لم يعدها صاحب " فقه اللغة وسنن العرب في كلامها" من أبنية المبالغة.

ونحن هنا لا نجد تفسيرا لهذا الإيجاز المخل، ولا سبب لهذا الغموض الممل، ولا تعليلا لهذا الهروب المكشوف من تقصي المسائل العلمية الدقيقة، وتحليل مركباتها إلى أجزائها الصغيرة، وإهمال لأسباب الاختلاف بين العلماء في عدد صيغها، وأصل اشتقاقها، ونحو هذه الأسئلة كثيرا في هذا الشأن عند علمائنا الذين لا يشق لهم غبار في مضمار علوم العربية.

وقد ذكر رضي الدين في شرحه لشافية بن الحاجب بعضا من أمثلة المبالغة عند حديثه عن موضوع:"جمع باقي الصفات" قوله : " شرابون وحسانون" بضم الفاء وفتحها، وفسيقون، أبنية للمبالغة لا يستوي فيها المذكر والمؤنث، فيجمع الجميع جمع الصحة : المذكر بالواو والنون، والمؤنث بالألف والتاء. وإنما دخلتها الهاء لمشابهتها مفعلا : لفظا بالتضعيف، ومعنى بالمبالغة، فهذه الأوزان الثلاثة لا تكسر، وإنما قالوا في عوار وهو الضعيف الجبان: عواوير، لجريه مجرى الأسماء، لأنهم لا يقولون للمرأة : عوارة، لأن الشجاعة والجبن في الأغلب مما يوصف به الرجال الذين يحضرون في القتال، فشبهوا عوارا وعواوير بكلاب وكلاليب، وهو المهماز، وهو الحديدة التي على خف الرائض، ويرادفه كلوب، وكذا فعل كزمل وهو الجبان الضعيف الرذل، وجباء هو الجبان أيضا، وفعيل كزميل وسكيت، مثالا مبالغة تدخلها[18] التاء للمؤنث، ولا يجمعان إلا جمع التصحيح بالواو والنون وبالألف والتاء، وأما بناء المبالغة الذي

---

[17] إصلاح المنطق لأبي يوسف يعقوب بن إسحق المعروف بابن السكيت/ شرح وتحقيق : أحمد محمد الشاكر؛عبد السلام محمد هارون/ دار المعارف بمصر/ ط3/ 1949، ج2؛ ص: 357، 358.

[18] شرح شافية ابن الحاجب/ رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي/ تحقيق وضبط وشرح محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محي الدين عبد الحميد/ دار الكتاب العلمية بيروت – لبنان -ط1/ 1982 : ج2، ص : 178-180.

على مفعال كمهداء وهي المرأة الكثيرة الإهداء، ومهذار الكثير الهذر، والهدر هو الكلام الذي لا يعبأ بـــه، أو على مفعيل كمحضير ومعطير: الكثير الحضر- بضم فسكون-، والحضرهو ارتفاع الفرس في العدو، أو على مفعل كمدعس وهو اسم للآلة التي يدعس بها : أي يطعن ومطعن، أو على فعال كصناع بفتح الصاد وتخفيف النون وهو الصانع الحاذق. يقال رجل صناع وامرأة صناع إذا كان كل منهما حاذقا ماهرا، وحصان تقـول : امرأة حصان وحاصن؛ وحصناء؛ إذا كانت عفيفة، أو على فعال كهجان وهو الكريم الخالص، أو على فعـول كصبور فيستوي في جميعها المذكر والمؤنث، ولا يجمع شيء منها جمع السلامة إلا في ضرورة الشعر[19].

وقد كنا ننتظر من كتاب شافية بن الحاجب وهو مصنف فريد من نوعه في علم التصريـــف كمـــا وكيفا- أن يشفي الغليل، ويطفئ الظمأ بـــالتحليل والتفســير والتعليـــل والشـــرح والتفصيـــل ورد الأشـــباه والنظائـــــر إلى بعضها، ولفت النظر إلى مواطن الاختلاف وأسبابها بين عـــلماء اللغـــة والتصـــــريف. لكن شيئا من هـــــذا لم يكن؛ وكل ما في الأمر أن صاحب الشافية كان يذكرنا بأبنية المبالغة ويلفت النظـر إليها في معرض حديثـــه عن طرق جمع هذه الصيغ جمع مذكر سالم؛ أو جمع تأنيث سالم؛ أو جمع تـــكسير؛ ومتى تأتي مذكرة ومؤنثة ومتى تحافظ على صيغة التذكير في المذكر والمؤنث.

وهذا شأن كل عمل يخلو من منهجية تحدد أبعاد الموضوع تحديدا دقيقا مفصلا تجعل المعالجة له بعد ذلك واضحة الرؤية بينة المعالم.

ومن خلال عودتنا هذه إلى كتب النحو القديمة وتتبعنا لموضوعاتها ومسائلها وتنقيبنا عن أبنية المبالغة فيها، وجدناها تنقسم إلى قسمين من حيث تطرقها إلى هذه الأبنية، فالقسم الأول منها يعرض لها ضمن صيغة اسم الفاعل باعتبار أن الأولى محولة عن هذا الأخير، ولذلك -غالبا- ما يأتي الحديث عنها مباشرة بعد الفراغ من الكلام عن اسم الفاعل، ولا تظفر من المعالجة إلا بحصة الثعلب بينما غيرها ينال حصة الأسد ويتعداهـــا إن كانت هناك حصة أكبر منها.

ويجدر بالذكر أن معظم هذه المصنفات النحوية كانت على كتاب سيبويه في معالجة موضوع أبنيـــة المبالغة ولذلك احتدت حدوه، وسارت - غالبا- على نهجه في الدرس والشرح والتحليل والتعليل مـــع بعـــض الإضافات البسيطة اليسيرة لا تسمن ولا تغني من جوع في الأغلب الأعم.

ولما كانت المؤلفات النحوية القديمة التي جاءت بعد سيبويه لم تأت في هذا الموضـــوع بجديـــــــد ولم تضف شيئا لافتا للنظر فلا نرى ضرورة في العودة إليها، وبسط كلامها؛ وأسلوب معالجتها لهذه الصيغـــة لاسيما وهي لا تولي كبير اهتمام للجانب الصرفي والاشتقاقي لهذه الأبنية، واكتفت فقط بتفسير وتعليل الأحكام النحوية، وتبيان العلل الإعرابية، وكذا اختلاف المدارس النحوية في مسألة من المسائل الإعرابية أو الاشتقاقية وإطنابها في ذلك إلى حد الملل والضجر.

---

[19] المصدر السابق نفسه؛ ج2، ص: 178-180.

أما القسم الثاني من المصنفات النحوية القديمة فقد عرضت لمسائل كثيرة من علم التصريف والاشتقاق ومنها موضوع صيغ المبالغة لكن باختصار شديد، ولذلك وجدنا أبا عثمان المازني في منصفه ينتبه إلى هذه الظاهرة عند العلماء القدامى فيقول عن هذا المعنى نفسه : " والاشتقاق إنما يمر بك في كتب النحو منه ألفاظ مشردة لا يكاد يعقد لها باب " [20]

ومرة أخرى نرى ابن عصفور في كتابه الممتع في التصريف يذهب إلى أبعد من ذلك وهو يقدم أسباب عزوف النحويين عن التأليف في علم التصريف ليقول : " فإنني لما رأيت النحويين قد هابوا، لغموضه علم التصريف، فتركوا التأليف فيه والتصنيف، إلا القليل منهم فإنهم قد وضعوا فيه ما لا يبرد غليلا ولا يحصل لطالبه مأمولا، لاختلال ترتيبه، وتداخل تبويبه " [21].

وفي السنين الأخيرة من القرن العشرين بدأنا نرى ظاهرة مشابهة للظاهرة التي وصفها ابن عصفور في عصره بل أخطر منها وهي ابتعاد الباحثين عن البحث في ميدان علوم اللغة عامة بما فيها علم النحو لسبب واحد هو صعوبة البحث فيها ودقتها واستحالة الإلمام بها وضبط شواردها مما يجعل الباحث فيها يسيل كل عرقه و لا ينتهي من مشروعه. بخلاف البحث في ميدان الأدب كالشعر والقصة والرواية والمسرحية التي يجد فيها الباحث متعته ورغبته وهوايته وسهولة البحث فيها والتعليق والمناقشة والمعارضة وفرض الرأي والتمسك بالاتجاه الإيديولوجي وغيرها.

لذلك كله ظل الدرس اللغوي متأخرا جدا في البلدان العربية مقارنة مع درس العلوم الإنسانية الأخرى كالأدب والتاريخ والاجتماع والتربية وعلم النفس وغيرها.

---

[20] المنصف/ شرح ابن جني لكتاب التصريف للمازني ج1، ص: 04.

[21] الممتع في التصريف، ج1، ص: 22.

المبحث الثاني:

1-2- صيغ المبالغة بين القياس والسماع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-2-صيغ المبالغة بين القياس والسماع:

تبين لنا بعد استقرائنا، واستقصائنا، وتمعننا جيدا في مصنفات الأقدمين اللغوية منها والصرفية والنحوية أن موضوع الاشتقاق عامة وأمثلة المبالغة على وجه الخصوص لم تحظ إلا بالنزر القليل من الدراسة والبحث وإنما هي ألفاظ متناثرة تمر بك هنا وهناك؛ وقلما تؤلف فيها المصنفات وتعقد لها الأبواب التي تتسم بالتقصي والتفسير والتعليل العلمي المقنع.

من هذه المقدمة الموجزة نريد أن ندخل إلى ما عده سيبويه قياسيا من أبنية المبالغة عندما يقول:"وأجروا اسم الفاعل إذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر مجراه إذا كان على بناء فاعل، لأنه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل، إلا أنه يحدث عن المبالغة، فما هو الأصل الذي عليه أكثر هذا المعنى: فعول؛ وفعال ومفعال، وفعل؛ وقد جاء فعيل"[1] يفهم من كلام سيبويه أن هذه الأبنية الخمسة تحول كلها من صيغة فاعل التي هي صيغة اسم الفاعل الأصلي، وتدل صيغ المبالغة هذه على المعنى نفسه الذي يدل عليه فعلها الثلاثي الأصلي الذي اشتقت منه إضافة إلى أن هذه الصيغ تفيد معنى زائدا على المعنى الذي تشترك فيه مع اسم الفاعل وهو الكثرة والمبالغة الصريحة، وهو ما لا تفيده -إفادة صريحة صيغة "فاعل" السالفة الذكر لأن صيغة اسم الفاعل الأساسية مطلقة أي تدل بذاتها على قلة أو كثرة فهي صالحة للأمرين ما لم تقم قرينة تعين أحدهما دون الآخر.

أما الأصل الذي ورد في عبارة سيبويه السالفة فإنما يقصد به أبنية المبالغة القياسية المتمثلة في: فعول؛ وفعال؛ ومفعال، وفعل، وفعيل؛ مستدلا عليها بشواهد من كلام العرب شعرهم ونثرهم.

وقد جرى جل اللغويين والنحويين وحتى الصرفيين مجرى الخليل وسيبويه لفرط إعجابهم بهما من جانب، وعدم قدرتهم وعجزهم عن إضافة شيء جديد في هذا الباب وغيره إلا في القليل النادر.

وذكر أحمد بن فارس في كتابه المشهور: الصاحبي في فقه اللغة، وفي باب البناء الدال على الكثرة مايلي : البناء الدال على الكثرة فعول، وفعال؛ نحو ضروب، وضراب. كذلك مفعال إذا كان عادة نحو: معطار، وامرأة مذكار إذا كانت تلد الذكور؛ وكذلك مئناث في الإناث" [2].

وكما هو جلي من هذه العبارة أن ابن فارس لم يأت بأي جديد سوى أنه حذف صيغتي فعيل، وفعل لأنه لم يعدهما من أبنية المبالغة، فالأمثلة القياسية التي أوردها في العبارة وحدها هي الأمثلة التي تستخدم للكثرة والمبالغة دون غيرها، ودون الإشارة إلى شيء مما يتعلق من اشتقاقها بغيرها من الصيغ، أو إلى الكثير الاستعمال منها والنادر في لغة العرب وغير ذلك مما يتصل بهذه الصيغة من تساؤلات واستفسارات من قريب أو من بعيد. وهذا ابن مالك في ألفيته يحذو حذو سيبويه فيعدها خمس صيغ قياسية حيث يقول : " فعال، أو مفعال، أو فعول ** في كثرة عن " فاعل" بديل

فيستحق مأنه من عمل ** وفي "فعيل" قل ذا " و فعل"[3]

---

[1] الكتاب ج1، ص: 110.

[2] الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص: 224.

[3] شرح بن عقيل على ألفية ابن مالك ج3؛ ص: 111.

وبقليل من التأمل ندرك أن الصيغ القياسية للمبالغة التي وردت هنا في أبيات ابن مالك هي نفسها التي ذكرها سيبويه في كتابه؛ والأمر نفسه بالنسبة للأحكام النحوية التي تخضع لها تلك الصيغ التي تستحق ما يستحقه "فاعل" من العمل عند استيفاء الشروط:

ويلاحظ أن الاختلاف بسيط جدا لا يكاد يذكر بين سيبويه وبين ما جاء به ابن مالك في ألفيته حيث يعد سيبويه الصيغ الآتية: فعول؛ مفعال؛ وفعال؛ هي الأصل المنقاس ثم يضيف إليها فعل التي -في رأيه - ترد بقلة ولذلك فهي نادرة الاستعمال، بينما نرى ابن مالك في ألفيته يعتبر الصيغ المنقاسة المطردة ثلاثا وهي : فعال أو مفعال؛ أو فعول وتأتي بكثرة محولة عن " فاعل" وتستحق هذه الصيغ الثلاث من العمل والأحكام النحوية ما يستحق اسم الفاعل في عمله عند اكتمال الشروط المقررة لذلك.

ثم نرى ابن مالك يضيف إلى هذه الصيغ الثلاث القياسية صيغتين أخريين يقول: إنهما قليلتا الورود في كلام العرب، وعملهما ضعيف فيما جاورهما تقديما وتأخيرا، وهاتان الصيغتان هما : فعيل؛ وفعل؛ وإذا كان هذا شأن هاتين الصيغتين من حيث الاستعمال والعمل في غيرهما فانقياسهما بالتالي يكون ضعيفا ومشكوكا في التسليم به.

وذكر ابن السكيت صيغ : فعيل؛ وفعول، ومفعيل؛ ومفعال عند معرض حديثه عما يستوي فيه المذكر والمؤنث وما لا يستوي من هذه الصيغ في قوله : " وإذا كان فعيل في تأويل فاعل فإن مؤنثه بالهاء، نحو كريم وكريمة ...؛ وإذا كان فعول في تأويل فاعل فإن مؤنثه بغير هاء نحو قولك : رجل صبور وامرأة صبور ...؛ وما كان على مثال مفعيل أو مفعال كان مذكره ومؤنثه بغير الهاء، رجل معطاء وامرأة معطير وهما الكثيرا العطر ...، وتقول : هذا رجل معطاء وامرأة معطاء، وامرأة مئناث ومذكار، وأشبهه" [4].

وقد اقتصر ابن السكيت هنا على ذكر أربعة أبنية للمبالغة والأولان منهما قال عنهما: إنهما محولان عن " فاعل" وبالتالي فهما مثالا مبالغة، والبناءان الأخيران قال عنهما : إنهما يفيدان معنى الكثرة؛ ولذلك فهي صيغ مبالغة منقاسة.

وفي مكان آخر نرى ابن السكيت ينقل إلينا ما حكاه الفراء والكسائي هكذا : " وحكى السفراء عن بعضهم قال في كلامه : رجل صغار، يريد صغيرا؛ قال : وقال سمعت كبير وكبار، فإذا أفرط قالوا كبار" [5].

فكما ترى فإن ابن السكيت لم يعقد بابا خاصا يعالج فيه موضوع أمثلة المبالغة بدقة وتفصيل وتعليل ويسمي الأشياء بأسمائها الحقيقية؛ ولكنه كان يعرض لهذه الصيغ عند كلامه عن أبنية أخرى أثناء تفسير أو شرح مسألة من المسائل الصرفية أو اللغوية وياله من شرح وتفسير خاليين حتى من تنبيه القارئ والدارس إلى نوع هذه الصيغة أو تلك؛ أهي اسم فاعل أم صفة مشبهة أم اسم تفضيل أو صيغة للكثرة والمبالغة؛ وما مقامها من القياس والسماع؛ وما مصدر اشتقاقها كما فعل مع صيغ فعول، وفعيل؛ ومفعيل، ومفعال؟.

---

[4] إصلاح المنطق ج2، ص: 357.

[5] المصدر السابق، ج1، ص : 108.

ومثل هذا المنهج أو الأسلوب في جمع الموضوعات العلمية وتبويبها وتحليلها من شأنه أن ينفر القارئ من النظر، والبحث، ومتابعة الدرس في مثل هذه الكتب والمصنفات العلمية التي كثيرا ما يلجأ إليها ويعتمد عليها كمصادر ومراجع أساسية في البحوث العلمية ذات القيمة الكبيرة. ويخالف هذه الأكثرية فريق آخر من العلماء الأقدمين منهم ابن قتيبة في كتابه : (أدب الكاتب) في باب : (اختلاف الأبنية في الحرف الواحد، لاختلاف المعاني) حيث يقرر ما نصه " ما كان على " فعيل " فهو مكسور الأول لا يفتح منه شيء، وهو لمن دام منه الفعل، نحو: " رجل سكير" كثير السكر و "خمير" كثير الشرب للخمر و"فخير" كثير الفخر، و "عشيق" كثير العشق، و " سكيت" دائم السكوت و "ظليم " ومثل ذلك كثير، ولا يقال لمن فعل شيء مرة أو اثنين حتى يكثر أو يكون له عادة ..." [6].

فابن قتيبة يرى أن صيغة "فعيل" كثيرة في المبالغة وإذا ثبتت كثرتها، وجرى الاستعمال بها في كلام العرب كان القياس عليها جائزا.

وقد جعل المجمع اللغوي القاهري هذه الصيغة قياسية، وليست مقصورة على السماع، كما كان يرى بعض علماء العربية الأقدمون.

" وأنكر الكوفية الكل أي إعمال الخمسة، لأنها زادت على معنى الفعل بالمبالغة، إذ لا مبالغة في أفعالها، ولزوال الشبه الصوري أيضا، فما ورد بعدها منصوبا فبإضمار فعل يفسره المثال ".[7]

"كما أنكر أكثر البصريين الصيغتين التاليتين : فعيل، وفعل لقلتهما.

وكذلك أنكر الجرمي : فعل دون فعيل، لأنه أقل ورودا حتى أنه لم يسمع إعماله في نثر؛ وقال أبو عمرو يعمل فعل بضعف.

وقال أبو حيان : لا يتعدى فيهما السماع بل يقتصر عليه بخلاف الثلاثة الأخر، يقصد الصيغ: فعال؛ وفعول، ومفعال؛ فيقاس فيها.

وادعى ابن طلحة تفاوتها في المبالغة أيضا؛ " فعول " لمن كثر منه الفعل، و "فعال" لمن صار له كالصناعة، و " مفعال" لمن صار له كالآلة، و " فعيل" لمن صار له كالطبيعة؛ و "فعل" لمن صار له كالعادة.

ولم يقتصر الأمر على انقياس "فعيل" بكسر العين وتشديدها بل هناك من رأى إعمالها : " (وأعمل ابن ولاد وابن خروف فعيلا) بالكسر والتشديد فأجازوا : زيد شريب الخمر، وطبيخ الطعام.

قال أبو حيان : وقد سمع إضافة شريب إلى معموله في قوله:

لا تنفري يا ناق منه فإنه ** شريب خمر مسعر لحروب [8].

وبناء على كل ما سبق يبدو بقليل من التأمل أن جل كبار اللغويين والصرفيين والنحويين مجمعون على اطراد صيغ المبالغة الخمسة المشهورة وهي : فعول، وفعال، ومفعال، وفعيل؛ وفعل. وأن من جاء

---

[6] أدب الكاتب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة/ حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد الدالي/ مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان– ط2/ 1986؛ ص : 330.

[7] همع الهوامع لجلال الدين السيوطي/ تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم/ دار البحوث العلمية الكويت، ط1/ 1979، ج5؛ ص: 87.

[8] المصدر السابق، ج5؛ ص : 87، 88.

بعدهم، وبعض من عاصرهم من علماء العربية -وهم قلة- يرى أن بعض هذه الصيغ لا يرقى إلى درجة القياس ولذلك يجب أن نقف من هذه الصيغ عند حد السماع فحسب؛ ومن هذه الأبنية السماعية التي لا ترفع إلى درجة القياس هي : فعيل، وفعل؛ وفعيل ومفعيل، وفعال وذلك لقلة ورودها في كلام العرب، وعدم جريان الاستعمال بها.

بينما نرى فريقا آخر من علماء العربية الأقدمين يوافق على انقياس هذه الصيغ؛ ويقول باطرادها وكثرة ورودها في كلام العرب وصحة اشتقاقها من أصولها؛ ولكنه يقول فحسب- بعدم إعمالها في الأحكام النحوية؛ والأحوال الإعرابية. وهناك فريق ثالث يوافق على اطراد وقياسية الأبنية الخمسة ويضيف لها صيغة أخرى هي صيغة "فعيل " بكسر الفاء والعين مع تشديد الأخيرة، ويقول بإعمالها إعرابيا فيما بعدها.

وقد وجد هذا الرأي الأخير التأييد الكامل من علماء العربية لهذا العصر ممثلا في القرار الذي اتخذه المجمع العلمي في المؤتمر اللغوي الذي انعقد في القاهرة آخر يناير من سنة **1967**.

والرأي الراجح عندنا أن الحاجة في هذا العصر قد أصبحت ضرورة ملحة أكثر من أي وقت؛ لهذه الصيغ اللغوية لكي تواكب اللغة العربية هذا التطور الحضاري الهائل الذي تشهده المعمورة كل يوم في شتى ميادين الحياة العلمية والثقافية والصناعية والتقنية وغيرها. وإذا كان هذا هو الحال فكيف نقبل بقاء اللغة العربية مقتصرة على بعض أبنية المبالغة القليلة وإهمال بعضها الآخر؟ على الرغم من قدرتها وقابليتها للتطور، ومواكبة الزمن؛ والتكيف مع كل ظروف الحياة؛ وملابساتها. وهذا كله بفضل ما تمتاز به من مرونة؛ وطواعيه؛ وخفة؛ ورشاقة. إضافة إلى الخاصية الاشتقاقية التي تكاد تنفرد بها من حيث الكثرة والتنوع في المفردات والصيغ نحو : كتب التلميذ الدرس، جلست على مكتب أخي أكتب رسالة؛ أكتب كتابة حسنة، نقح الكاتب كتابه، الدرس مكتوب على الكراس، اشتريت كتيبا مفيدا؛ أنجزت التمرين الكتابي.

فالكلمات : (كتب)، (مكتب)، (أكتب)، (اكتب)، (كتابة)، (الكاتب)، (كتاب)، (مكتوب)، (كتيبا)، (الكتابي)، منها ما هو فعل ومنها ما هو اسم، وهي جميعها تشترك في حروف ثلاثة هي الكاف والتاء والباء (ك-ت-ب)، وتختلف في غير هذه الحروف، فتؤدي لذلك معاني مختلفة : فالصيغة (كتب) تدل على حدوث الكتابة في الزمن الماضي، وصيغة (مكتب) تدل على مكان حدوث الكتابة؛ والصيغة (أكتب) تدل على حدوث الكتابة في الزمن الحاضر؛ والصيغة (اكتب) تدل على طلب حدوث الكتابة ، والصيغة (كتابة) تدل على مجرد الكتابة؛ والصيغة (الكاتب) تدل على من قام بالكتابة؛ والصيغة (مكتوب) تدل على ما وقعت عليه الكتابة، والصيغة (كتيبا) تدل على أن ما كتب فيه (أي الكتاب) صغير الحجم؛ والصيغة (الكتابي) تدل على أن التمرين نسب إلى الكتابة.

إن كلا من هذه الكلمات صيغ صرفية اشتقت لتدل على معان مختلفة.

وكل لغة -في الوقت الراهن- لا يكون هذا شأنها، محكوم عليها وعلى أصحابها بالجمود والاضمحلال إلى الأبد.

المبحث الثالث:

1-3- اشتقاق أبنية المبالغة والقول بتعدد صيغها وأوزانها

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-3- اشتقاق أبنية المبالغة والقول بتعدد صيغها وأوزانها:

تحول صيغة "فاعل" وهي صيغة " اسم الفاعل" الأصلي من مصدر الفعل الثلاثي المتصرف أما الفعل الجامد مثل : بئس؛ ونعم، وعسى؛ وحبذا وغيرها فلا تشتق منه -إلى صيغة أخرى تفيد من الكثرة والمبالغة الصريحة، وتوكيد المعنى وتقويته؛ وشدته؛ في معنى فعلها الثلاثي الأصلي ما لا تفيده إفادة صريحة صيغة " فاعل" السالفة؛ وقد أشرنا إلى ذلك قبل قليل؛ ومثال هذا نتحدث عن شخص يزرع الفاكهة، فنقول : فلان زارع فاكهة. فإذا أردنا أن نبين في صراحة لا احتمال معها كثرة زراعته الفاكهة، ونبالغ في وصفه بهذا المعنى نقول : فلان زراع فاكهة-مثلا- فكلمة : " زراع" تفيد من كثرة زراعته، ومن المبالغة في مزاولة الزراعة ما لا تفيد كلمة " زارع" مع أن الكلمتين من فعل ثلاثي واحد هو " زرع" وكلتاهما تدل على أمرين : معنى مجرد هو: "الزرع" وذات قامت به. ولكنهما تختلفان بعد ذلك في درجة الدلالة على المعنى المجرد أي في مقدار قلته؛ وكثرته؛ وضعفه؛ وقوته؛فصيغة " فاعل" التي هي وزن " اسم الفاعل" من الثلاثي المتصرف لا تدل وحدها على شيء من ذلك إلا من طريق الاحتمال، ولا تدل دلالة صريحة أيضا خالية من هذا الاحتمال، على قوة، ولا ضعف، ولا كثرة ولا قلة في المعنى المجرد، فكلمة "زارع" لا تدل بلفظها -بغير قرينة أخرى- على أكثر من ذات متصفة بأنها تمتهن الزراعة.

وليس في صيغة الكلمة دليل صريح على تلك الذات تفعل الزراعة قليلا أو كثيرا؛ بخلاف صيغة "فعال" - مثلا- فإنها تدل بنصها وصيغتها الصريحة على الكثرة والمبالغة في ذلك الفعل، أي في المعنى المجرد. ولهذا تسمى : " صيغة مبالغة " ومن ثم كان الذي يستخدم صيغة " فاعل" يرمي إلى أمرين : "المعنى المجرد مطلقا وصاحبه " دون اهتمام ببيان درجة المعنى، قوة وضعفا، كثرة وقلة، بخلاف الذي يستخدم " صيغة المبالغة " فإنه يقصد إلى الأمرين مزيدا عليهما بيان الدرجة، كثرة وقوة، ولذلك - وكما قلنا آنفا - فإنها لا تشتق إلا من مصادر الأفعال الثلاثية المتصرفة التي تقبل الزيادة والتفاوت، لأن هذه الصيغ تدل على قوة المعنى المعين وزيادته وتكراره مرات عديدة والمبالغة فيه.

ولهذا فلا نستطيع أن نقول : " موات" من المصدر " الموت" لأن الموت واحد لا يقبل الزيادة والتفاوت؛ وقس على ذلك.

وما قيل في : "زارع فاكهة وزراع فاكهة" ... يقال مثلا في ناظم شعرا؛ ونظام شعرا -صانع خيرا وصناع خيرا- قائل الصدق؛ وقوال الصدق و...و...، وهكذا يمكن تحويل صيغة " فاعل " الدالة على اسم الفاعل من الثلاثي المتصرف إلى صيغة " فعال" أو غيرها من الصيغ المعروفة باسم : "صيغ المبالغة " [1].

ونشعر الآن أنه من المفيد أن نستعرض الشواهد الشعرية والنثرية التي اعتمدها سيبويه من كلام العرب لنرى رأي العلماء فيها من حيث اشتقاق هذه الأبنية؛ هل هي من الفعل اللازم والمتعدي؛ أم هي من المتعدي وحده؛ أم من اللازم وحده؛ أم هي منهما معا ؟.

---

[1] النحو الوافي : ج3، ص : 257، 258.

ونبدأ بصيغة : " فعال" بتشديد العين وفتح الفاء – كقول الشاعر : أبي الفلاخ:

أخا الحرب لباسا إليها جلالها ** وليس بولاج الخوالف أعقلا [2]

قوله : (لباسا إليها جلالها) فإنه قد أعمل "لباسا" وهو صيغة من صيغ المبالغة– إعمال الفعل، فنصب به المفعول وهو قوله (جلالها) لاعتماده على موصوف مذكور في الكلام، وهو قوله : (أخا الحرب) وفي (لباسا) ضمير مستتر جوازا تقديره هو . فصيغة (لباسا) في هذا البيت مشتقة من مصدر الفعل (لبس) المتعدي إلى المفعول به نحو قولك لبس المؤمن ثوب التقوى.

وصيغة "فعول"؛ قال أبو طالب بن عبد المطلب:

ضروب بنصل السيف سوق سمانها ** إذا عدموا زادا فإنك عاقر [3]

في هذا البيت يرثي الشاعر أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان زوج أخته عاتكة بنت عبد المطلب.

وكانوا إذا أرادوا نحر الناقة ضربوا ساقها بالسيف فخرت ثم نحروها.

قوله : " ضروب سوق سمانها " حيث أعمل صيغة المبالغة – وهي قوله : ضروب – عمل الفعل، فرفع بها الفاعل– وهو الضمير المستتر فيه– ونصب المفعول وهو قوله : سوق سمانها.

فصيغة المبالغة "ضروب" مشتقة من مصدر الفعل الثلاثي المتصرف المتعدي "ضرب" الذي لا يكتفي بفاعل فقط بل يتعدى إلى مفعوله نحو قولك : ضرب محمد لنا مثلا. وثالثها : صيغة : " مفعال" كقول العرب:" إنه لمنحار بوائكها أي سمانها.

قوله: " منحار بوائكها" حيث اعمل صيغة المبالغة– وهي قوله : منحار– عمل الفعل، فرفع بها الفاعل – وهو الضمير المستتر فيه –ونصب المفعول به وهو قوله : البوائك بمنحار.

فصيغة المبالغة " منحار" مشتقة من مصدر الفعل الثلاثي المتصرف المتعدي وهو : نحر" الذي يتعدى إلى مفعول نحو : نحر إبراهيم العجل؛ وهذا أيضا نص على إعمال مفعال، والبوائك جمع بائكة : وهي السمينة الفتية الحسنة " [4].

ورابعها : صيغة :" فعيل"؛ ومنه قول ساعدة بن جؤية :

حتى شآها كليل، موهنا، عمل ** باتت طرابا وبات الليل لم ينم [5].

اعتبر قوله : " كليل" صيغة مبالغة، وقوله : " موهنا" منصوب بكليل. وفي هذا خلاف بين العلماء ونظر ليس هنا مقام عرضه وتفصيله.

وخامسها : صيغة " فعل" قال سيبويه : وقد جاء في فعل وليس في كثرة ذلك؛ ومعناه أن ما سمع

---

[2] قائل البيت الفلاح بن جناب: الكتاب ج1؛ ص 111، شرح بن عقيل ج2، ص : 112.

[3] المصدر السابق، ج1؛ ص : 111.

[4] المفصل لموفق الدين يعيش ابن على بن يعيش النحوي/ مكتبة المتنبي القاهرة – مصر– ط1 بدون إشارة إلى سنة الطبع / م2/ ج 6؛ ص : 71.

[5] شآها : ساقها وأزعجها من موضعها، والمعنى على مذهب سيبويه أنه وصف حمارا وأتانا نظرت إلى برق مستطير منبيء بالغيث يكل الموهن.

– والموهن :" وقت من الليل، وهو مجاز. كما يقول : أتعبت ليلي، إذا سرت فيه سيرا حثيثا، فطربت تلك الحمر للبرق منساقة إليه في أماكنه، وبات البرق ليله لم ينم؛ أي استمر في لمعانه.

من كلام العرب المستعمل أقل من غيره من صيغ المبالغة الآنفة الذكر، قال، وهو عمرو بن أحمر : [6]

أو مسحل شنج عضادة سمحج ** بسراته ندب لها وكلوم [7].

صيغة المبالغة " شنج عضادة" على رأي سيبويه حيث أعمل صيغة المبالغة وهي قوله : شنج معنى ملازم -عمل الفعل، فرفع بها الفاعل وهو الضمير المستتر فيه -ونصب المفعول به وهو قوله : عضادة سمحج، وهذا أيضا فيه خلاف ونظر بين علماء النحو القدماء والمحدثين [8].

ومما جاء على فعل بفتح فكسر قوله:

حذر أمورا لا تخاف وآمن ** ما ليس منجيه من الأقدار [9].

فصيغة المبالغة " حذر أمورا " على مذهب سيبويه أيضا حيث أعمل صيغة المبالغة وهي قوله : " حذر" عمل الفعل، فرفع بها الفاعل وهو الضمير المستتر فيه - ونصب المفعول وهو قوله : " أمورا".

ونرى أنه من اللازم أن نبين -ولو بصورة موجزة- الخلاف الدائر بين القدماء حول عمل صيغ المبالغة الخمسة وعدمه، وأدلتهم وحججهم في ذلك.

فمن وجهة نظر البصريين أن أبنية المبالغة العاملة بالاتفاق ثلاثة هي : فعول، وفعال؛ ومفعال؛ وهذه الثلاثة مما حول إليها أسماء الفاعلين من الفعل الثلاثي المتصرف. وبذلك يختلفون في مذهبهم هذا مع سيبويه الذي قال : فاعل إذا حول إلى فعيل أو فعل عمل أيضا وأنشد :

حتى شآها كليل، موهنا، عمل ** باثت طرابا وبات الليل لم ينم.

فكليل مبالغة كال، يعني البرق وشاها أي ساقها والضمير للأتان. ومنع ذلك غير سيبويه وقالوا : " إن موهنا ظرف لشاها لأن كليل فعل لازم، ولو كان لكليل أيضا فلا استدلال فيه لأنه ظرف يكفيه رائحة الفعل.

واستدل سيبويه على عمل فعل بقوله :

حذر أمورا لا تخاف وآمن ** ما ليس منجيه من الأقدار.

ومنعه غيره وقال : إن البيت مصنوع ولم يصح عن العرب، وروي عن المازني أن اللاحقي قال: سألني سيبويه عن شاهد في تعدي فعل فعملت له هذا البيت ويروى أيضا أن البيت لابن المقفع. [10]

---

[6] على أن نسبة هذا البيت : أو مسحل شنج عضادة سمحج ... إلى عمرو ابن أحمر خطأ، وإنما هو للبيد في ديوانه 125 من قصيدة طويلة.

[7] شاهده : إعمال شنج في عضادة، وشنج مبالغة شانج، أي ملازم. والمسحل: الحمار الوحشي؛ وسحيله : نهاقه : والعضادة : الجانب. والسمحج: الأتان الطويلة الظهر. والسراة : أعلى الظهر. والندب : أثار الجراح، جمع ندبة.

[8] الكتاب ج1، ص: 112، 113، 114، وضح المسالك ج3؛ ص: 223؛ 225؛ شرح ابن عقيل ج 3؛ ص : 114.

[9] شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب للإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام، الأنصاري، المصري/ شرحه وحققه محمد محي الدين عبد الحميد / ص: 395.

[10] الكافية في النحو لجمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب/ شرح رضي الدين الاستراباذي/ دار الكتاب العلمية بيروت -لبنان ط1/ 1985 ج2؛ ص :202.

وخالف سيبويه أيضا أكثر النحويين في بناءين من هذه المثل الخمسة وهما فعل وفعيل لسبب آخر قالوا لأن فعلا وفعيلا بناءان مرضوعان للذات والهيئة التي يكون الإنسان عليها لا لأن يجريا مجرى الفعل فيها كقولك : رجل كريم وظريف ورجل عجل ولقن إذا كان ذلك كالطبيعة، وإذا كان الأمر هكذا أي إذا لم يكن فعيل وفعل مما حول إليه اسم الفاعل كظريف وكريم وفطن فلا خلاف في أنهما لا ينصبان إذ كلامنا في أبنية المبالغة لا في الصفات المشبهة.

ويقف الكوفيون موقفا مناقضا تماما للبصريين وغيرهم فهم يرون أنه لا يعمل شيء من أبنية المبالغة لفوات الصيغة التي بها شابه اسم الفاعل الفعل؛ وإن جاء بعد صيغ المبالغة منصوب فهو عندهم بفعل مقدر.

والصحيح ما ذهب إليه سيبويه وهو القياس لأن صفات المبالغة إذا كانت معدولة - أي محولة عن "فاعل" التي هي من صيغة " اسم الفاعل -جاز أن تتعدى فمن ذلك : فعول؛ ومفعال، وفعال فهكذا سبيل فعيل إذا كان معدولا كقولك : رحيم من راحم؛ وعليم من عالم فيجوز زيد رحيم عمرا كما تقول : راحم عمرا لأنه معدول عنه هذا مع السماع.

فأما قولهم عن البيت الآتي :

حذر أمورا لا تضير وآمن ** ما ليس منجيه من الأقدار.

فإن سيبويه رواه عن بعض العرب وهو ثقة لا سبيل إلى رد ما رواه.

أما عن بيت ابن أحمر الذي يقول فيه :

أو مسحل شنج عضادة سمحج ** بسراته ندب لها وكلوم.

فإن ما ذهب إليه سيبويه هو الظاهر وما ذكروه تأويل وذلك أن شنجا في المعنى لازم؛ والمراد بالعضادة: القوائم؛ وليست ظرفا فالمراد أنه لازم عضادة سمحج [11].

وقد جاء عنهم هذا المعنى مصرحا به في قول الآخر :

قالت سليمى لست بالحادي المدل ** ما لك لا تلزم أعضاد الإبل [12].

فأعضاد هنا بمعنى عضادة سمحج وقد نصبها بتلزم وهو هنا فعل متعد، وشنج في معنى ذلك على أنه قد جاء لزيد الخيل :

أتاني أنهم مزقون عرضي ** جحاش الكرملين لها فديد

قال : مزقون عرضي كما ترى فأجراه مجرى ممزقين وهذا لا يحتمل غير هذا التأويل وعليه معنى الشعر.[13]

---

[11] المفصل لابن يعيش / م2/ ج6/ ص : 72، 73.

[12] البيت لزيد الخيل الطائي الصحابي وقبله :

ألم أخبركما خبرا أتاني ** أبو الكساح جد به الوعيد

ومزقون جمع مزق مبالغة مازق من المزق وهو شق الشيء وعرض الرجل : جانبه الذي يصونه من نفسه وحسبه.

وجحاش جمع جحش وهو ولد الحمار، والكرملين – بكسر الكاف وسكون الراء والميم وفتح اللام – اسم ماء في جبل طيء.

والفديد : الصوت يريد أنهم عندي بمنزلة الجحاش التي تنهق عند ذلك الماء فلا أعبأ بهم وتخصيص الجحاش للمبالغة في التحقير. قال الأعلم :" قد وجدنا في شعر زيد الخيل بيتا لا مطعن فيه وهو : " أتاني أنهم مزقون * البيت".

[13] المفصل؛ ج1، ص: 73.

ويمكن القول من جانب آخر أنه من تعدد الشواهد الدالة على إعمال " فعل" بفتح فكسر عمل الفعل تعلم أنه لا يضير سيبويه أن يدون قد استشهد على هذا الإعمال – أو مثل له – بالبيت الأخير؛ وأنه قيل عن هذا البيت : إنه مصنوع، وقد ذكر معه من الشواهد ما يؤيد رأيه. [14]

ويمكن لنا أن نخلص إلى القول بعد هذا التتبع لهذه الشروح والتحليل والأخذ والرد في هذه الأمثلة التي ذكرها سيبويه بخصوص ورود صيغ المبالغة من المتعدي فحسب؛ وما جاء على أوزانها عند بعضهم إنما هو صفة مشبهة وليست صيغة مبالغة عند هذا الفريق.

نقول : بعد أن تقصينا تلك الأمثلة التي أوردها سيبويه، وتأملناها جيدا وجدناها تشتمل على الفعل الثلاثي المتصرف المتعدي واللازم؛ ويؤكد ذلك من جاء بعده كابن خالويه في (شرح الفصيح)؛ والرضي في (شرح الشافية) فكلاهما ذكر أمثلة مبالغة من المتعدي واللازم مما يرجح كفة مجيء صيغة المبالغة من مصدر الفعل الثلاثي المتعدي واللازم.

هذا وقد سمعت ألفاظ للمبالغة غير تلك الخمسة، منها : " فعيل" بكسر الفاء وتشديد العين مكسورة– وقد سبق لنا الكلام عن هذه الصيغة، وأوردنا فيه رأي بعض اللغويين القدماء، وكذا قرار المجمع اللغوي القاهري فلا نرى ضرورة لإعادة الكلام فيها، و (مفعيل) بكسر فسكون – كمعطير، و(فعلة) بضم ففتح -كهمزة ولمزة و(فاعول) – كفاروق، و(فعال) بضم الفاء وتخفيف العين أو تشديدها - كطوال وكبار بالتخفيف أو التشديد وبهما قرئ قوله تعالى : "ومكروا مكرا كبارا " [15].

"لكن بعض العلماء المعاصرين من نحويين وصرفيين يعارضون الصرفيين واللغويين القدماء في الإبقاء على سماعية هذه الصيغ لأن الحاجة اللغوية في الوقت الحاضر تقضي بالقياس على هذه الصيغ ما دام ذلك لا يضير العربية في شيء" "[16].

"ويرى ابن خالويه في شرحه الفصيح بأن أبنية المبالغة تصاغ على إثني عشر وزنا فيقول : " العرب تبني أسماء المبالغة على إثني عشر بناء : فعال كغدار؛ وفعال كفساق؛ وفعل كغدر؛ وفعول كغدور؛ ومفعيل كمعطير؛ ومفعال كمعطار، وفعلة كهمزة و لمزة، وفعولة كملولة، وفعالة كعلامة وفاعلة كراوية وخائنة وفعالة كبقاقة، لكثير الكلام، ومفعالة كمجزامة " [17].

وعثرنا في شرح الشافية -بعد البحث والتنقيب– على عشر صيغ للمبالغة وهي : "شرابون وحسانون بضم الفاء وفتحها؛ وفسيقون، أبنية للمبالغة وهما على وزني " فعال " و " فعيل" ...، وكذا " فعل" كزمل وجباء؛ و""فعيل" كزميل وسكيت مثالا مبالغة ...؛ وأما بناء المبالغة الذي على "مفعال" كمهداء ومهدار أو على "مفعيل" كمحضير ومعطير، أو على "مفعل" كمدعس ومطعن، أو على " فعال" صناع وحصان

---

[14] أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك ج3. ص: 225، المفصل لابن يعيش ج6، ص : 72، 73؛ الكتاب ج1؛ ص : 110- 114.

[15] سورة نوح الآية : 22.

[16] التطبيق الصرفي لعبد الراجحي/ دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية - مصر – ط1/ 1988، ص : 78.

[17] المزهر في علوم اللغة وأنواعها للعلامة: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي/ شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته : محمد أحمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد بجاوي/ مطبعة صبيح/ دار التراث القاهرة ط3، دت ج2؛ ص: 243، شرح الشافية ج2، ص: 146، 178، 179، 180.

أو على "فعال" كهجان، أو على "فعول" كصبور"، فيستوي في جميعها المذكر والمؤنث، ولا يجمع شيء منه جمع السلامة، إلا في ضرورة الشعر " [18].

"وقد ذكر ابن السكيت في كتابه إصلاح المنطق بعض أبنية المبالغة منها القياسي ومنها السماعي في أبواب متفرقة وردت ضمن أبنية أخرى مختلفة لم يفرد لها بابا مستقلا ولم يخصها بدراسة منفردة "[19].

" وقرر أبو حيان أن صيغ الخمسة ينقاس اشتقاقها من مصدر كل فعل ثلاثي متعد، نحو ضرب، يجوز لك أن تقول : ضراب ومضراب؛ وضروب؛ وضريب؛ وضرب.

وقد وردت ألفاظ على إحدى هذه الأوزان مع أن الفعل المستعمل لها مزيد على الثلاثي نحو : دراك، ومعوان، ومهوان، ومعطاء، ونذير وبشير، وزهوق، وسآر، وأفعالها الشائعة الاستعمال هي: أدرك؛ وأعان؛ وأهان؛ وأعطى؛ وأنذر؛ وبشر؛ وأزهق؛ وأسأر (بمعنى ترك في الكأس بقية) ومنه قول شاعرهم :

وكن على الخير معوانا لذي أمل ** يرجو نداك، فإن الحر معوان " [20].

ومنه " متلاف " من (أتلف) في قول أبي فراس الحمداني :

وللوفر متلاف، وللحمد جامع ** وللشر تراك، وللخير فاعل

وبناء على ذلك يرى بعض اللغويين أن المسموع من صيغة " فعال" المشتقة من مصدر الفعل الثلاثي اللازم للدلالة على المبالغة كثير، ولذا يجيز – لشدة الحاجة إليها– اشتقاقها من مصدر الفعل الثلاثي اللازم أيضا، ومن هذا القبيل قوله الله عز وجل : " ولا تطع كل حلاف" [21]؛ مهين [22]؛ هماز [23]؛ مشاء [24] بنميم؛ مناع [25] للخير؛ معتد أثيم...) [26]؛ وقولهم : (فلان بسام الثغر، ضحاك السن)

وقول الشاعر :

وإني لصبار على ما ينوبني ** وحسبك أن الله أثنى على الصبر

ولست بنظار إلى جانب الغني ** إذا كانت العلياء في جانب الفقر

وهو رأي حسن ارتضاه المجمع اللغوي بالقاهرة وسجله في مجلته من الجزء الثالث وفي الصفحتين الرابعة عشرة والخامسة عشرة .

وفي المراجع اللغوية صيغ متنوعة مسموعة –غير صيغة " فعال"– لم تستوف شروط الصياغة، فيجب الوقوف فيها عند حد السماع إلى أن يحين وقت النظر فيها من قبل علماء اللغة وفطاحلها، كذلك المجامع اللغوية المنبثة هنا وهناك في البلدان العربية. ومن أمثلتها "ضحوك وعبوس" في قول الشاعر.

ضحوك السن إن نطقوا بخير ** وعند الشر مطراق عبوس.

---

[18] شرح الشافية ج2، ص: 178–180.

[19] إصلاح المنطق ج1، ص : 107، 108، 219 والجزء الثاني ص: 357.

[20] أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ج3، ص : 219.

[21] حلاف : كثير الحلف

[22] مهين : حقير دنيء

[23] الهماز : كثير الهمز (أي كثير الطعن والضرب، والإيذاء ...)

[24] مشاء: كثير المشي بالنميمة (وهي السعي بين الناس بالإفساد).

[25] مناع : كثير المنع للخير لا يفعله هو، ويصد من يهم فعله

[26] سورة القلم الآيات : 10؛ 11؛ 12.

فقد صاغ من مصدر الفعل الثلاثي اللازم كلمتي " ضحوك وعبوس" مع أن فعلهما لازم، كما صـــاغ كلمة "مطراق" مع أن فعلها الشائع رباعي، هو: أطرق، بمعنى سكت، ونظر إلى الأرض ومثـــل "بشـــوش" في قول عنترة:

ألقى صدور الخيل وهي عوابس ** وأنا ضحوك نحوها وبشوش.

حيث صاغ من مصدر الفعل الثلاثي اللازم كلمة " بشوش" مع أن فعلها لازم من الفعل : بش [27]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[27] النحو الوافي لعباس حسن/ دار المعارف بمصر/ ط3/ 1974، ج3، ص: 260.

المبحث الرابع

1-4- تداخل صيغ المبالغة بغيرها من المشتقات في السياق الاستعمالي والأوزان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-4 -تداخل صيغ المبالغة بغيرها من المشتقات في السياق الاستعمالي والأوزان:

إنّ المتتبع لصيغة المبالغة ضمن السياق الاستعمالي سواء في كلام العرب أو في القرآن الكريم والحديث الشريف، يكتشف دون عناء ذلك التداخل الموجود بين هذه الصيغة التي نحن بصدد بحثها ودراستها؛ وأبنية المشتقات الأخرى كاسم الفاعل والصفة المشبهة حينًا؛ واسم الآلة والنسب حينا آخر.

ولذا لا ينبغي التعويل على صورة الصيغة وحدها عند الرغبة في الوصول إلى الدّلالة الصحيحة للصيغة، ولا يعني ذلك أنّنا لا ننظر إلى هذه الأبنية في هيئتها ووزنها كلّية من حيث هي صور وأشكال وأوزان موضوعة للدلالة على معنى المبالغة والكثرة وتقوية المعنى وتكراره لمرات عديدة. وإنّما علينا أن ننتبه في استدلالنا عليها إلى عنصر البناء والوزن وكذا عنصر هذه الصيغة أو تلك في السياق التعبيري والمقام الذي وردت فيه، وذلك لأنّنا قد نُخْدَع بالبناء في شكله الظاهري ونطلق الحكم جُزافا بلا تمعن ولا حذر فنقع في خطأ التفسير وفهم المعنى الصحيح. وهذا يحدث عندما نُعوّل على الصيغة وحدها لأنّه قد ورد في المسموع الذي لا يقاس عليه بعضُ صيغ المبالغة خاليا -مثلا- من معنى المبالغة، مقتصرا في دِلالَتِهِ المعنوية على المعنى المجرد الذي لا مبالغة فيه، فهو يدل على ما يدُلُّ عليه اسم فَاعِلِهِ الخالي من تلك المبالغةِ المعنويّة مثل كلمة: " ظلوم " في قول الشاعر:

وكُلُّ جَمَالٍ للزَّوَالِ مآلُهُ ** وكُلُّ ظَلُومٍ سوفَ يُبْلَى بِظَالِمِ.

فإنّها ليست للمبالغة، إذِ المقام هنا يقتضي أن يكون المُرادُ من لفظ "ظَلُوم" هو " ظَالم " وليس كثرة الظّلم لأنّ كُلاًّ من الإثنين سيلقى ظالمًا، من غير أن يتوقف هذا اللّقاء إلاّ على مجرّدِ وقُوعِ الظلم من أحدهما دون نظَرٍ لقلّة الظّلمِ أو كثرته.

وينطبق هذا كذلك على كلمة " فخور " في قوله تعالى: (إنّ الله لاَ يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتَالاً فَخُورًا)[1]. فليس المراد هنا كثرة الفخر لأنّ الله يكره صاحب الفخر مطلقا، بغير نظر إلى كثرة فخره أو قلّته.

وقد يأتي الأمر مخالفا لما سبق في البيت الشعري، والآية الكريمة، بمعنى أوضح أنّه قد نصادف صيغةً لا تشبه في هيئتها الظاهرية أيةَ صيغة من صيغ المبالغة لكنها في دلالتها تدلّ على معنى المبالغة والكثرة وتكرار الفعل نحو ما جاء في دُرَّةِ الغوّاصِ ما نصّه: (قال ابن بري:... إنّ باب "فاعل" كضَارِب؛ وقاتِل...، عامٌّ لكل من صَدَرَ منه الفعلُ، قليلا كان أو كثيرا، فلا يمنع أن يقع "فاعِل" موقع "فَعَّال" المختص بالكثير، لعمومه. ألا ترى أنّ قوله تعالى: (والذّينَ في أمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ للسَّائِلِ والمَحْرُوم..)[2] لا يقتضي أن يكون السّائل هنا من قلّ سؤاله؟ - ومثله في صفات الباري سبحانه وتعالى: الخَالِقُ والخَلاَّق، الرّازِقُ والرّزَّاقُ... والمُراد بأحدهما ما يُراد بالآخر.) [3]. وتؤكد هذا المذهب آيات كثيرة في القرآن الكريم مثل قوله عزّ وجل: (هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ له الأسماء الحسنى)[4].

---

[1] - سورة النساء، الآية: 36.

[2] - سورة المعارج، الآية: 24.

[3] - النحو الوافي ج3، ص: 239.

[4] - سورة الحشر، الآية: 24.

وقوله: (أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم)[5]. ومثل هذا كثير -كما قلنا- في القرآن الكريم، ويحتاج إلى وقفات ووقفات من الدرس والبحث العلميين.

نفهم من كل ما سبق أن صيغة اسم الفاعل الأساسية مطلقة أي لا تدل بذاتها على قلة أو كثرة فهي صالحة للأمرين ما لم تقم قرينة دالة على تعيين أحدهما دون الآخر.

وقد جاءت صيغة 'فعال" بمعنى اسم الفاعل في قوله تعالى: (فعال لما يريد)[6] فصيغة "فعال" هذه إحدى صيغ المبالغة التي هي نوع من اسم الفاعل وجعلوا من استعمالها في النسب قوله عز وجل: (وما ربك بظلام للعبيد)[7] أي: بمنسوب إلى الظلم، وحجتهم أن صيغة "فعال" هنا لو كانت للمبالغة وليست للنسب لكان النفي منصبا على المبالغة وحدها، فيكون المعنى: وما ربك بكثير الظلم،فالمنفي هو الكثرة وحدها دون الظلم الذي ليس كثيرا. وهذا المعنى فاسد لأن الله لا يظلم، كثيرا ولا قليلا.

"واعلم أنه يجيء بعض ما هو على فعال وفاعل بمعنى ذي كذا أي صاحب كذا؛ من غير أن يكون اسم فاعل أو مبالغة فيه، كما كان اسم الفاعل نحو: غافر؛ وبناء المبالغة فيه نحو: غفار؛ بمعنى ذي كذا؛ إلا أن فعالا لما كان في الأصل لمبالغة الفاعل ففعال الذي بمعنى ذي كذا لا يجيء إلا في صاحب شيء يزاول ذلك الشيء ويعالجه ويلازمه بوجه من الوجوه، إما من جهة البيع كالبقال، أو من جهة القيام بحاله كالجمال والبغال، أو باستعماله كالسياف، أو غير ذلك، وفاعل يكون لصاحب الشيء من غير مبالغة، وكلاهما محمولان على اسم الفاعل وبناء مبالغته، يقال لابن لصاحب اللبن، ولبان لمن يزاوله في البيع أو غيره، وقد يستعمل في الشيء الواحد اللفظان جميعا كسياف وسائف؛ وقد يستعمل أحدهما دون صاحبه كقواس[8] وتراس[9]. وفعال في هذا المعنى المذكور أكثر استعمالا من فاعل، وهما مع ذلك مسموعان ليسا بمطردين؛ فلا يقال لصاحب البر: برار، ولا لصاحب الفاكهة فكاه، قال النحاة: إنهما في المعنى المذكور بمعنى النسبة لأن ذا الشيء منسوب إلى ذلك الشيء. وأيضا جاء فعال والمنسوب بالياء واحد كبتي وبتات لبائع البت وهو الكساء، ويعرف أنه ليس باسم فاعل ولا للمبالغة فيه: إما بأن لا يكون له فعل ولا مصدر كنابل وبغال، ومكان آهل أي: ذو أهل، أو بأن يكون له فعل ومصدر لكنه إما بمعنى المفعول: كماء دافق وعيشة راضية أي: ماء مدفوق وعيشة مرضية، وإما مؤنث مجرد من التاء: كحائض وطالق، وقالوا في نحومرضع ومطفل والسماء منفطر به: إنه على معنى النسبة لهذا أيضا، وهذا يقدح في قولهم: إن ما هو[10]

---

[5] – سورة يس، الآية: 81.

[6] – سورة البروج، الآية: 16.

[7] – سورة فصلت، الآية: 45.

[8] – القواس: الذي يبري القوس، وقد قالوا فيه "قياس" أيضا شذوذا.

[9] – التراس: صاحب الترس، وهو ما يتقى به وقع السلاح.

[10] شرح الشافية لابن الحاجب ج2، ص: 85.

بمعنى النسبة من المجرد عن الياء إما على فعال أو فاعل فقط، وإما جار على ما تضمنه على وجه المبالغة نحو: عز عزيز، وذل ذليل، وشعر شاعر، وموت مائت، وهم ناصب، فإن جميع ذلك معنى أطلق عليه اسم صاحب [11]ذلك المعنى مبالغة، إذ العزيز والذليل والشاعر والمائت والهام: صاحب العز والذل والشعر والموت والنصب، كما يطلق على صاحب المعنى اسم ذلك المعنى نحو: رجل صوم وعدل وماء غور: جعل الشعر كأنه صاحب شعر آخر؛ كما قال المتنبي:

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله ** ولكن لشعري فيك من نفسه شعر

والموت كأنه يستصحب موتا آخر، والنصب كأنه يستلزم نصبا آخر: أي ليس هو شعرا واحدا، ولا الموت موتا واحدا، ولا الهم هما واحدا، بل كل منهما مضاعف مكرر، وقد يستعمل الفعل أيضا بهذا المعنى نحو قولهم: جد جده، وتم تمامه، وأما قولهم: شغل شاغل، فليس من هذا، بل هو اسم الفاعل على الحقيقة أي: شغل يشغل المشتغل به عن كل شغل آخر لعظمه فلا يتفرغ صاحبه لشيء آخر)[12]

(وكما استعملوا فعالا لما كان في الأصل للمبالغة في اسم الفاعل في معنى ذي الشيء الملازم له استعملوا فعلا أيضا، وهو بناء مبالغة اسم الفاعل، نحو: عمل للكثير العمل، وطعن ولبس ولسن في معنى النسبة فاستعملوه في الجوامد نحو رجل نهر لصاحب العامل بالنهار، فعلى هذا ليس معنى النسب مقصورا على فاعل وفعال، بل يجيء عليه اسم الفاعل من الثلاثي وغيره نحو: مرضع ومنفطر، ويجيء من أبنية مبالغة اسم الفاعل فعال وفعل)[13].

(وقد كثر في الأساليب الفصيحة المسموعة أيضا استعمال صيغة "فعال" للدلالة على النسب -بدلا من يائه- وكثر هذا في الحرف فقالوا: حداد لمن حرفته "الحدادة"، ونجار لمن حرفته "النجارة"، وكذا لبان، وبدال، وعطار، ونحاس، وجمال، وخباز، ونحو من كل منسوب إلى صناعة معينة. والأحسن الأخذ بالرأي القائل بقياس هذا في النسب إلى الحرف، لأن الكثرة الواردة منه تكفي للقياس)[14].

(ومن ذلك قولهم: جائض وطالق وطامث أي: ذات حيض وطلاق وطمث في أصح الأقوال، فأما قوله تعالى: (عيشة راضية)[15]؛ فقد قال الخليل إنه من قبيل النسب إلا أنه يشكل عليه دخول التاء لأنهم قالوا: إنما سقطت التاء من حائض وطالق لأنه ليس بجار على الفعل وقد ذكروا أن عيشة راضية لم تجر على الفعل لأن العيشة مرضية وفعلها رضيت فحملوها على أنها ذات رضى من أهلها بها ثم أثبتت فيها فيجوز أن تكون الهاء للمبالغة على حدها في علامة ونسابة وسآلة وراوية ولا يجوز لهذه التاء أن تدخل في وصف من أوصاف الله تعالى وإن كان المراد المبالغة. وقال أبو الحسن في قولهم: رجل فروقة وملولة وحمولة

---

[11]- المصدر السابق، ج2؛ ص: 85-89.

[13] - شرح المفصل ج6، ص: 15.

[14] - النحو الوافي ج3، ص: 269.

[15] - سورة الحاقة، الآية: 21.

ألحقوها الهاء للتكثير كنسّابة وراوية وهذا القبيل وإن كان كثيرا واسعا فليس بقياس بل يُتبع فيه ما قالوه ولا يُتجاوز فلا يُقال لبائع البُرّ -كما مرّ معنا- برّار ولا لصاحب الفاكهة فكّاه ولا لصاحب الشّعير شعّار ولا لبائع الدّقيق دقّاق وإنّما يقال دقيقيّ وقد قيل دقاق ومثل ذلك الكِسائي نسبٌ على قياس النّسب والفرّاءُ على قياس البزّاز والعطّار)[16].

(وكلّ هذا يدخل في نطاق موضوع النّسب وبابه ولا يدخل في باب صيغ المبالغة لأنّه ليس على معنى فَاعِل الذي هو من صيغة اسم الفاعل)[17].

(وقد شاع اليوم استعمال "فنّان" وهو على صيغة "فعّال" -كما ترى- في المنسوب إلى "الفنّ" الذي يُراد به بعض الحِرَف المعيّنة، كالرّسم، والتّصوير، والغناء، والتمثيل،...، ويرى بعض المعاصرين من النحويين والصّرفيين أنّه لا بأس بهذا الاستعمال، وإطلاق كلمة "فنّان" على من يُمارس هذه الفنون صناعة، ويتخذه حِرفةً له، ولا مانع من استعمال الكلمة أيضا في بعض معانيها اللغوية الأخرى، كالمبالغة وغيرها... مما يوافق اللغة ويُناسب السّياق.

والأنسب الاقتصار على المسموع من مثل هذه الصيغ، دون القياس عليها لقلّة الوارد منها، ولخفاء المعنى معها، والتباسها بصيغة المبالغة.

ونأتي الآن إلى صيغة "مفعال" وهي صيغة مشتركة بين اسم "الآلة" و"صيغة المبالغة"؛ فهي من الأوزان الصّالحة لهذه وتلك؛ أمّا التفرقة بينهما في الدّلالة فتكون بإحدى القرائن اللفظية أو المعنوية؛ كالشأن في كل صيغة مشتركة، أو لفظ يصلح لمعنيين أو أكثر، فالقرينة وحدها هي التي تتحكم في التوجيه هنا وهناك، ففي مثل: (تَخَيّرْت للخَشَب الجَزْلِ مِنْشَارًا قويًّا يُمزقه) -تكون صيغة "مِفعال" اسم آلة. بخلافها في مثل: (ما أعْجَب فُلانًا في التّحدّث عن نفسه، ونشْر أخباره، وانتهاز الفرص للإعلانِ عن شُؤُونِهِ ! ! إنّه جدير بأن يُسمّى: منْشَارًا) ومثلها كلمة "مذياع" فقد يُراد منها الآلة الصّماءُ التي تستخدم في نقل الأخبار المذاعة، وقد يُراد منها الشّخص المتكلّم في تلك الآلة، هذا طبعا من الوجهة اللغوية لأنّ العُرْف قد جرى اليوم على تسمية الآلة "بالمذياع" وتسمية الشخص: بالمذيع.

ولا يهمّنا نحن هنا إلاّ الوجهة اللغوية فحسب؛ فمثال الحالة الأولى التي تدلّ عليها القرينة: توقّفَ المذياعُ لخلَل في أسلاكه. ومثال الثانية التي تدلّ عليها القرينة أيضا: ما أفصَحَ المذيَاعَ، وما أعْذَبَ صوتُه، لمْ يَتَلَجْلَجْ، ولمْ يتردّد ولم يُشوّهْ كلامه بلحنٍ أو خطأ، مع أنّه كان يترجّل الكلام ارتجالا أي: بدون إعداد مسبق[18].

---

[16] - التكملة للإيضاح العضدي تأليف: أبي عليّ الحسن بن أحمد الفارسيّ /تحقيق الدكتور: حسن شاذلي فرهود/ ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية بن عكنون -الجزائر- 1984 ج2، ص: 129.

[17] شرح المفصّل لابن يعيش ج6، ص: 15.

[18] -النحو الوافي ج4، ص: 744- 745.

وكما نرى فإن القرائن –في مثل هذه الحالات– وحدها هي التي تلغي هذا التشابه والاشتـــــــــراك بين صيغة وأخرى، وهي التي توضح الوجهة التي يأخذها المعنى، وتتجه إليها الدلالة التي تتضمنـــــها هــذه الصيغة أو تلك رغم تشابههما في الوزن والصورة الصرفية).[19]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[19] – المصدر السابق ج3، ص: 335.

الفصـــــل الثانـــي

-مرحلة الاستقراء والإحصاء لصيغ المبالغة الواردة في عيون البصائر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العدد	صيغة فعّال	الصفحة	السطر	العبارة التي وردت فيها الصيغة
01	وهّاجة	204	12	فَوالله لكأنّ هذه الجملة: "ولَمْ يَخْشَ إلاّ الله" من هذه الآيات-... نَزَلَتِ اليوم وهّاجة بأنوار الرّسالة.
02	الغرّارة	204	19	إنّ هذه الظواهر الغرارة التي أبقاها الاستعمار من الأسماء والصّفات والهيئات لا تُحجبُ عنّا الحقيقة
03	جيّاشا	228	14	بدأ المعهد في سنته الأولى... قويًّا جيّاشا.
04	الخوّان	287	09	المُقدمون على كثرة الخوّان وقلة الأعوان.
05	قوّامين	341	14	يوم كان العلماء قوّامين على الكتاب والسنّة.
06	دسّاس	346	08	وهذه الحركة العلمية لم يضع أصولها العملية ولم ينظم قوافلها، ولم يحم حماها من كلّ دسّاس...، إلاّ جمعية العلماء.
07	خنّاس	346	08	وهذه الحركة العلمية لم يضع أصولها العملية ولم ينظم قوافلها، ولم يحم حماها من كلّ دسّاس وكل خنّاس...، إلاّ جمعية العلماء.
08	صخّاب	351	04	العلمَ.. العلمَ.. أيّها الشّبابُ لا يلهكم عنه سمسارُ أحزاب... ولا داعية انتخاب، وفي المجامع صخّاب..
09	خلّاب	351	04	العلمَ.. العلمَ.. أيّها الشّبابُ لا يلهكم عنه سمسارُ أحزاب... ولا داعية انتخاب، وفي المجامع صخّاب، فكلّ واحد من هؤلاء مُشعوذٌ خلّابٌ.
10	كذّاب	351	04	فكلّ واحد من هؤلاء مُشعوذٌ خلّابٌ وساحر كذّابٌ.
11	أفّاك	354	09	فإنّ الشياطين تنزّل على كلّ أفّاك أثيم.
12	السّماعين	381	07	وجلّ دين الله أن يَعلّقَ بهؤلاء السّماعين للكذب؛.....
13	الأكّالين	381	07	وجلّ دين الله أن يَعلّقَ بهؤلاء السّماعين للكذب؛ الأكّالين للسُّحْتِ.
14	غلّاب	432	11	وإنّ الزّمانَ قاهرٌ غلّابٌ بأطواره وظروفه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العدد	صيغة فعّال	الصفحة	السطر	العبارة التي وردت فيها الصيغة
15	نضّاح	442	04	وشباب نضّاحٌ عن الشّرف الوَضّاحِ.
16	فعّالاً	522	10	وأن تَكُونَ فعّالاً لا قَوّالاً.
17	قوّالاً	522	10	وأن تَكُونَ فعّالاً لا قَوّالاً.
18	منّانًا	523	13	ثُمَّ لا تَجِدُنِي مع ذلك منّانًا ولا كَنُودًا.
19	عيّابٍ	588	01	أتمثّلهُ مُحَمَّدِيُّ الشَّمائل غير صخّابٍ، ولا عيّابٍ، ولا سبّابٍ...،
20	سبّابٍ	588	01	أتمثّلهُ مُحَمَّدِيُّ الشَّمائل غير صخّابٍ، ولا عيّابٍ، ولا سبّابٍ...،
21	الصوّال	658	17	يا ساكن الضّريح، مُتْ فمات اللّسان القوّال، والعزْمُ الصوّال والفِكرُ الجوّال.
22	الجوّال	658	17	يا ساكن الضّريح، مُتْ فمات اللّسان القوّال، والعزْمُ الصوّال والفِكرُ الجوّال.
23	العلاّمَة	692	15	والعلاّمة المودوديّ وثيقُ الصّلة بجمعية العلماء الجزائريين، من طريق جريدة البصائر مُتتبّع لحركتها، مُعجب بها وبأعمالها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العدد	صيغة فعول	الصفحة	السطر	العبارة التي وردت فيها الصيغة
01	فخُورة	19	01	هذا فصلٌ قصير تَحكيه البصائر من تـــاريخ حياتـــها الأولى، فخورة مزهوّةً بأنّها بذّتْ أخواتها الشـــهيدات بما جلَتْ من محاسن الإسلام والعروبة، وبما جاهدت في سبيلهما، وبما مهّدت للإصلاح الدّيني من عقباتٍ، وبما لقيتْ في صراع الاستعمار الرُّوحي والبدنيّ من مكاره...
02	لعُوبًا	591	01	أوْ حَنَّكَتْهُ تُماضِرُ الخنساءُ لَعُوبًـــا بـــأطرافِ الكـــلامِ المشقّق.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العدد	صيغة مِفْعَال	الصفحة	السطر	العبارة التي وردت فيها الصّيغة
01	المقدام	215	12	إنّ آباءكُمْ يتخيّلون من وراء هجرتكم ما يعود به المجاهد المِقدام من أجر وغنيمة، وما يرجع بـه التّاجر المُخـاطر من أرباح وطرائفَ.
02	مسْماح	442	04	ومَليك مسْماحٌ في العلم والإصلاح.
03	مِحْجَامًا	586	04	أتمثّله مِحْجَامًا عن الصّغائر في غير جُبْن.

العدد	صيغة فَعِيل	الصفحة	السطر	العبارة التي وردت فيها الصّيغة
01	أليمًا	207	01	فعَلَ ذلك الحُكْمُ فعله في نفوس القوم، وكـان وقعَـه أليمـا، وهـم أوّل مـن يعلـم أنّـه حـقّ، ولكنّـــهم كـانوا يســترونه بظواهر كاذبة.
02	شفيق	287	12	سلام عليكُمْ بما صبّرتم من وَالِدٍ برّ بكم شفيق عليكم.
03	أثيم	354	09	فإنّ الشيطان تتزّلُ على كلّ أفاكٍ أثيم.
04	العَليم	620	13	فأرادت الحكومة أن تؤيد قُـوّة القـهر بقـوّة السّـحر، فكـان عبد الحيّ العليم وآية ذلك أنّه زار كـل واحـدٍ مـن مشـايخ الطّرق في داره، وأقام عنده اللّيالي والأيّام.
05	رحيما	669	15	وأشهد، لقد خُلقتُ رقيق الإحساس، سليم دواعي الصّدر، سـريع الاســتجابة إلــى التســامح والإغضــاء ، رحيمـا بالبائسين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العدد	صيغة فَعِلَ	الصفحة	السطر	العبارة التي وردت فيها الصّيغة
01	يَقِظة	23	05	ولـولا أنّ الاسـتعمار كـان فقيـها فـي سُـنَن الله فـي الأمـم والطّبائع لأنصف الأمم من نفسه واستراح وأراح، ولعَلِمَ أنّ عين المظلوم، كعين الاستعمار، كلتاهما يقظة.
02	حذِرةٌ	29	07	وإنّ الأمّـة أصبحت يقظـة حـذِرةٌ مـن هـذه المُنـاورات مُتقطّنة لِمراميها، لا تؤخذ في دينها بالخدع.
03	فرحين	149	04	فإننا نتنازل مُخلصين طائعين فرحين لكلّ جماعـة حـرّة من إخواننا المسلمين، ممّن لا ينخدعون لمكايد الحكومة.

العدد	الصيغة السماعية	الصفحة	السطر	العبارة التي وردت فيها الصّيغة
01	الصّدِيقين	535	09	لم يخرج عن هذا المعنى حتّى هجرة الأنبياء والصّدِيقين كإبراهيم ولوطٍ هَاجَرَا من بابل إلى كنعان.
02	رَاوية	622	12	وعبد الحيّ مُحدّث بمعنـى آخـر، فـهو "راويـة" بكـل مـا لهذه الكلمة من معنى تتصل أسانيده بالجنّ والجـنّ ورنّـن الهنْدِيّ.
03	حُطَمَة	630	04	فإذا اطمأنّ بعض أصدقائنا وإخواننا من علمـاء الزيتونـة إلى بقاء مـا كـان علـى مـا كـان فليعلمـوا أنّ وراءنـا مـن الزمن سائقا عنيفا حُطمة، يستحثّ البطاء ولا يغُـضُّ مـن أعنّة العِجال، وأنّ بين أيدينا ودائعَ من شباب مُتطلّع إلـى الكمال.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث

مرحلة التحليل اللّغوي لهذه الصّيغ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث: مرحلة التحليل اللغوي لصيغ المبالغة:

الرقم	المشتق كما ورد في النّص	الصفحة	السطر	تحليلـــــــه لغـــويـــــا
01	أثيم	354	09	فعله ثلاثي صحيح لازم من أثم.
02	أفاك	354	09	فعله ثلاثي صحيح لازم من أفك.
03	الأكالين	381	07	فعله ثلاثي صحيح متعد من أكل.
04	أليم	240	22	فعله ثلاثي صحيح لازم من ألم.
05	الجوّال	658	17	فعله ثلاثي معتل العين لازم من جال.
06	جيّاشًا	228	14	فعله ثلاثي معتل العين لازم من جاش.
07	حذرة	029	07	فعله ثلاثي صحيح متعد من حذر.
08	محجاما	586	04	فعله ثلاثي صحيح لازم من حجم.
09	حُطمة	630	04	فعله ثلاثي صحيح متعد من حطم.
10	خلاّب	351	04	فعله ثلاثي صحيح متعد من خلب.
11	خنّاس	346	08	فعله ثلاثي صحيح لازم من خنس.
12	الخوّان	287	09	فعله ثلاثي معتل العين لازم من خان.
13	دسّاس	346	08	فعله ثلاثي صحيح مضعف متعد من دس.
14	رحيما	669	15	فعله ثلاثي صحيح متعد من رحم.
15	راوية	622	12	فعله ثلاثي معتل العين واللام متعد من روى.
16	سبّاب	588	01	فعله ثلاثي صحيح مضعف متعد من سب.
17	مسماح	442	04	فعله ثلاثي صحيح لازم من سمح.
18	السّماعين	381	07	فعله ثلاثي صحيح متعد من سمع النبأ.
19	شفيق	287	12	فعله ثلاثي صحيح لازم من شفق.
20	صخّاب	351	04	فعله ثلاثي صحيح لازم من صخب.
21	الصّديقين	535	09	فعله ثلاثي صحيح لازم من صدق.
22	الصوّال	658	17	فعله ثلاثي معتل العين لازم من صال.
23	العلاّمة	692	15	فعله ثلاثي صحيح لازم من علم.
24	العليم	620	13	فعله ثلاثي صحيح لازم من علم.
25	عيّاب	588	01	فعله ثلاثي معتل العين لازم من عاب.
26	الغرّارة	204	19	فعله ثلاثي صحيح مضعّف متعدّ من غرّ.
27	غلاّب	432	11	فعله ثلاثي صحيح لازم من غلب.
28	فخورة	019	01	فعله ثلاثي صحيح لازم من فخر.
29	فرحين	149	04	فعله ثلاثي صحيح لازم من فرح.
30	فعّالا	522	10	فعله ثلاثي صحيح لازم من فعل.
31	المقدام	215	12	فعله ثلاثي صحيح لازم من قدم.
32	قوّالا	522	10	فعله ثلاثي معتل العين لازم من قال.
33	قوّامين	341	14	فعله ثلاثي معتل العين لازم من قام.
34	كذّاب	351	04	فعله ثلاثي صحيح لازم من كذب.
35	لعُوبًا	591	01	فعله ثلاثي صحيح لازم من لعب.
36	مثّانا	523	12	فعله ثلاثي صحيح مضعّف لازم من منّ.
37	نضّاح	442	04	فعله ثلاثي صحيح لازم من نضح.
38	وهّاجة	204	12	فعله ثلاثي معتل الواو لازم من وهج.
39	يقظة	023	05	فعله ثلاثي معتل الفاء لازم من يقظ.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصـــــل الرابـــــع

دراسة تحليلية إفرادية وتركيبية

لأبنية المبالغة الواردة في عيون البصائر.

ويشتمـــــل على ستـــــة مباحـــــث:

4-1-**المبحث الأوّل**: صيغة فعّال.

4- 2-**المبحث الثاني**: صيغة فَعُول.

4- 3-**المبحث الثالث**: صيغة مِفْعَال.

4- 4-**المبحث الرابع**: صيغة فَعِيل

4- 5-**المبحث الخامس**: صيغة فَعِلَ.

4- 6-**المبحث السادس**: صيغ سماعية أخرى.

المبحث الأول

4-1- صيغة فعّال

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التعريف بصيغة: "فَعَّال":

إن المتتبع لهذه الصيغة في الكلام العربي الفصيح يجدها فِعْلاً من أكثر أخواتها تداولا على الألسنة، وأكثر شيوعا في الخطاب الشفهي والكتابي بدءًا من الشعر الجاهلي إلى القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وُصُولا إلى النثر والحديث اليومي نحو قولك: هذا ذوَّاقٌ للأدب، وذاك فَعَّال للخير، والآخر تَرَّاكٌ للشَّرِّ وهكذا...

ونظرا لورود هذه الصيغة بكثرة في الكلام اليومي العادي يجدر بنا أن نُنَبِّه إلى أنه ليس كل ما ورد على وزن "فَعَّال" دائما يدل على المبالغة والكثرة في المعنى وقوته وشدّته، وإنّما قد يأتي هذا الوزن، ويراد به معنى آخر غير معنى المبالغة في المعنى، وقد سبق وأشرنا إلى هذه المسألة بشيء من الشرح والتحليل عن طريق الأمثلة الواضحة فلا نرى ضرورة لإعادة الكلام فيها هنا.

ومن المؤكد أنّ هذه الصيغة هي الصيغة الوحيدة التي لم يَدُرْ حولها أي خلاف في كونها تشتق من مصدر الفعل الثلاثي المتعدي واللازم المتصرف للدلالة على المبالغة لأن المسموع منه بقدر كاف جدًّا لإدراجه ضمن القاعدة القياسية نحو: مشّاء- حلاّف- بسّام- ضحّاك- صبّار- نظّار- كفّار- توّاب- غفّار- دوّار- فعّال- مرّاق- كذّاب- نمّام- فتّان- أمّار- جوّال...إلخ.

ونريد أن نشير هنا أيضا بخصوص هذا البناء إلى أنّه قد كثُر في الأساليب الفصيحة المسموعة استعماله للدلالة على النَّسَبِ -بدلا- من يائه وكثر هذا في الحِرَفِ خاصة فقالوا: نَقَّاش لمن حرفته "النقش"؛ وطرّاز لمن حرفته "الطّرز"؛ وكذا حلاّب وخيّاط وتمّار وحلاّق وسمّاك وخبّاز وكنّاس ورسّام وفنّان...إلخ ونحو من كل منسوب إلى صناعة أو حرفة معيّنة يمارسها ويزاولها ويعالجها زمنًا طويلا فمثل هذا لا يدخل في معنى المبالغة والكثرة وإنما يدخل في ممارسة صناعة معينة فحسب[1]

---

[1] النحو الوافي ج3، ص: 269.

4-1 صيغة فَعَّال:

العبارة الأولى التي وردت فيها الصيغة: (فوا الله لَكَأَنَّ هذه الجملة : " وَلَمْ يَخْشَى إلاَّ الله" من هذه الآية –... نزلت اليَوْمَ وَهَّاجَةً بِأَنْوَارِ الرِّسَالَة.) (عيون/11/204).

المعنى اللغوي والاشتقاقي للكلمة: وهج: يَوْمٌ وَهِجٌ ووَهْجَانٌ: شديد الحرّ، وليلة وهِجَة ووَهْجَانَةٌ، كذلك، وقد وَهَجَا وَهْجًا ووهجانًا ووَهَجًا وتَوَهُّجًا.

والوَهَجُ والوَهْجُ والوَهَجَانُ والتَّوَهُّجُ: حرارة الشمس والنار من بعيد والمُتوهّجةُ من النِّساءِ: الحَارَّة المتاع.

والوَهَجُ والوهيج: تلألأ الشيء وتوقُّدُه.

وتوهَّجَ الجوْهَرُ: تلألأ، قال أبو ذُؤَيب:

كَأَنَّ ابْنَةَ السَّهْمِيِّ دُرَّةُ غَائِصٍ ** لَهَا، بَعْدَ تَقْطِيعِ النُّبُوحِ، وَهِيجُ

ويقال للجوهر إذا تلألأ: يتوهَّجُ، ونَجْمٌ وهَّاجٌ: وَقَّادٌ[2].

وفي القرآن الكريم: (وجَعَلْنَا سِرَاجًا وهَّاجًا)[3].

والسِّرَّاج: حرقته المصباح الذي يستضاء به وهو إناء يجعل فيه زيتٌ وفي الزيت رقة مفتولة تسمى الذّبالة تُشعَل بنارٍ فتضيء مادام فيها بَلَل الزيت.

وزيد ذلك التقريب بوصف السّراج بالوهّاج، أي الشديد (السنّا)

والوهَّاج: أصله الشديد الوَهَج (بفتح الواو وفتح الهاء، ويقال بفتح الواو وسكون الهاء) وهو الاتّقاد. يقال وَهَجَت النَّار إذا اضطرمت اضطراما شديدًا[4]

ويطلق الوهَّاج على المتلألئ المُضيء والمراد هنا لأنّ الوصف وهّاج على سراج أي سراجًا شديد الإضاءة، ولا يقال سراج ملتهب.

قال الرّاغب: الوَهَجُ: حُصُول الضّوء والحر من النّار. وفي الأساس عدّ قولهم: سراج وهَّاج في قسم الحقيقة. وعليه جرى قوله في الكشاف: " مُتَلألئًا وقَّادًا، وتوهَّجت النّار، إذا تلمّظت فتوهّجت بضوئها وحرّها[5] فإذن يكون التعبير عن الشمس بالسّراج في هذه الآية هو موقع التشبيه[6]

---

[2] – لسان العرب للإمام العلاّمة ابن منظور/ نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه، علي شيري/ دار إحياء التراث العربي ببيروت– لبنان ط1/ 1988. مادة (و هـ ج) ج15، ص: 411،412.

[3] – سورة النبأ، الآية: 13.

[4] – تفسير التحرير والتنوير للأستاذ الشيخ الطاهر بن عاشور/ الدار التونسية للنشر– تونس– المؤسسة الوطنية للكتاب –الجزائر– 1984/ج30؛ ص:23.

[5] – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود بن عمر الزمخشري/ رتبّه وضبطه وصححه: مصطفى حسين أحمد/ دار الكتاب العربي بيروت– لبنان– ط3/1987 ج4، ص:686.

[6] – تفسير التحرير والتنوير ج30، ص:24.

معنى الصيغة في سياق النص: الذي مفاده: (فوا الله لكأن هذه الجملة : " ولم يخش إلا الله" من هذه الآية -... نزلت اليوم وهاجة بأنوار الرسالة.) (عيون/11/204).

تدور معاني هذه الصيغة (وهاجة) كلها تقريبا حول الضياء والتلألؤ والتوقد الصادر في أغلب الأحيان عن النار، وهذه الصيغة التي وضعت فيها الكلمة تدل على شدة الإضاءة والتلألؤ والاتقـــاد، أي أن الجملة : " ولم يخش إلا الله" قد أضاءت وبلغت أشدها في الإضاءة والتلألؤ والاتقاد الذي تتكسر له العيون؛ لأنها كانت مشحونة بأنوار الرسالة السماوية التي كلف بتبليغها -سيد الخلق صلى الله عليه وسلم- للبشـــــر قاطبـــة؛ وهي رسالة التوحيد، ونبذ الخوف كله ماعدا الخوف منه سبحانه وتعالى علوا كبيرا.

هذا هو ملخص الرسالة الخاصة؛ وهذا هو محتوى الآية القصيرة التي نزلت وهاجة بتعاليم؛ وبنـــود؛ وأحكام الرسالة التي رسمت الطريق مستقيما بينا؛ وأضاءت الدنيا كلها، وسطع نورها وقادا متلألئـــا، بـــالغ الإضاءة، والانتشار؛ محدثا تأثيره في الكائنات كلها، لأنها رسالة تستمد نورها الوهاج مـــن النـــور العلـــوي الأزلي الذي يعبر عن نفسه في القرآن الكريم بقوله: (الله نور السماوات والأرض)[7] إذا فالعالم الظاهـــــري هذا كله نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء.

العبارة الثانية التي وردت فيها صيغة فعال هي: (إن هـــذه الظواهـــر الغـــرارة التـــي أبقاهـــا الاستعمار من الأسماء والصفات والهيئات لا تحجب عنا الحقيقة). (عيون 19/204).

المعنى اللغوي والاشتقاقي للكلمة: غرر: غره يغره غرا وغرورا وغرة، الأخيرة عن اللحيـــاني، فـــهو مغرور وغرير: خدعه وأطمعه بالباطل، قال:

إن أمرأ غره منكن واحـــــدة ** بعدي وبعدك في الدنيا، لمغرور.

أراد لمغرور جدا أو لمغرور جد مغرور.

واغتر هو قبل الغرور. وفي الحديث: المؤمن غر كريم أي: ليس بذي نكر، فهو ينخدع لانقياده ولينه.

والغرور: ما غرك من إنسان وشيطان وغيرهما، وخص يعقوب به الشيطان. وقوله تعالى: (ولا يغرنكم بـــالله الغرور)[8]، قيل: الغرور الشيطان؛ لأنه يغر الناس بالوعد الكاذب والتمنية.

وأنشد أبو الهيثم:

أغر هشاما، من أخيه ابن أمـــــه ** قوادم ضأن يسرت وربيـــــع

قال: أجسره على فراق أخيه لأمه كثرة غنمه وألبانها

والغرارة من الغر، والغرة من الغار، والتغرة من التغرير، والغار: الغافل، والغرير الكفيل، وأنا غرير فـــلان أي كفيله وغرة الشيء: أوله وأكرمه، والغرر ثلاث ليال من أول كل شهر.

وغرر الغلام: طلع أول أسنانه كأنه أظهر غرة أسنانه أي بياضها.

والغر والغرير: الشاب الذي لا تجربة له، والجمع أغراء وأغرة والأنثى غر وغرة وغريرة.[9]

---

[7] - سورة النور، الآية: 35.

[8] - سورة فاطر، الآية: 5.

[9] - اللسان مادة (غ ر ر) ج10، ص: 41.

والغرار: حد الرمح والسيف والسهم.

قال الأص..معي: غرار النوم قلته، قال الفرزدق في مرثية الحجاج:[10]

إن الرزية من ثقيف هالـــــك ** ترك العيون، فنومهن غرار أي قليل.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: لا غرار في صلاة ولا تسليم أي لا نقصان. قال أبو عبيـــد: الغرار في الصلاة: النقصان في ركوعها وسجودها وطهورها وهو أن لا يتم في ركوعها وسجودها.

الجوهري: الغرارة واحدة الغرائر التي للتبن.

الأصمعي: الغرار أيضا غرار الحمام فرخه إذا زقه.

والغرغر من عشب الربيع وهو محمود ولا ينبت إلا في الجبل له ورق نحو ورق الخزامى وزهرته خضراء. قال الراعي:

كأن القتود على قـــــارح ** أطاع الربيع له الغرغـــــر.

أراد: أطاع زمن الربيع.

والغرور: ما يتغرغر به من الأدوية مثل قولهم: لعوق ولدود وسعوط.

والغرغرة: صوت معه بحح. والغرغرة: صوت الفدر إذا غلت وقد غرغرت؛ قال عنترة:

إذا لا تزال لكم مغرغـــرة ** تغلي وأعلى لونها صهـــــر.

أي: حار، فوضع المصدر موضع الاسم، وكأنه قال: أعلى: لونها لون صهـــــر.

الغرغرة: الحوصلة وحكاها كراع بالفتح.

وفي حبال الرمل المعترض في طريق مكة حبلان يقال لهما: الأغران.

قال الراجز:

وقد قطعنا الرمل غير حبليـــن ** حبلي زرود ونقا الأغرين

والغرير: فحل من الإبل، وهو ترخيم تصغير أغر، كقولك في أحمد حميد، والإبل الغريرة منسوبة إليه، قـــال ذو الرمة[11]

حراجيج مما ذمرت في نتاجهـــا ** بناحية الشجر الغرير وشدقم

يعني أنها من نتاج هذين الفحلين، وجعل الغرير وشدقما اسمين للقبيلتين. وقول الفرزدق يصف نساء:

عفت بعد أتراب الخليط، وقد ترى ** بها بدنا خورا حسان المدامـــــع

إذا ما أتاهن الحبيب رشفتـــــه ** رشيف الغريريات ماء الوقائع

والوقائع: المناقع، وهي الأماكن التي يستنقع فيها الماء، وقيل: في رشف الغريريات إنها نوق منســـوبة إلـــى فحل، قال الكميت:

غريرية الأنساب أو شدقميـــة ** يصلن إلى البيد الفدافد فدفدا[12]

---

[10] – المصدر السابق مادة (غ ر ر) ج10، ص: 41–45.

[11] – القاموس المحيط للشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي/ دار الفكر بيروت –لبنان– مادة (غ ر ر) ج2، ص: 101.

[12] – اللسان مادة(غ ر ر) ج10، ص: 47–49.

معنى الصيغة في سياق النّص الذي وردت فيه: (إنّ هذه الظواهر الغرّارة التي أبقاها الاستعمار من الأسماء والصّفات والهيئات لا تُحْجِبُ عنّا الحقيقة). (عيون 19/204).

إنّ معاني مادة (غرر) تكاد تنحصر في مدلولات الباطل والخداع والزيف والتهلكة.

وفي مذهبنا أن الكاتب هنا لم يستخدم صيغة (الغَرّارة) عبثا وإنما كان توظيفه لها في هذا المقام بالذات مقصودا ليصل من خلاله إلى هدفه المنشود؛ وهو إيقاظ الأمّة الجزائرية عامة وأبنائها المناضلين الأحرار -على وجه الخصوص- من غفوتهم؛ وتحذيرهم من المكائد التي يحبكها لهم الاستعمار في الظلام والكواليس؛ ولذلك نرى هذا الأخير يعمل وبدون هوادة لمخادعة الشعب الجزائري الأبيّ بهذه المظاهر البرّاقة؛ والشعارات الزائفة؛ والأباطيل الفارغة لذلك أيضا نلحظ الكاتب هو الآخر يعمدُ إلى التعبير عن هذه المعاني كلها بلفظ المبالغة والكثرة ليُنَبِّهَ الشعب الجزائري المخدوع وليحذّره مرات ومرات من مغبة الاغترار بالأباطيل الغرّارة والأكاذيب المصنوعة بإحكام، والمظاهر الخلابة المغرية الجذابة والتي -في حقيقتها- مجرد سراب يَحسبه الظمآن ماءً؟

ولطالما انخدع بعض أبناء هذا الشعب الأغرّاء الذين كانت تخفى عليهم دسائس الاستعمار ومؤامراته الدقيقة.

لذا ترى الكاتب الكيّسُ يوظف لفظ (الغرّارة) ليدُل بها على كثرة الدسائس؛ والمؤامرات؛ والأباطيل الفارغة، والإغراءات الحلوة من جانب، ليرسّخ ويؤكد هذا المفهوم في عقول ونفوس الشبيبة الجزائرية من جانب آخر حتى لا يكون ضحية الغدر، ولقمة سهلة سائغة في فم أعدائها في الدّاخل والخارج على السواء وخلاصة القول؛ فإن كل الشعارات؛ وكلّ الدّعاوى من هيئات، وأسماء، وأوصاف، وألقاب، وجمعيات على اختلاف أشكالها وأنواعها وانتماءاتها والتي منشؤها الاستعمار الفرنسي والتي يزعمُ بها خدمة مصلحة الأمّة والوطن ما هي إلاّ خيوط وأشراك محبوكة بكل دقة وإتقان للإيقاع والإطاحة بأبناء هذا الوطن وضربهم الضّربة القاضية التي لا يأملون بعدها النّهوض أبدا. يا شباب الجزائر هكذا... كونوا أو لا تكونوا.

العبارة الثالثة التي وردت فيها صيغة "فَعّال" هي: (بدأ المعهد في سنته الأولى... قويًّا جيّاشًا). (عيون/ 14/228).

المعنى اللغوي والاشتقاقي للكلمة: (جيش): جاشت النفس تَجِيشُ جَيْشًا وجُيُوشًا وجيشانا: فاضت.

وجاشت نفسي جيشا وجيشانا: غثّتْ أو دارت للغيثان. فإن أردت أنها ارتفعت من حزن أو فزع قلت: جشَأَتْ.

وفي الحديث: جاءوا بلحم فتجيّشت أنفسُ أصحابه أي: غثّت، وهو من الارتفاع كأنّ ما في بطونهم ارتفع إلى حلوقهم فحصل الغثْي.

وجاشت القِدْر تجيش جيشا وجيشانا: غلت وكذلك الصدر: إذا لم يقدر صاحبه على حبسِ ما فيه.

قال ابن بري: وذكر غير الجوهري أن الصحيح جَاشَتِ القِدْر إذا بدأت تغلي ولم تغل بعد قال: ويشهد بصحة هذا القول النّابغة الجعديّ:

تَجِيشُ عَلَيْنَا قِدْرُهُم فَنُدِيمُهَا ** ونَفْثوهَا عَنَّا إذَا حَمْيُهَا غَلَى[13].

---

[13] – المصدر السابق، مادة (ج ي ش)، ج02، ص: 435.

أي نسكّن قدرَهم، وهي كنايةٌ عن الحرب، إذا بدأت أن تغلي، وتسكينُها يكون إمّا بإخراج الحطب من تحت القِدْر أو بالماء البارد يُصَب فيها. ومعنى نديمها نسكنّها.

وفي حديث الاستسقاء: ومَا يَنْزِلُ حتى يَجيشَ كلُّ ميزابٍ أي يتدفق ويجري بالماء.

ومنه الحديث: ستكون فتنة لا يهدأ منها جانب إلاّ جاش منها جانب أي فار وارتفع وجاش الوادي يجيش جيشا: زخر وامتدّ جدًّا.

وجاش البحر جيشا: هاج فلم يُستطع رُكوبه[14] .

وجاش الهمُّ في صدره جَيْشًا جَيْشًا: مُثّل بذلك، وكأنّ صدره مِرْجَلٌ جيّاشٌ وجاشت نفس الجبان وجأشت، إذا همّت بالفرار.

وإنّ صدره ليجيش عليَّ بالغِلِّ.

والجيش واحد الجيوش. والجيش: الجُند.

واستجاش الأمير من مكان كذا: طلب الجيوش والجِيشُ: نبات له قضبان طوال خُضر وله سنفة كثيرة طِوال مملوءة حبًّا صغارا، والجمع جيوش[15] .

وفَرَسٌ جيَّاش العِنان. قال حسّان:

تَعَدَّى بنا أفراسُنَا كُلَّ شَطْبَةٍ ** عَتُودٍ وجَيَّاشِ العِنَانِ مُنَاقِلُ[16]

معنى الصيغة في سياق النّص الذي وردت فيه: (بدأ المعهد في سنته الأولى... قويًّا جيَّاشًا). (عيون/ 14/228).

تنحصر دِلالاتُ كلمة (جيش) في معظم اشتقاقاتها وصيغها المختلفة في المعاجم اللغوية وأمهات مصادر اللغة العربية بين التدفق؛ والفيضان، والامتلاء، والفوران؛ وجميعها كما ترى ذات مدلولات متقاربة. وبناء على ذلك فإنّ مدلول الكلمة في سياق النّص الذي وردت فيه لم يخرج عن هذه المعاني؛ غير أنّ الصيغة التي استخدمت فيها اللفظة (جيّاشا) إضافة إلى معاني التدفق والامتلاء أفادت معنى جديدا هو الكثرة والمبالغة بحيث أكّدت إقبال الطلبة على المعهد في سنته الأولى -بمجرد افتتاحه- بأعداد هائلة وتدفق وحماس منقطعي النظير. هذا ولكي يُوصل الكاتب جميع هذه المضامين ويؤكّدها اختار لذلك الغرض توظيف صيغة (جيّاش) التي من شأنها أن تؤدي الهدف الذي ينشده.

هذه المضامين التي تدلّ مرة أخرى على تعطش شباب تلك المرحلة -من تاريخ الجزائر المتطلعة- إلى مناهل العلم والمعرفة كغيرهم من شباب المعمورة الطموح إلى الحرية، والسيادة والمجد، وارتقاء سلم الحضارة الذي كان أجداده وآباؤه قد أحرزوا فيه قَصَب السّبق، (وتلك الأيام نُداولها بين النّاس)[17].

---

[14] - المصدر السابق مادة (ج ي ش) ج2، ص: 435.

[15] - أساس البلاغة لجار الله أبي القاسم محمود بن عُمر الزمخشري/ الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة -مصر- ط3، 1985 ج1، ص: 147.

[16] - اللسان مادة (ج ي ش) ج2، ص: 436.

[17] - سورة آل عمران، الآية 140.

العبارة الرابعة التي وردت فيها صيغة "فَعَّال" هي: (المُقْدِمُونَ على كثرة الخوّان، وقلّة الأعْوَان). (عيون/9/287).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة (خون): المخانة: خَوْنُ النُّصْحِ وخَوْن الوُدِّ، والخون على مِحَنٍ شتى. وفي الحديث: (المؤمنُ من يُطبعُ على كلّ خُلُق إلاّ الخيانةَ والكذِبَ).

ابن سيدة: الخَوْنُ أن يؤتمن الإنسان فلا ينصحُ؛ خانه يخُونُه خونا وخيانة وخانةً ومخانةً، وفي حديث عائشة، رضي الله عنها، وفيما مثّلت ببيت لَبيد بن ربيعة:

يتحدّثون مخانةً ومـــــلاذةً ** ويُعابُ قائلُهم وإن لم يشغـــبِ

المخانة: مصدر من الخيانة، والميم زائدة.

ورَجُلٌ خائن وخائنة أيضًا، والهاء للمبالغة، مثل: علاّمة ونسّابة وأنشد أبو عبيد للكُلاّبيّ يُخاطبُ قُرَيْنًا أخا عُمَيْرٍ الحنفيّ، وكان له عنده دمٌ:

أقُرَيْنُ، إنّكَ لَوْ رَأَيْتَ فَوَارسِـــي ** نَعَمًا يَبِتْنَ إلى جوانب صَلْقَـــعِ

حَدّثْتَ نفسك بالوفاء، ولم تكـــن ** للغَدْرِ خَائنة مُغِلّ الإصْبَـــعِ.

وخؤونٌ وخوّانٌ، والجمع خانةٌ وخونة؛ الأخيرة شاذة.

وخانه الدّهر: غيّر حاله من اللّين إلى الشدّة قال الأعشى:

وخَانَ الزّمانُ أبَا مالـــكٍ ** وأيُّ امرئ لم يَخُنْهُ الزّمـــن ؟

وكذلك تَخَوّنَه، وكل ما غيّرك عن حالك فقد تَخَوّنَك.

والخوّان من أسماء الأسد.

يقال للأسد: خائن العين، من ذلك، وبه سُمّيَ الأسد: خوّانا. وخائنة الأعيُن: ما تُسَارِقُ من النظر إلى ما لا يحل [18]. وفي التنزيل: (يَعلَمُ خَائِنَةَ الأعْيُنِ ومَا تخْفِي الصّدُورُ) [19].

والخُوان والخِوَانُ: الذي يؤكل عليه، مُعرّب، والجمع أخْوِنة في القليل، وفي الكثير خُوُنٌ.

وخَيْوَانٌ: بلد باليمن ليس فَعْلاَن لأنّه ليس في الكلام اسم عَيْنه ياءٌ ولامه واوٌ، وتُرك صَرْفَهُ لأنّه اسم للبقعة.

وتَخَوّن فُلانٌ حَقّي إذا انتقصه كأنّه خانه شيئا فشيئا وأمّا تخوّنته: تعهّدته فمعناه تجنّبتُ أن أخُونَه.

وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلم: « يَتَخَوَّنُهُمْ بالمَوعِظَة » أي: يتعهّدهم. والحُمّى تَتَخوّنه: تتعهّده[20].

---

[18] - المصدر السابق مادة (خ و ن)، ج4، ص: 252-254

[19] - سورة غافر، الآية: 19.

[20] أساس البلاغة مادة (خ و ن) ج1، ص: 256.

معنى الصيغة في النّص الذي وردت فيه: (المُقْدِمُونَ على كثرة الخَوّان، وقلّة الأعْوَان). (عيون/9/287).

إنّ المتتبع المتمعّن في المعاني التي تدور حول مادة (خون) سواء في المعاجم اللغوية أو المصادر الأدبية المختلفة شعرية كانت أو قرآنا أو سنة يلاحظ أنّها تكاد تنحصر في مدلولات الغدر؛ والغش والخديعة، والظن بالنصيحة؛ وكذا نقض العهود؛ والمواثيق، والانصراف عن العمل بها في غفلة من الطرف الآخر صديقا كان أو عدُوًّا.

ولدى عودتنا إلى المشتق الذي أُخذ من مادة (خون) وجدناه على هذه الصورة: (الخوّان) وهي صيغة تدل على كثرة الخونة، وانتشارهم في جميع الأمكنة؛ وفي كل ركن، وزاوية، وشبر، ونقطة من القطر الجزائري إبّان الحقبة الاستعمارية الحالكة التي مرّت بها الجزائر.

وقد جاء الكاتب بهذا الوصف عندما كان يُنوّه بالإخوة المعلمين العاملين -آنذاك- بمدارس جمعية العلماء الجزائريين؛ الذين كانوا يعملون في جوّ ملؤه الإرهاب والاغتيال -وفي أحسن الأحوال- مشحون بالمضايقات؛ والتهديدات؛ والاعتقالات المتواصلة من قبل الاستعمار الفرنسي وأعوانه من الخونة الجزائريين. فهم مبثوثون في كل نقطة من نقاط الحركة والعبور -دائما وأبدا- وعيونهم لا تفتأ ترصد حركات وسكنات هؤلاء المدرّسين الذين كانوا يتفانون في خدمة وطنهم بإنارة العقول وإزالة الضباب عنها، لأنّهم كانوا يُدْرِكون بعمق أنّ ظلام الاستعمار، واستعباده؛ واستبداده لا يزول إلا بزوال ظلام الجهل الحالك؛ ولأنّ العلم نور وقد خلق الله النّور كشّافا، مبصرا؛ مولّدًا للحرارة النفسية والإرادة الصلبة التي لا تلين ولا تؤمن بالاستسلام، والخضوع للقهر والاستبداد والجوع والحرمان.

العبارة الخامسة التي وردت فيها صيغة "فَعّال" هي: (يوم كان العلماء قوّامين على الكتاب والسنّة). (عيون/14/341).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة (قوم): القيام: نقيض الجلوس، قام يقوم قومًا وقِيَامًا وقومَة وقَامه، والقومة المرّة الواحدة.

قال الشاعر:

قَدْ صُمْتُ ربّي، فَتَقَبَّل صَامَتِي
وقُمْتُ لَيْلِي، فَتَقَبَّل قَامَتِي
أَدْعُوكَ يَا رَبِّ من النّار الّتِي
أَعْدَدْتَ لِلْكُفّارِ في القِيَامَة

فهو قائم من قُوّم وقُيَّم وقُوّام وقَيّام. وقوْم: قيل هو اسم للجمع؛ وقيل: جمع.

ومعنى القيام: العزم كقول العمّانيّ الرّاجز للرّشيد عندما همّ بأن يعهد إلى ابنه قاسم:

قُلْ للإمامِ المُقْتَدِي بأُمّه:
مَا قَاسِمٌ دُونَ مَدَى ابنِ أُمّه،[21]

---

[21] اللسان، مادة (ق و م)، ج11، ص: 354.

أي فاعزم ونص عليه، وكقول حسان بن ثابت:

علاما قام يشتمني لئيـــــــم ** كخنزير تمرغ في رمـــــاد.

ومنه قوله تعالى: (إذ قاموا فقالوا: ربنا رب السماوات والأرض)[22].

أي عزموا فقالوا، قال وقد يجيء القيام بمعنى المحافظة والإصلاح ومنه قوله تعالى: (الرجال قوامون علـــى النساء)[23]، وقوله تعالى: (إلا ما دمت عليه قائمـــا)[24] أي: ملازما ومحافظا.

ويجيء القيام بمعنى الوقوف والثبات، يقال للماشي: قف لي أي: تحبس مكانك حتى آتيك، وكذلك قم لي بمعنى قف لي، وعليه فسروا قوله سبحانه وتعالى: (وإذا أظلم عليهم قاموا)[25].

قال أهل اللغة والتفسير: قاموا هنا بمعنى وقفوا وثبتوا في مكانهم غير متقدمين ولا متأخرين.

والمقام والمقامة: الموضع الذي تقيم فيه، والمقامة، بالضم، الإقامة. والمقامة بالفتح: المجلس والجماعـــة مـــن الناس.

قال: وأما المقام والمقام فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة، وقد يكون موضع القيام، لأنك إذا جعلته مـــن قام يقوم فمفتوح، وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم؛ فإن الفعل إذا جاوز الثلاثة فالموضع مضموم بالميم، لأنـــه مشبه ببنات الأربعة نحو: دحرج وهذا مدحرجنا، وقوله تعـــالى: (لا مقـــام لكـــم)[26] أي لا موضـــع لكـــم، وقـــرئ لا مقام لكم، بالضم، أي لا إقامة لكم والاستقامة: الاعتدال، يقال: استقام له الأمر.

وقوله تعالى: (فاستقيموا إليه)[27] أي التوجه إليه دون الآلهة.

والقوام: العدل، قال الله تعالى: (وكان بين ذلك قواما)[28].

والقوام: حسن الطول، يقال: هو حسن القامة والقومية والقمة وقوام الأمر، بالكسر: نظامه وعماده.

وقوم السلعة واستقامها: قدرها.

والقائم بالدين: المستمسك به الثابت عليه. وكل من ثبت على شيء وتمسك به فهو قائم عليه قـــال الله تعـــالى: (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة)[29] إنما هو من المواظبة على الدين والقيام به[30].

---

[22] – سورة الكهف، الآية: 14.

[23] – سورة النساء، الآية: 34.

[24] – سورة آل عمران، الآية: 75.

[25] – سورة البقرة، الآية: 20.

[26] – سورة الأحزاب، الآية: 13.

[27] – سورة فصلت، الآية: 6.

[28] – سورة الفرقان، الآية: 67.

[29] – سورة آل عمران، الآية: 113.

[30] – المصدر السابق، مادة (ق و م)، ج11، ص: 355– 360، القاموس مادة (ق و م) ج4، ص: 168.

وقوله عزّ وجلّ: (لاَ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاّ مادُمتَ عليهِ قَائِمًا) [31]أي مُواظبا مُلازما.

وقائمُ السّيف: مَقبِضه، والقائمةُ: واحدة قوائم الذّواب.

والقُوّامُ: داء يأخذ الغنم في قوائمها تقوم منه.

والمِقْوَمُ: الخشبة التي يمسكها الحرّاث.

وقيّمُ الأمر: مُقيمُه، وأمر قيّم: مستقيم؛ وفي الحديث: أتاني ملكٌ فقال: أنتَ قُثَمٌ[32] وخُلُقُكَ قَيِّمٌ أي مستقيم حسنٌ

وفي الحديث: ذلكَ الدِّينُ القَيِّمُ أي المستقيم الذي لا زيغ فيه ولا مَيْلَ عن الحق

وقوله تعالى: (فيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ) [33] أي مستقيمة تبيّن الحقّ من الباطل على استواء وبرهان.

وقَيِّمُ المرأة: زوجُها، وقيّم المسجد، وقيّمُ الحمّام هكذا قالوا. والقِوَامُ من العيش: ما يُقِيمُكَ.

والله تعالى: القَيُّوم والقيّام؛ ابن الأعرابي : القَيّومُ والقَيّامُ والمُدبّر واحد.

وقال الزّجّاج: القَيُّوم والقَيّام في صفة الله تعالى وأسمائه الحسنى: القائم بتدبير أمر خَلقِه في إنشائهم ورزقِهم وعلمه بأمكنتهم.

قال الله تعالى: (ومَا من دَابَّةٍ في الأَرْضِ إلاَّ على الله رِزْقُهَا ويَعْلَمُ مُستَقَرَّهَا ومُستَوْدَعَهَا) [34].

قال: ويُقال مازلتُ أقاوم فلانًا في هذا الأمر أي أُنازله.

وفي الحديث: تسويّة الصّف من إقامة الصّلاة إي من تمامها وكَمَالِها.

وفلان أقْومُ كلامًا من فلانٍ أي أعدلُ كلامًا.

والقوم: الجماعة من الرجال والنساء جميعا؛ وقيل: هو للرّجال خاصّة دون النسّاء. ويُقوّي ذلك قوله تعالى: (لا يَسْخَرُ قَومٌ من قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا منهُم ولا نِسَاءٌ من نساءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خيرًا منهنّ) [35].

أي: لا رجال من رجال ولا نساء من نساء، فلو كانت النساء من القوم لم يقُلْ ولا نساء من نساء، وكذلك قول زُهير:

وما أَدْرِي، وسوفَ إخَالُ أَدْرِي ** أقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ؟

ويُروى عن أبي العبّاس: النّفر والقومُ والرّهط هؤلاء معناهم الجمع لا واحد لهم من لفظهم للرّجال دون النساء.[36]

---

[31] سورة آل عمران، الآية 75.

[32] – قُثَمٌ: المجتمع الخلق، وقيل: الجامع الكامل، وقيل: الجموع للخير.

[33] – سورة البيّنة، الآية: 3.

[34] – سورة هود، الآية: 6.

[35] – سورة الحجرات ، الآية 11.

[36]– المصدر السابق مادة (ق و م) ج11، ص: 361.

وفي الحديث: (إنْ نَسَّانِي الشَّيْطَانُ شَيْئًا من صَلاَتِي فَلْيُسَبِّحْ القَوْمُ ولِيُصَفِّقِ النِّساءُ).

وفي هذا آراء لا يتسع المجال هنا لعرضها ومُناقشتها وغربلتها. وكل ما أوجعك من جسدك فقد قام بك.

أبو زيد في نوادره: قامَ بي ظهْري أي: أوجعني؛ وقامت بي عيناي.

وفي التهذيب: القيامة يوم البعث يقوم فيه الخلق بين يدي الحي القيّوم.

ومضت قُويْمة من الليل أي: ساعة أو قطعة، ولم يجِدْهُ أبو عبيدٍ وكذلك مضى قُوَيْمٌ من الليل، بغير هاء، أي وقتٌ غير محدود[37].

معنى الصيغة في سياق النّص الذي وردت فيه: (يوم كان العلماء قوّامين على الكتاب والسنّة). (عيون/14/341).

وردت كلمة (قوم) في المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية على اختلاف أنواعها ضمن معان عدة مختلفة في مظاهرها متجانسة في أبعادها وأصولها. فقد وردت مرة بمعنى النهوض والانتصاب من الجلوس. وجاءت مرة بمعنى العزم والتّصميم؛ ووردت مرة بمعنى المحافظة والإصلاح والوقوف والثبات والموضع والإقامة. وجاءت تارة أخرى بمعنى المواظبة على الشيء والقيام به وإتمامه واعتداله واستوائه إلى غير ذلك من هذه المعاني والدلالات التي لا يبعد بعضها -كثيرا- عن بعضٍ في مضامينها وفحواها.

أمّا إذا عدنا إلى النّص فإننا نجدها جاءت بهذه الصورة المشتقة (قوامين)؛ والقوّامُ: الذي يقوم على شأن شيء ويليه ويُصلِحُه، يقال: قَوّامٌ وقيّامٌ وقَيُّومٌ وقَيِّمٌ، كلها مشتقة من القيام المجازي الذي هو مجاز مرسل أو استعارة تمثيلية، لأنّ شأن الذي يهتمّ بالأمر ويعتني به أن يقف ليُدبر أمره، فأطلق على الاهتمام القيامُ بعلاقة اللّزوم أو شبه المهتمُّ بالقائم للأمر على طريقة التمثيل.

والمعنى الذي يدل عليه وصف (قوّامين) في سياق النّص: هو الحفظ؛ والإصلاح، ودفع كل شبهة عن القرآن الكريم والسنة الشريفة المطهرة يدل على ذلك قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[38] غير أنّ هذا المعنى الربّاني الذي تحمله الآية الذي يتمثل في تكفل المولى عز وجل برعاية وحفظ كلامه لا يجعل العلماء يمتنعون عن العمل والقيام بالواجب المنوط بهم في هذا الشأن؛ شأن الرعاية والحفظ والدفاع لنيل الأجرْ، والفوز بالمقام الكريم يوم يلْقَوْن ربّهم. من أجل ذلك فهم مطالبون مرة أخرى بحفظ القرآن الكريم والسنة المطهرة في صدورهم أوّلا، والعمل بها في واقع دنياهم وحياتهم دون كلل ولا ملل؛ أو تَهاونٍ وغفلة.

لذلك كلّه وردت لفظة (قوّامين) دالّة على الكثرة وشدّة العزم وقوته. والمراد لازمها، وهو عدم الإخلال بهذا القيام الملازم لرجال الفكر والعلم والأدب من المسلمين في كل عصر ومصْر؛ وفي جميع الأحوال[39]؛ كما جاءت مؤكدة ما قام به السّلف الصّالح من العلماء المسلمين الذين لم يدّخروا أي جهد في سبيل النّهوض بهذين الكنزين الغاليين عليهم؛ إنهم لم تكل عزائمهم، ولم يخضعوا لشهوات النفس، وملذّات

---

[37] – المصدر السابق مادة (ق و م)، ج11؛ ص: 361، 362.

[38] – سورة الحجْر، الآية: 9.

[39] – تفسير التحرير والتنوير، ج5، ص: 224.

الدنيا وزخرفها؛ ولم يتوانوا لحظة في خدمة هذين النبعين الصافيين اللذين لا ينضبان مادامت السماوات والأرض ومن عليها مصداقا لقوله تعالى: (قل: لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا)[10] حفظا وتحقيقا وتبويبا وترتيبا.

العبارة السادسة التي وردت فيها صيغة "فعال" هي: (وهذه الحركة العلمية لم يضع أصولها العملية، ولم ينظم قوافلها، ولم يحم حماها من كل دساس... إلا جمعية العلماء). (عيون/8/346).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة: (دسس): الدس: إدخال الشيء من تحته، ودس الشيء في التراب وكل شيء أخفيته تحت شيء فقد دسسته، ومنه سميت الدساسة وهي دويبة شبه العظاية بصاصة لا ترى شمسا إنما هي مندسة تحت التراب أبدا. وفي الحديث: (أستجيدوا الخال فإن العرق دساس) أي دخال؛ لأنه ينزع في خفاء ولطف.

ودسه يدسه: إذا أدخله في الشيء بقوة وقهر، وفي التنزيل العزيز: (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)[11].

يقول: أفلح من جعل نفسه زكية مؤمنة وخاب من دسسها في أهل الخير وليس منهم؛ وقيل: دساها: جعلها خسيسة قليلة بالعمل الخبيث.

الليث: الدس دسك شيئا تحت شيء وهو الإخفاء. ودسست الشيء في التراب: أخفيته فيه؛ ومنه قوله تعالى: (أم يدسه في التراب) [12] أي: يدفنه.

والدسيس: إخفاء المكر. والدسيس: من تدسه ليأتيك بالأخبار.

وقيل الدسيس: شبيه بالمتجسس، ويقال: اندس فلان إلى فلان: يأتيه بالنمائم. والدسيس: المشوي.

ابن الأعرابي: الدسيس: الصنان الذي لا يقطعه الدواء. والدسس: الأصنة الدفرة الفائحة والدسس: المراؤون بأعمالهم يدخلون مع القراء وليسوا منهم.

ودس البعير يدسه دسا: لم يبالغ في هنئه.

ودس البعير: ورمت مساعره، وهي أرفاعه وأباطه[13]

معنى الصيغة في سياق النص الذي وردت فيه: (وهذه الحركة العلمية لم يضع أصولها العملية، ولم ينظم قوافلها، ولم يحم حماها من كل دساس وكل خناس إلا جمعية العلماء). (عيون/8/346).

إن الذي يتتبع بتأمل مدلول كلمة (دسس) في المعاجم اللغوية، والمصادر الأدبية الأساسية يجدها تدور حول معاني المكر والخبث والنميمة والتجسس حينا؛ ومعاني الخسة والدناءة وإيلاج الشيء في الشيء بقهر وقوة في خفاء ولطف حينا آخر.

---

[10] – سورة الكهف، الآية: 109.

[11] – سورة الشمس، الآية: 9–10.

[12] – سورة النحل، الآية: 59.

[13] – اللسان مادة (د س س)، ج4، ص: 344– 345 ؛ أساس البلاغة مادة (د س س)، ج1، ص: 270.

وأمّا المدلول الذي استخدمت فيه اللفظة فهو النّميمة والتجسّس والرّياء قصد إفساد عمل الحركة العلمية والفكرية التي نشطت في الجزائر خلال الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن إبّان الفترة الحالكة من الاستعمار الفرنسي؛ على يد نُخبة من أبناء الجزائر الأحرار الذين فضّلوا أن تكون البداية بالعمل التعليمي والتربوي والثقافي والدّيني ليكون طريقا ممهّدا للعمل السياسي والكفاح المسلّح التحريري في نهاية المطاف.

وقد وضعت اللّفظة في وصفٍ للمبالغة: (دسّاس) على زنة فَعَّال؛ ودلّ بها صاحب النّص على كثرة انتشار هذه الآفة الخبيثة الفتاكة في أرجاء الجزائر الحرة الكريمة الطاهرة.

وكانت هذه الآفة الماكرة دائبة في عملها؛ في تخفٍّ تامّ على أعين المناضلين الأحرار بإثارة القلاقل والفتن وزرعها في وسطهم؛ بهدف إلحاق الأذى بهم عن طريق المكر والخديعة ونصب المكائد والدّسائس لدى الأعداء الذين يتربصّون بهم الدّوائر عليهم دائرة السّوء.

والصيغة السابقة توحي كذلك بالجهد الجبّار، والسعي الحثيث الذي يبذله هؤلاء الدّساسون الخونة الأنذال؛ وكيف لا وهم جنود وأعوان الاستبداد الذي نصّبهم جواسيس وجعلهم عيونا له ترقب من بعيد ومن قريب في دهاء ومكر تحركات العلماء العاملين من اجل نهضة الجزائر وعودة سيادتها وكرامتها المسلوبة من قبل الذين ما انفكوا يجثّمون على كاهل هذا الشعب الأبي الشهم الأعزل من سلاح العلم والرشاش.

وأعداؤه يمارسون عليه ضغوطات متنوعة بغية تركيعه وإخضاعه مرّة بسياسة: جوّع كلبك يتبعك، وأخرى بسياسة جهّل عبدك يركع لك. وكل هذه الوسائل والأساليب الجهنّمية الوحشية لم تكن مستورة في الحقيقة عن أبناء الجزائر الحرة الكريمة الذين ما فتئوا يوجّهون الضربات تلو الضربات للاستبداد وعُملائه الدّساسين الذين باعوا أنفسهم ووطنهم بأبخس الأثمان، وأحطّ الألقاب. ويبقى وجه الجزائر وضّاءً مشرقا رغم كل هذه الدّسائس والمؤامرات المسعورة !

العبارة السابقة التي وردت فيها صيغة فعّال هي: (وهذه الحركة العلمية لم يضع أُصولها العملية، ولم يُنظّم قوافلها، ولم يَحْمِ حماها من كل دسّاس وكلّ خنّاس إلاّ جمعية العلماء). (عيون/8/346).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة (خنس): الخنُوس: الانقباض والاستخفاء. خنسَ من بين أصحابه يَخنِس ويخنُسُ بالضم، خنُوسا وخِناسا وانخنَسَ: انقبضَ وتأخر، وقيل: رجع. وأخنسه غيرُه: خلّفه ومضى عنه. وفي الحديث: الشيطان يُوسوسُ إلى العَبدِ فإذا ذكر الله خَنَسَ أي انقبض منه وتأخر.

وعن الأزهري: خَنَسَ في كلام العرب يكون لازما ويكون متعدّيا.

وممّا يُروى عن النبي صلّى الله عليه وسلّم، أنّه قال: الشّهرُ هكذا وهكذا، وخَنَسَ إصبعَه في الثالثة أي: قبضها يعلّمهم أنّ الشهر يكون تِسعاً وعشرين.

وأنشد أبو عبيد في أخنس وهي اللغة المعروفة:

إذَا ما القَلاَسِيُّ والعَمَائمُ أُخْنِسَتْ ** ففِيهِنَّ عن صَلْعِ الرّجال حُسُورُ[44]

---

[44] المصدر السابق، مادة (خ ن س)، ج4، ص: 231.

وعن الأصمعي: سمعتُ أعرابيا من بني عقيل يقول لخادم له كان معه في السّفر فغاب عنهم: لِمَ خَنَسْت عنّا؟ أراد: لمَ تأخرت عنّا وغبتَ ولِمَ تواريتَ؟.

وعن الزّجاج في قوله تعالى: (فَلاَ أُقْسِمُ بالخُنَّسِ الجَوَارِ الكُنَّسِ)[45] ، قال أكثر أهل التفسير في الخُنَّسِ أنّها النّجوم وخُنُوسُهَا أنها تغيب؛ وتكنسُ تغيب أيضا كما يدخل الضبيُ في كناسه. قال: والخُنَّسُ جمع خانِس.

والخَنَسُ في الأنف: هو تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة.

والرّجل أخنسُ والمرأة خنساء، والجمع خُنْس؛ وأصله في الظّباء والبقر.

وعن ابن أعرابي: الخُنُسُ مأوى الظّباء، والخُنُسُ الظّباء أنفسها.

وعن الفرّاء: الخِنْوس، بالسين، من صفات الأسد في وجهه وأنفه، وبالصّاد ولد الخنزير.

والخَنَسُ: داء يصيب الزّرع فيتجعّثُ منه الزّرع فلا يطول.

وخنساء وخُنَاسُ وخُنَاسيٌ، كله اسم امرأة.

وأما قول دريْد بن الصّمة:

أ خُنَاسُ قد هَامَ الفُؤَادُ بِكُـــمْ ** وأصَابَهُ نَبَلٌ من الحُـــــبِّ.

يعني به خنساء بنت عمرِ وبن الشّريد فغيّره ليستقيم له وزن الشّعر[46].

معنى الصيغة في سياق النص الذي وردت فيه: (وهذه الحركة العلمية لم يضع أُصولها العملية، ولـم يُنظّم قوافلها، ولم يَحْمِ حماها من كل دسّاس وكلّ خنّاس إلاّ جمعية العلماء). (عيون/8/346).

إذا تتبعنا لفظة (خنس) في المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية الأساسية نجدها تدور حول مضـــامين متقاربة، فهي مثلا تدل على الانقباض والاستخفاء والتأخر والرجوع تارة؛ والتخلف والغياب والعــودة تــارة أخرى.

وأما وصف (الخنّاس) الذي ورد في النص فالمراد منه المبالغة في الخُنْس وكثرته وشدّة لطفه وخفائه كما أن المراد أيضا أنّه صار عادة وطبعا له؛ والخُنسُ والخُنُوس الاختفاء والتستر والرجوع إلى الوراء قليــلا قصد الاختفاء لكي يطمئن العدوّ على نفسه ثم العودة لمُفاجئته حين يركن إلى الغفلة فــي صـــورة رفيــق أو صديق أو أخ أو ناصحٍ أو معلم أو مدبر أو مشير أو معاون على نوائب الدّهر ومحَنِه أو مشجّع على عمل ما يؤدي إلى التهلكة والخسران المبين في الدّنيا والآخرة[47].

والشيطان يلقّب بـ " الخنّاس " وهو يسكن قلب الإنسان وعقله ويمتزج بلحمه ودمه مصداقا لقوله صلّــى الله عليه وسلّم: (إنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجْرى الدّم)؛ وهو لذلك يتصل بعزمه وإرادته ومُيوله ورغباتــه جميعا من غير شعور منه في الغالب إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات وذكروا الله كثيرًا بالليل والنّهار ســرًّا وعلانية أولئك يحفظهم الله من همزاته ووَساوسه ماداموا على ذلك الذكر والاستغفار والتوكل عليــه جلّــت قدرته وعلت.

---

[45] – سورة التكوير. الآيتان: 15–16.

[46] – المصدر السابق، مادة (خ ن س) ج4، ص: 232؛ القاموس ج2؛ ص: 212؛ أساس البلاغة ج1؛ ص: 252.

[47] – تفسير التحرير والتنوير: ج30، ص: 634.

وليس الشيطان وحده خناسا؛ بل أهل المكر والكيد والهمز والغمز والدسيسة من بني آدم أيضا –وما أكثرهم !– أيضا "خناسون " لأنهم يتحينون فرص غفلات الناس ويتسترون بأنواع الحيل والغش والغدر والوسواس المزين للأعمال القبيحة، والمشجع على الآمال الشيطانية العريضة التي تنسي العبد ذكر ربه والاتصال الروحي به، وتلصقه بالطين والوحل فيلقى ربه عاصيا مفرطا فارغا من الأعمال الصالحة.

وقد كثر "الخناسون " إبان الاستعمار الفرنسي للجزائر؛ وانتشروا هنا وهناك؛ ولبسوا أزياء مختلفة؛ وتقنعوا بأقنعة ذات ألوان زاهية مغرية؛ واستخدموا أساليب وحيلا تخفى على العامة، وأحيانا حتى على الخاصة، والتبس على الناس أمرهم؛ وخفي عليهم كشفهم فألحقوا بالأمة والوطن أضرارا جسيمة وجروحا دامية.

حتى قيض الله لهم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تتبع خطاهم؛ وترصد حركاتهم الخفية رغم ظهورهم في مظهر المتنكر المقنع الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر، يحمل شعار الوطنية ويعمل بمبدأ الانتهازية، يتغنى بالإخلاص ويمارس الخيانة، يلوح بالعداوة والبغضاء إلى فرنسا ويستر ولاءه لها ! ؟

لذلك نجد لفظة " خناس " جاءت لتفيد شدة الخنس وقوته والبراعة فيه عند هؤلاء الدساسين الخونة المتهافتين على فتات فرنسا الجبانة ؛ وتوحي كذلك بمهارة التنكر، يدل على ذلك صيغة التنكير الذي وضعت فيه لفظة " خناس " في سياق النص الذي وردت فيه.

وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:« الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله تعالى خنس، وإذا غفل وسوس » . ومن كان الخنوس هو دأبه وطبعه سمي بالخناس جنا كان أو إنسا مصداقا لقوله تعالى: (شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا)[48].

وأما الناس فنحن نعرف عن خنسهم الشيء الكثير، ونعرف ما هو أشد من خنس الشيطان !

رفيق السوء الذي يتدسس بالشر إلى قلب رفيقه وعقله من حيث لا يحتسب ومن حيث لا يحترس، لأنه الرفيق المأمون !خناس.

وحاشية الشر التي توسوس لكل ذي سلطان حتى تتركه طاغية جبارا مفسدا في الأرض، مهلكا للحرث والنسل !خناسة والنمام الواشي الذي يزين الكلام ويزحلقه، حتى يبدو وكأنه الحق الصراح الذي لا مرية فيه ! خناس.

وبائع الشهوات الذي يتدسس من منافذ الغريزة في إغراء لا تدفعه إلا يقظة القلب وعون الله لذكره واستغفاره وتسبيحه ! خناس.

وعشرات بل مئات من الموسوسين « الخناسين » الذين ينصبون الأحابيل ويخفونها، ويدخلون بها من منافذ القلوب الخفية التي يعرفونها أو يتحسسونها وهو شر من الجنة وأخفى منهم دبيبا وسلطانا[49]

---

[48] – سورة الأنعام، الآية: 113.

[49]– في ظلال القرآن، /سيد قطب/ دار الشروق– القاهرة – ط12، 1986، ج3، ص: 4011.

على النفوس لأنّهم كثيرو الإقبال والإدبار أو أنّ وظيفتهم واختصاصهم الوحيد في هذه الحياة هو الإقبال والإدبار في سرعة وخفة نادرة متلذذين بذلك أيّما تلذذ كما هو شأن فرس امرئ القيس الشاعر البارع الذي يقول عنه في معلقته:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًـــا ** كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ[50]

ففي البيت مبالغة وقوة في التعبير تجسد قوة وصلابة هذا الحصان وسرعته الفائقة في الإقبال والإدبار لذلك فهو قريب الشبه بالخنّاس في هذا الوصف والعمل والوظيفة.

العبارة الثامنة التي وردت فيها صيغة فعّال هي: (العِلمَ... العِلْمَ... أيّها الشبابُ لاَ يُلْهِيكُمْ عنهُ سِمْسَارُ أحزَابٍ...ولا داعية انتخاب ، في المجامع صخّاب؛ فكلّ واحدٍ من هؤلاء مشعوذٌ خلاّبٌ). (عيون/4/351).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة (صخب): الصّخبُ: الصّياح والجلبة، وشدّة الصّوت واختلاطه.

وفي حديث كعب في التوراة: محمّدٌ عَبْدِي ليسَ بفظٍّ ولا غَلِيظٍ، ولاَ صَخُوبٍ في الأسواق، وفي رواية: ولا صخّاب.

الصّخبُ والسّخبُ: الضّجة واختلاط الأصوات للخصام، وفعُولٌ وفعّال: للمبالغة.

وقد صَخِبَ، بالكسر، يصْخَبُ وصَخِبٌ وصَخُوب وصخبان: شديد الصَّخْبان: صُخبَان عن كراع، والأنثى صَخِيَة وصخّابة وصُخبة وصخوب، قال:

فَمَلَّكَ لو تُبَدِّلُنَا صَخُوبًـــا ** تَرُدُّ الأَمْرَدَ[51] المُخْتَارَ كَهْلاَ

وقول أسامة الهُذَلِيّ:

إذَا اضْطَرَبَ المُمَرُّ[52] بِجَانِبَيْهَـــا ** تَرَنَّمُ قَيْلَةٌ صَخِبٌ طَرُوبُ

حمله على الشخص فذكّر، إذ لا يعرف في الكلام: امرأة فَعِل، بلا هاء؛ واصطخب: افتعل، منه، قال الشّاعر:

إنَّ الضّفادعَ في الغُدرانِ، تَصْطَخِبُ.

وفي حديث المنافقين: صُخْبٌ بالنهار أي: صيّاحون فيه ومُتجادلون.

واصطخبَ القومُ وتصاخبوا إذا تصايحوا وتضاربوا.

وماءٌ صَخْبٌ الآذيّ ومُصطَخبُه إذا تلاطمت أمواجه أي: له صوت [53].

---

[50] – شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها؛ جمع وتصحيح أحمد بن الأمين الشنقيطي دار الأندلس للطباعة والنشر -بيروت- د.ط، د.ت، ص: 87.

[51]– الأمرد: الشاب طرّ شاربه ولم تنبت لِحيَتُه

[52] – المُمَرُّ: الحبل المفتول فتلا شديدا.

[53] – اللسان مادة (ص خ ب)، ج07، ص: 204.

قال الشاعر:

مُفْعَوْعِمٌ[54] ، صَخِبُ الآذِيِّ، مُنْبَعِـــقٌ[55].

واصطخابُ الطّير: اختلاط أصواتها.

وحمارٌ صخِب الشوارب: يردّد نهاقَهُ في شواربه.

والشّوارب: مجاري الماء في الحلق، قال:

صَخِبُ الشّوارِبِ لا يَزالُ، كأنّـــه ** عَبْدٌ لآلِ أبِي رَبِيعَة، مُسْبَـــعُ[56]،[57].

معنى الصيغة في سياق النّص الذي وردت فيه: (العِلمَ... العِلْمَ... أيّها الشبابُ لاَ يُلْهِيكُمْ عنهُ سِمْسَـــارُ أحزَابٍ..ولا داعية انتخاب، في المجامع صخّاب؛ فكلّ واحدٍ من هؤلاء مشغوذٌ خلاّبٌ). (عيون/4/351).

من خلال تتبعنا للمعاني التي تدور حولها كلمة (صخب) وجدناها تنحصر حـــول الصيـــاح والجلبـــة والضجة مرة؛ والمجادلة واختلاط الأصوات للخصام تارة أخرى.

وإذا انتقلنا إلى سياق النص الذي وردت فيه لمُعاينة الصورة التي وُضعت فيهـــا وجدناهـــا كالآتي: " صخّاب " وهو وصف للمبالغة لم يخرج في مغزاه ومرماه عن الدلالات السالفة الذكر.

غير أنّ لفظة " صخّاب " في سياق النص جيء بها لتدلّ على شدّة الصّخبِ وكثرة الصياح وارتفـــاع الأصوات، وهي صفة للموصوف المتمثل في " سمسار أحزاب "؛ أو " داعية انتخاب " كلاهما " في المجـــامع صخّاب ".

وهي الطّريقة التي كانت متّبعة في عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر من قبل أعوان الاستعمار وعملائه المتهافتين كالذباب على فتات موائده.

ولكي يبلغ كل حزب مُراده، ويحقق كل عميل هدفه كان يختار الشخص الذي يصلح للمهمة، ويتوفـــر على خصائص شخصية معينة منها: القدرة على الكلام؛ والمهارة في اللّعب بالألفاظ؛ والتميّـــز بالقـــــدرة على الإقناع، وقلب الحقائق؛ والقضايا كيفما شاء؛ وإبطال الحق؛ وإحقاق الباطل، وترســـيخه فـــي القلـــوب والعقول، وهو ما يسمى في وقتنا الحاضر بالسفسطائية الكلامية؛ أو الديماغوجية، أو لغة الخشب وغيرها مما يسدور في حلقة مفرغة أو كما يقال: جعجعة بلا طحين.

من أجل ذلك كله نرى الكاتب -وهو جدُّ مُحق في ذلك- ينصح الشباب حاثًّا إيّاهم على طلـــب العلـــم والاجتهاد فيه، وينهاهم أن يُشغلهم عنه سمسار أحزاب أو داعية انتخاب.

---

[54] المفعوعم: الممتلئ الفائض.

[55] – المنبعق: المندفع.

[56] – المسبع: المولود لسبعة أشهر.

[57] – المصدر السابق (ص خ ب) ج7، ص: 294، القاموس المحيط م1، ص: 92.

فالكاتب يخاف على الشباب ويشفق عليه من هذه الفقاقيع التي تمرّست على التلاعب بالألفاظ والعبارات؛ كما تدربت على التشدق بالكلام الحلو المعسول؛ ولذلك فهي تتمتع ببراعة فائقة في هذا المجال مكّنتها من السيطرة على عقول الشباب الغضّ الذي يفتقر إلى الخبرة والتجربة والممارسة الميدانية الشاقة الطويلة؛ ونتيجة لذلك فهو سريع التأثر بالكلام المعسول البراق الذي تُبنى به القصور في الهواء الفارغ، وتشيّدُ به الآمال العراض التي سُرعان ما تتلاشى وتذهب كما يتلاشى الدخان في الفضاء وعليه يجب على الشباب أن يكون كما تخيله الإبراهيمي المفكر الجزائري الفذ، والسياسيُّ المُحنك، والأب المُربي الماهر المتمكن المخلص الواعي بأسباب ودواعي نهضة الأمم ورُقيها يقول عن الشباب: (أَتَمَثّله حِلْفَ عَمَلٍ، لا حَلِيفَ بَطَالَة، وحِلْسَ مَعمَلٍ، لاَ حِلْسَ مَقْهَى، وبَطَلَ أَعْمَالٍ، لا مَاضِغَ أَقْوَالٍ، ومُرْتَادَ حقِيقَةٍ، لا رَائِدَ خَيَال.

أَتَمَثّله مُقْبِلاً على العِلْمِ والمعرفة ليعمل الخير والنّفع، إقبال النّحل على الأزهار والثمار لتصنع الشّهد والشّمع، مقبلا على الارتزاق، إقبال النّمل تجدُّ لتجد، وتَدَّخرُ لتفتخر، ولا تبالي مادامت دائبةً، أن ترجع مرّة مُنْجحةً ومرّة خائبة)[58].

العبارة التاسعة التي وردت فيها صيغة "فعّال" هي: (العِلْمَ... العِلْمَ... أيّها الشبابُ لاَ يُلْهِيكُمْ عنهُ سِمْسَارُ أَحزَابٍ...ولا داعية انتخاب، في المجامع صخّاب؛ فكلّ واحدٍ من هؤلاء مشغوذٌ خلاّبٌ). (عيون/4/351).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة (خلب): الخِلْبُ: الظّفْرُ عامة، وجمعه أخلاب لا يُكسَّرُ على غير ذلك وخلبه يخْلِبُهُ ويَخْلُبُهُ خَلْبًا: قطّعه وشقّهُ.

الجوهريُّ: والمِخْلَب للطّائر والسّباع. بمنزلة الظُّفر للإنسان.

والخِلابَةُ: المُخادعةُ، وقيل: الخديعة باللسان.

وخَلَبَهُ يخلُبُه خَلْبًا وخِلاَبَةً: خدعَهُ.

وخالبَه واختلبه: خادعه، قال أبو صخر:

فَلاَ مَا مضَى يُثْنَى، ولا الشّيبُ يُشترَى ** فَاَصفِقْ، عند السّوم، بَيْعُ المخَالِبِ.

وهي الخلّيبى، ورجلٌ خالب وخلاّب، وخَلَبُوتٌ، وخَلَبُوب، الأخيرة عن كراع: خدّاع وكذّاب، قال الشّاعر:

مَلَكْتُمْ، فلمّا أَنْ ملَكْتُمْ خَلَبْتُمْ ** وشرُّ الملُوكِ الغَادِرُ، الخَلَبُوتُ

وفي المثل: إذا لم تغْلِبْ فأخْلِبْ، بالكسر، أي اخدَعْهُ.

قال ابن الأثير: معناه إذا أعياك الأمر مُغالبَةً فاطلبهُ مُخادعةً.

وخَلَبَ المرأة عقْلَها يَخْلِبُهَا خَلْبًا: سلبها إيّاه، وخلبت هي قلبه، تخلبُه خَلْبا واختلبته: أخذته وذهبت به.

والخلباء من النساء: الخَدُوع. وامرأة خالبة وخلُوب وخلاّبة: خدّاعة وكذلك الخلبة،[59] .

---

[58] – عيون البصائر لمحمد البشير الإبراهيمي /الشركة الوطنية للنشر والتوزيع –الجزائر– ص: 586.

[59] – اللسان مادة (خ ل ب)، ج4 ، ص: 166.

قال النمر:

أوْدَى الشَّبابُ، وحُبُّ الخالة الخَلِبَة[60]** وقد بَرِئتُ، فما بالقلْبِ مِنْ قَلَبَة

والبرقُ الخُلَّبُ: الذي لا غيث فيه، كأنّه خادع يُومِضُ، حتّى تطمعَ بمطره، ثم يُخلفُكَ.

والخِلْبُ، بالكسر: حجاب القلب، والخُلْبُ، بالضم: لُبُّ النخلة.

والخُلُبُ، مثقّلا ومخفّفا: اللّيف، واحدتها خُلبةٌ.

وامرأة خلباء وخَنْبَنٌ: خرقاء، والنون زائدة للإلحاق وليست بأصلية.

قال رؤبة يصف النوق:

وخَلَّطَتْ كُلُّ دِلاَثٍ[61] عَلْجَـــنِ[62] ** تَخْلِيطَ خَرْقَاءِ اليدينِ، خَلْبَـــنِ.

ورواه أبو الهيثم: خلْباء اليدين، وهي الخرقاء، والخَلْبَنُ: المهزولة منه.

والخُلْبُ: الوشْيُ؛ والمخلَّبُ: الكثير الوشي من الثياب قال لبيد:

وغَيثٍ بِدَكْدَاكٍ، يَزِينُ وهَـــادَهُ ** نباتٌ كَوَشْيِ العَبْقَرِيِّ المُخَلَّـــبِ

أي: الكثير الألوان.

قال: الدّكداك ما انخفض من الأرض، وكذلك الوهاد، جمع وهدة، شبه زخر النبات بوشْيِ العبقريِّ.

ومن المجاز: برقٌ خُلَّبٌ: لا غيث معه، قال:

لَمْ يَكُ مَعْرُوفُكَ بَـــرْقًا خُلَّبَـــا ** إنّ خيرَ البرْقِ ما الغَيْثُ مَعَـــهْ

وأنشب فيه مَخَالِبَهُ: إذا تعلق به[63].

معنى الصيغة في سياق النّص الذي وردت فيه: (العِلمَ... العِلْمَ... أيّها الشبابُ لاَ يُلْهِيكُمْ عنهُ سِمْسَـــارُ أحزَابٍ...ولا داعية انتخابٍ، في المجامع صخّاب؛ فكلّ واحدٍ من هؤلاء مشعوذٌ خلاّبٌ). (عيون/4/351).

وبقليل من التأمل في معاني كلمة (خلب) في المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية نجدها تـــدور حـــول مدلولات القطع والشّق والأخذ مرة؛ والمخادعة والكذب والذهاب باللّب أو القلب مرة أخرى.

وإذا تأملنا اللفظة كما وردت في سياق النص نجدها وُضعت في هذا الشكل " خلاّب " وهـــو وصـــف لموصوف (مشعوذ) أريد به المبالغة في الوصف. والمشعوذ هو السّاحر الذي يمتاز بخفّة اليد مع النّفخ فيـــها بحيث لا يمكن للمشاهد أن يتابع ما يقوم به من حركات وأفعال تبعث على الدهشة والحيرة والإعجاب تحمـــل المتفرّج على التصديق والتسليم بما يدّعيه من الإتيان بالمعجزات وخوارق الأمور التي لا تخطر علـــى بـــال البشر. وما هي في حقيقة الأمر إلا مجرد أكاذيب، وخداع، وألاعيب فارغة لا تستند على أي دليل أو برهان.

---

[60] – امرأة خالة: أي مختالة: وقوم خالة: مختالون مثل باعة من البيع

[61] – الدّلاث: السريع.

[62] – علجن: وأصله العلج والنون زائدة للإلحاق وليست بأصلية: وهو حمار الوحش السمين القوي.

[63] – المصدر السابق مادة (خ ل ب) ج4، ص: 166–167، أساس البلاغة ج1، ص: 244.

ولذلك تجد لفظة (خلاّب) التي هي وصف تأتي بعد الموصوف -مباشرة- الذي يدّعي ما ليس في مقدوره تحقيقه لتكشف بصيغة المبالغة التي وُضعت فيها عن كثرة الزيف والبطلان الذي يزعمه الدّجّالون؛ ويحاولون بواسطته مخادعة العامة، من أمثال هؤلاء السّماسرة الذين أقْحمُوا أنُوفهم في ميدان السياسة وهم لها جاهلون قصد إبعاد الجماهير عن هدفها الأسمى النبيل.

ولمّا كان هؤلاء الدّجّالون الخدّاعون المُتلاعبون بعقول الناس وعواطفهم يُراهنون بكل شيء لتحويل الشعب الجزائري عن السّكة المُوَصّلة إلى التخلص من كابوس الاستعمار البغيض؛ ولمّا أعياهم ذلك لجأوا إلى استعمال الحيلة والمكر والدّسيسة وزرع الفتن بين أفراد الشعب عملا بالمثل العربي القائل: " إذا أعياكَ الأمْرُ مُغالبَةً فاطْلُبْهُ مُخَادعَةً "[64].

ولكن هيهات ثم هيهات أن يَحُولَ هؤلاء المغامرون المقامرون بين مقصد شعب عزيز كريم أبيٍّ عقد العزم على أن تحيا الجزائر حرّة كريمة سيدة استجابة لنداء الشاعر العظيم:

عِشْ عَزِيزًا أَوْ مُتْ وأَنْتَ كَرِيـــمُ ** بَيْنَ طَعْنِ القَنَا وخَفْقِ البُنُـــودِ[65].

فالموت من أجل الحرية والكرامة والشرف أفضل للمرء من حياة الذُّل والقهر والعبودية والاستغلال.

العبارة العاشرة التي وردت فيها صيغة فعّال هي: (فكُلُّ واحدٍ من هؤلاءِ مُشعوذٌ خلاّبٌ وســاحرٌ كذّاب). (عيون /4/351).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة (كذب): الكذب: نقيض الصّدق. كذبَ يَكذبُ كَذِبًا وكِذْبًــا وكِذْبَــةً وكَذِبة هاتان عن اللّحياني؛ وكِذَابًا وكذّابًا، وأنشد اللّحياني:

نادتْ حليمةُ بالوداعِ، وأَذَنَــتْ ** أهلَ الصَّفَاءِ؛ وودّعتْ بكِــذَابِ

ورجل كاذب، وكذّاب، وتِكذَابٌ وكَذُوبٌ، وكَذُوبَة، وكُذَبَة مثل هُمَزة، وكَذْبَانٌ وكَيْذَبَــانٌ وكَيْذُبَــان، مَكْذَبَــانٌ، ومَكْذَبَانة، وكُذُبذُبَان، وكُذُبْذُبٌ، وكُذُبْذُبٌ. قال جُريبَة ابن الأشيم:

فإذا سَمِعْتَ بأنَّني قد بِعْتُكُــــمْ ** بِوِصَالِ غَانِيةٍ، فقُلْ كُذُبْذُبٌ

قال ابن جنّي: أمّا كُذُبْذُبٌ خفيفَ، وكُذُبْذُبٌ ثقيل، فهاتان بِنَاءَانِ لم يحكهما سيبويه.

وقوله تعالى: " مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى "[66]. يقول: مَا كَذَبَ فُؤادُ محمدٍ ما رأى، يقول: قــد صدّقــه فــؤاده الذي رأى. وقُرئَ ما كذّب الفؤاد ما رأى، وهذا كله قول الفرّاء.[67]

---

[64] – المصدر السابق مادة (ك ذ ب) ج12، ص: 50–51.

[65]– مع المتنبي: طه حسين، دار المعارف بمصر ط9 / د.ت، ص:96.

[66] – سورة النجم، الآية: 11.

[67] – اللسان مادة (ك ذ ب) ، ج12، ص: 52.

ويقال: كَذَبَني فلانٌ أي لم يَصْدُقني فقال لي الكَذِبَ وأنشد الأخطل:

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ، أم رأَيْتَ بِوَاسِـــــطٍ ** غَلَسَ الظَّلامِ، من الرّبابِ، خَيَـــالاَ؟

معناه: أوْهمَتْكَ عَيْنُكَ أنّها رأت ولم تَرَ.

يقال: ما أوهمه الفؤاد أنه رأى، ولم يرى، وهذا كله قول الفرّاء.

يقول: لا مَكْذَبَةَ، ولا كُذْبَى، ولا كُذْبَانَ؛ أي لا أكْذُبُكَ.

وتَكَذّبوا عليه: زعموا أنّه كاذب، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

رَسُولٌ أَتَاهُمْ صَادِقٌ، فتَكَذَّبُـــــوا ** عليهِ وقَالُوا: لستَ فينَا بِمَاكِـــــثٍ

وتكذّبَ فلانٌ إذا تكلّفَ الكذِبَ، وأكْذَبَهُ: ألفاهُ كاذبًا؛

أو قال له: كَذَبْتَ.

وقال الفرّاء في قوله تعالى: " بِدَمٍ كَذِبٍ "[68] معناه مَكْذُوبٌ.

قال: والعرب تقول للكَذِبِ: مَكْذُوب، وللضعف مضعوفٌ، وللجَلَدِ مجلود، وليس له معقود رأيٍ، يريدون عقــدَ رأي، فيجعلون المصادر في كثير من الكلام مفعولا.

قال ابن الأنباري في تفسير قوله تعالى: " فإنّهم لا يُكْذِبُونك "[69].

بمعنى لا يجدونك كذّابا، عند البحث والتدبّر والتفتيش.

وقد يستعمل الكذب في غير الإنسان، قالوا: كذَبَ البَرْقُ، والحُلْم، والظنّ...إلخ.

قال أبو الهيثم في قول لبيد:

• أكذبِ النّفسَ إذا حَدَّثْتَهَا...

يقول: منّ نَفْسَكَ العيشَ الطَّويل، لتأمّلِ الآمَالَ البعيدة، فتجدُّ في الطلب، لأنّك إذا صدقتها، فقلت: لعَلَّكِ تَمُوتِيــنَ اليَوْمَ أو غَدًا، قصُرَ أمَلُهَا، وضَعُفَ طَلَبُهَا ثم قال:

* غيرَ أنْ لاَ تَكْذِبَنْهَا في التُّقَى

أي: لا تُسَوّفْ بالتوبة، وتُصِرُّ على المعصية.

وكَذَّبَ عنه: رَدَّ، وأراد أمرا، ثم كذَّبَ عنه أي: أحْجَمَ.

وكَذَبَ الوحشيُّ وكذَّبَ: جرى شوطا، ثم وقف لينظُرَ ما وراءه.

وما كذَّبَ أن فعل ذلك تكذيبا: أي: ما كَعَّ ولا لَبِثَ وحمل عليه فما كذَّبَ؛ بالتشديد، أي: ما انثنى، وما جبُــنَ، وما رجع وحمل ثم كذَّبَ أي: لم يصدق الحملة، قال زهير بن أبي سلمى:

لَيْثٌ بِعَثَّرَ يَصْطَادُ الــرِّجَالَ، إذَا ** ما اللَّيْثُ كَذَّبَ عن أقْرَانِهِ صَدَقَــا[70]

---

[68] – سورة يوسف، الآية: 18.

[69] – سورة الأنعام، الآية: 33.

[70] – المصدر السابق مادة (ك ذ ب)، ج12، ص: 52–53.

وفي حديث الزبير: أنّه حمل يوم اليرموك على الرّوم، وقال للمسلمين: (إنْ شَدَدْتُ عَلَيْهِمْ فَلاَ تُكَذِّبُوا) أي لا تجبنُوا وتولوا.

والتكذيب في القتال: ضدّ الصدق فيه.

وقد استعملت العرب الكذب في موضع الخطأ، وأنشد بيت الأخطل:

- كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ، أَم رَأَيتَ بِوَاسِطٍ

وفي حديث عُروة، قيل له: إنّ ابن عباس يقول إنّ النبي صلى الله عليه وسلم، لبث بمكّة بضع عشرة سنة، فقال: كذب، أي أخطأ ومنه قول عمران لسَمُرَة حين قال: المغمي عليه يُصلي كل صلاةٍ صلاةً حتّى يقضيها فقال: كَذَبْتَ ولكنّه يُصلِّيهنَّ مَعًا، أي أخطأتَ.

وكَذَبَ عَلَيْكُمُ الحَجُّ، والحجَّ بالرفع والنصب، فمن رفع، جعل كذب بمعنى وجب، ومن نصب، فعلى الإغراء، ولا يُصرَّف منه بَنَت ولا مصدر، ولا اسم فاعل، ولا مفعول، وله تعليل دقيق ومعان غامضة تجيء في الأشعار.

وفي حديث المسعوديّ: رأيتُ في بيت القاسم كَذَّابَتَيْنِ في السّقفِ، الكذَّابَة: يُصوَّرُ ويُلْزَقُ بسَقفِ البيت، سُميّت لأنها توهِمُ أنّها في السّقف، وإنّما هي في الثوب دونه.

والكَذّابان: مُسَيْلَمة الحَنَفِيّ والأسود العَنْسِيُّ[71].

معنى الصيغة في سياق النص الذي وردت فيه: (فكُلُّ واحدٍ من هؤلاءِ مُشعوذٌ خلاّبٌ وساحرٌ كذّاب). (عيون /4/351).

من خلال استقرائنا بتمعّن وتأمل للفظة (كذب) في المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية الأصلية ألفينا أن هناك معاني عدة تتعاقب على الكلمة عبر النّصوص القرآنية والشعرية والنثرية التي وُظفت فيها. ومن هذه المعاني التي تدور عليها الكلمة منها أنّ الكذبَ يأتي نقيضًا للصّدق؛ وحملة فلان لا تكذِبُ أي: لا يَرُدُّ حَمْلَتَه شيء، ومنها لا يُكذِّبونك أي لا يجدونك كذّابًا.

وكَذِبَتِ العينُ: خانها حِسُّهَا، وكذَب الرأي: توهّم الأمر بخلاف ما هو به..إلخ.

والكَذُوبُ: هي النّفس الأمّارة بالسّوء؛ وكذبَ عنه أي: أحجم وحمل عليه فما كذّبَ أي: ما جَبُنَ وما رجع وكذَبَ أبو محمد أي أخطأ.

وكذب عليكم الحج أي: وجب عليكم.

وبالعودة إلى اللّفظة كما وردت في سياق النص نجدها قد وضعت في هذه الصورة (كذّاب) على زنة (فعّال) الذي يفيد هنا المبالغة في الكذب، والإسراف فيه؛ واصطباغ نفسه حتّى أصبح صفة لاصقة به لا تكاد تفارقه لحظة فهو يعيش بها ولها فأصبحت سمةٍ يوسم بها ويُعْرَف لدى العامّة والخاصة.

و(كذّاب) هنا تدلّ في معناها على مناقضة الصّدق ومخالفة الحقيقة الثابتة؛ والواقع الحسّي الملموس الذي لا يقبل شكًّا؛ أو تأويلا؛ أو تبديلا من أحد؛ اللهم إلا إذا تدخلت الذاتية التي لا تبالي بشيء عدا المصلحة الشخصية الآنية؛ والنظرة الضيقة للأشياء، والهوى المتبع، والأنانية المقيتة.

---

[71] – المصدر السابق مادة (ك ذ ب) ج12، ص:54-56

ولفظة "كذّاب " في هذه الصيغة هو وصف دالّ على أنّ الكذب الصادر عن هذه الشّرْذُمَة التي آلت على نفسها أن تكون في خدمة الاستعمار لتدمير أمتها وأبناء وطنها العُزّل قد فاق التصور وتجاوز مفهوم الكذب المألوف عند النّاس الذين يُدفعون إليها دفْعا. لكن هؤلاء قد أصبحوا أناسا محترفين فيه، فصارت مهنتهم الوحيدة خلق هذه الافتراءات؛ والأباطيل، وتزويقها وزخرفتها ثم تقديمها إلى الشعب الجزائري في صورة مُبهرجة جميلة جذّابة لينخدع بها، ويُسلّم أمره إلى الاستعمار وهو لا يدري بما دُبّر له وحُبك في الظلام الحالك من دسائس؛ ومؤامرات يشيبُ لها الولدان؛ ويُدمى لها الفؤاد؛ وتتمزق لها الأكباد. هذا كلّه من أجل تكريس هيمنة الاستعمار، وإطالة عُمْرِ القهر، والجهل؛ والحرمان؛ وسياسة الابتزاز لثروات الشعوب وتصديرها جوًّا وبحرا إلى العاصمة باريس، ومن أجل كذلك -وهو الهدف الأول- محْو المقوّمات الشخصية للشعب الجزائري من دين ولغة وتراث وعُروبة.

العبارة الحادية عشرة التي وردت فيها صيغة فعّال هي: (فإنّ الشّياطينَ تَنَزّل على كُلّ أفّاكٍ أثِيم). (عيون/ 9/354).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة (أفك): الإفْك: الكذب والأفيكة: كالإفْكِ، أفَكَ يأفِك وأفِكَ يأفَك إفكًا وأفُوكا وأُفَكًا وأفْكا وأفَكَ. قال رؤبة:

لا يأخُذُ التّأفيكَ والتّحَزّي ** فِينَا، ولا قَولَ العِدَى ذُو الأزّ[72].

التهذيب: أفَكَ يأفِكُ وأفِكَ إذا كذب.

وأفّك الناس: كذّبهم وحدّثهم بالباطل.

والإفْك: الإثم، والإفكُ الكذب، والجمع الأفائكُ ورجلٌ أفّاكٌ وأفيكٌ وأفُوكٌ: كذّاب. وآفكه: جعله يأفك.

وفي حديث عرض نفسه على قبائل العرب: لقد أفِك قومٌ كذّبوكَ ظاهروا عليكَ. أي: صُرِفوا عن الحقّ ومُنِعُوا منه. وفي التنزيل (يُؤْفك من أُفِكَ)[73]. قال الفرّاء: يريدُ يُصرَف عن الإيمان من صُرِفَ كما قال: (أجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عن آلِهَتِنَا)[74] ؛ يقول لِتَصرِفَنَا وتَصُدّنَا. والأفّاك: الذي يأفِك الناس أي يصُدهم عن الحق بباطله. والمأفوك: الذي لا زورَ له.

شمّر: أفِكَ الرّجل عن الخير: قُلِبَ عنه وصُرِفَ. [75]

---

[72] – الأزّ: أن تحمل إنسانا على أمر بحيلة ورِفق حتى يفعله.

[73] – سورة الذاريات، الآية: 9.

[74] – سورة الأحقاف، الآية: 22.

[75] – المصدر السابق مادة (أ ف ك) ج1، ص: 166.

والمؤتفكات: مدائن لوط، على نبينا عليه الصلاة والسلام، سميت بذلك لانقلابها بالخسف. قال تعالى: (والمؤتَفِكَةَ أَهْوَى)[76].

وقوله تعالى: (والمؤتَفِكَات أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالبَيِّنَاتِ)[77].

قال الزجّاج: المؤتَفِكَاتُ جمع مؤتفِكَة، ائتفكت بهم الأرض انقلبت.

وفي حديث بشر بن الخصاصية: قال له النبي صلى الله عليه وسلم: ممّن أنتَ؟ قال: مِنْ: من ربيعة، قال: أنتم تزعمون لولا ربيعة لأتفكت الأرض بمن عليها أي : انقلبت.

والمؤتفكاتُ: الرياحُ تختلف مهابُّها. والمؤتفكات: الرياح التي تَقْلِبُ الأرضَ.

وأرض مأفوكة: وهي التي لم يُصِبْها المطر فأَمْحَلَتْ.

ابن الأعرابي: ائتفكت تلك الأرض أي: احترقت من الجَدب وأنشد:

كأنَّهَا، وهي تَهَاوَى تَهْتَلِـــكُ ** شَمْسٌ بِظِلٍّ، ذَا بِهَذَا يَأْتَفِـــكُ

قال: يصف قطاة باطن جَنَاحَيْهَا أسْوَدُ وظاهِرُهُ أبيض.

فشبّه السَّواد بالظّلمة وشبّه البياض بالشمس[78].

معنى الصيغة في سياق النص الذي وردت فيه: (وصَدَقَ اللهُ العَظِيمُ، فإنَّ الشَّيَاطِينَ تَنَزَّلُ علـى كـلِّ أَفّاكٍ أَثِيمٍ). (عيون/9/354).

عندما رجعنا إلى المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية المختلفة، ألفينا أن كلمة (أفك) ومشتقاتها المختلفة تدل على معاني عدة منها ما هو أساسي لها؛ ومنها ما هو فرعيٌّ فيها.

فمن المعنى الأساسي للكلمة: قَلَبَ الشيء عن حقيقته وجعله مخالفا ومناقضا لها؛ أو هو الصّرفُ والصدّ عنها.

وأمّا المعاني الفرعية فهي عديدة منها: ائتفكت الأرض: احترقت من الجَدْب؛ والمأفوك: الضعيف العقل والرأي؛ والمؤتفكة مدائن لوط؛ وأفِكَه بمعنى خدعه، وأرض مأفوكة: التي لم يصبها المطر فامْحلت... إلخ.

---

(76) – سورة النجم، الآية: 53.

(77) – سورة التوبة، الآية: 70.

(78) – المصدر السابق مادة (أ ف ك) ج1؛ ص: 166– 177.

ومما جاء في تفسير التحرير والتنوير عن لفظة الإفك: اسم يدل على كذبٍ لا شُبهة فيه فهو بُهتان يفجأ النّاس. وهو مشتق من الإفك بفتح الهمزة وهو قلب الشيء، ومنه سُميّ أهل سدوم وعمّورة وأدُمة وصَبُوييم: قُرى قوم لوط أصحاب المؤتفكة لأن قراهم ائتفكت؛ أي قلبت وخُسِفَ بها فصار أعلاها أسفلها فكان الإخبارُ عن الشيء بخِلاف حالته الواقعية قلبًا له.

وأمّا " الأفّاكُ " فهو كثير الإفْكِ على سبيل المبالغة والتكثير؛ أي كثير الكذب، والأثيم كثير الإثم وإنّما كان الكاهن أثيمًا لأنّه يضم إلى كذبه تضليل الناس بتمويهٍ أنّه لا يقول إلاّ صدقًا، وأنّه يتلقى الخبرَ من الشّياطين والجِن التي تأتيه بخبر السّماء[79].

وكان في العرب كُهّانٌ يزعمون أنّ الجِنّ تنقل إليهم الأخبار، وكان الناس يلجأون إليهم ويركنون إلى نُبُوءاتهم. وهؤلاء الكُهّان لا يقتصر ظهورهم على عصر دون عصر وإنّما يظهرون من حين لآخر عندما تتوفّر أسباب وعوامل سياسية واجتماعية واقتصادية معينة.

وأكثرهم كاذبون أي: أكثر هؤلاء " الأفاكين " كاذبون فيما يزعمون أنّهم تلقّوه من الشياطين وهم لم يتلقّوا منها شيئا وبعضهم يتلقّى شيئا قليلا من الشياطين فيكذب عليه أضعافَه أي: يزيد عليه أضعافَه[80].

وهذا الصّنف قد كثر لمّا توفرت الأسباب والعوامل التي ذكرنا سابقا في عهد الاستعمار الفرنسي للجزائر؛ وانتشر هنا وهناك في أرجاء البلاد -بدرجات متفاوتة بينها في الكم والكيف- يُشرف على قيام الزّرَدِ والأعراس والحفلات والولائم الموسمية؛ وغالبا ما تقع هذه الولائم الموسمية وغيرها في النصف الثاني من فصل الربيع وأوائل فصل الخريف، ويُدعى إليها كلُّ من هبَّ ودبَّ من علماء وجهلاء، وأغنياء وفقراء؛ ورجال ونساء وشيوخ وأطفال في الأماكن التي تتواجد بها أضرحة " أولياء الله الصّالحين ".

واصطنع المعمّرون الأوروبيّون أضرحة أخرى عديدة وزّعوها هنا وهناك على ضفاف مزارعهم بمعاونةٍ من الكُهّان " الأفاكين " لأجل حراسة مزارعهم من اللصوص؛ وبذلك استغنوا عن الحرّاس الذين كانوا يتقاضون أجورا ومرتبات شهرية مقابل هذه الحراسة الليلية والنهارية لأنّ هذه القباب البيضاء والخضراء محترمة غاية الاحترام، ومقدسة مهيبة غاية التقديس والهيبة من قبل العامة ونفر من الخاصة؛ ولأنّ " ولي الله الصّالح " سيُلحق الأذى بكلّ من يمسُّ هذه المزارع والحقول الممتدة الواسعة المجاورة له بسوء ! ! !

ولذلك فإنّ الحديث عن هذه القباب والأضرحة ومكانتها بالنسبة للمعمّرين طويل ومتشعّب لا يتسع له المقام هنا منها أن المعمّرين الأوروبيين كانوا يحضرون هذه " الزّرد " بأنفسهم، وكانوا أيضا يساهمون فيها بالذبائح والقرابين. ويُشاركون في بنائها وتزيينها، وترميمها كلما دعت الضرورة إلى ذلك، ويشجعون زرعها وتواجدها في مختلف أنحاء القطر الجزائري إلى أبعد الحدود. هذا كلّه -لحاجة في نفس يعقوب- بطبيعة

---

[79] - تفسير التحرير والتنوير ج19، ص: 206.

[80] - تفسير في ظلال القرآن ج5، ص: 2620.

الحال؛ ودائما بحضور وتحت إشراف " الأفاك " ودرْوشته وتدجيله؛ وبتظافر الجهود كلّها يتمّ البناء ويتحقق المُراد إن شاء الله !؟.

ففي الحديث الصحيح أنّ النبي صلّى الله عليه وسلم: سُئل عن الكُهّان: فقال: لَيْسُوا بشيء. قيل يا رسول الله: فإنّهم... يُحَدّثون أحيانا بالشيء يكون حقّا. فقال: "تلك الكلمة من الحق يَخْطَفُهَا الجِنِّيُّ فيقرّها في أذُنِ وليّهِ قَرَ القَجاجة فيخلطون عليها أكثر من مائة كذبةٍ " فهم " أفّاكون " وهم متفاوتون في الكذب. فمنهم " أفّاكون " فيما يزيدونه على خبر الجِنّ؛ ومنهم " أفّاكون " في أصل تلقي شيء من الجِنّ؛ ولمّا كان حال الكُهّان قد يلتبس على ضعفاء العقول ببعض أحوال النبوّة في الأخبار عن غيب؛ وأسجاعهم قد تلتبسُ بآيات القرآن في بادئ النظر، نجد أنّ القرآن الكريم قد أطنب في سورة الشّعراء في بيان ماهية الكهانة وبيّنت أنّ قصارها الإخبار عن أشياء قليلة قد تصدُقُ فأين هذا من هدْي النبيّ والقرآن وما فيه من الآداب والإرشاد والتعليم والبلاغة والفصاحة والصّراحة والإعْجاز ولاَ تصدّي منه للإخبار بالمُغيّبات. كما قال: " ولا أعلَمُ الغيبَ "[81]. في آيات كثيرة من هذا المعنى[82].

فكيف تدّعي هذه الفئة " الأفّاكة " عِلْمَ ما غاب عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ وما تَحَفَّظ القرآن من الإعلان عنه، وما غاب عن أصحاب محمّد الأخيار الأطهار الصّادقين رضي الله عنهم أجمعين !؟

العبارة الثانية عشرة التي وردت فيها صيغة فعّال: (وَجَلّ دين الله أنْ يَعْلَقَ بِهؤلاء السّمّاعين للكذب، ...). (عيون /7/381).

المعنى اللغوي الاشتقاقي لكلمة: (سمع): السّمع: حسُّ الأذُنِ وفي التنزيل: (أَوْ أَلْقَى السّمعَ وهو شَهِيدٌ)[83] وقال ثعلب: معناه خَلاَلَهُ فلم يشتغل بغيره، قد سمِعَهُ سمْعًا وسِمْعًا وسَمَاعًا وسَمَاعَةً وسماعيةً. قال اللحياني: وقال بعضهم السَّمع: المصدر؛ والسِمْع: الاسم؛ والسَّمع أيضًا: الأذن.

قال ابن برّي: وقد تأتي سمِعتُ بمعنى أجَبْتُ، ومنه قولهم: سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَ أي: أجَابَ حَمْده وتقبّله وعليه ما أنشده أبو زيد:

دَعَوْتُ، حتّى خِفْتُ أنْ لاَ ** يَكُونَ اللهُ يَسْمَعُ ما أقُول

ومنه الحديث: اللّهمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من دُعَاءٍ لا يُسْمَعُ أي: لا يُسْتَجَابُ ولا يُعتدّ به فكأنّهُ غير مسموع. وفعيل من أبنية المبالغة. وفي التنزيل: (وكَانَ اللهُ سَمِيعًا بَصِيرًا)[84]، [85]

---

[81] – سورة الأنعام، الآية: 51.

[82] – تفسير التحرير والتنوير ج19، ص: 206-207

[83] – سورة ق، الآية: 37.

[84] – سورة النساء، الآية: 134.

[85] – اللسان مادة (س م ع) ج6، ص: 364.

هو الذي وسعَ سمْعُه كُلَّ شيءٍ كما قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: قال الله تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَـــوْلَ التي تُجَادِلُكَ في زَوْجِهَا)[86]؛ وقال في موضع آخر: (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ ونَجْوَاهُمْ بَلَى)[87]، ورجلٌ سَمَّاعٌ إذا كان كثير الاستماع لما يقال ويُنْطق قال الله تعالى: (سَمَّاعُون للكَذِبِ)[88].

قال اللّيث: يُقال سَمِعْتُ أُذُنِي زيْدًا يفعل كذا وكذا أي أبْصَرْتُه بعيني يفعل ذلك؛ قـــال الأزهـــــري: لا أدري من أين جاء اللّيثُ بهذا الحرف وليس من مذاهب العرب أن يقول الرّجل سمعت أُذُني بمعنى أبْصرتُ قـــال: وهو عندي كلام فاسد ولا آمن أن يكون ولّده أهل البدع والأهواء.

والسِّمْع والسَّمعُ، الأخيرة عن اللحياني والسّماع كلّه: الذّكرُ المسموع الحَسَنُ الجميل، قال:

أَلاَ يا أُمَّا فَارِعَ لاَ تَلُومِـــــي ** على شيءٍ رَفَعْتُ بِهِ سَمَاعِـــــي.

والسّماع والمُسْمِعة المغنّية.

ومن أسماء القيد المُسْمع، وقوله أنشد ثعلب:

ومُسْمِعَتَانِ وزُمَّـــــــارَةٌ ** وظِلٌّ مَدِيدٌ، وحِصْنٌ أنِيـــقٌ

فسّره فقال: المُسْمِعَتان: القيدان كأنّهما يغنيانِه، وأنّثَ لأنّ أكثر ذلك للمرأة. والزّمارة: السّاجور.

وأسْمَعَه أي: شَتَمَه. وسمّع بالرّجل: أذاعَ عنه عيبًا ونددّ به وشهّره وفضحَه.

ومن التسميع بمعنى الشّتم وإسماع القبيح قوله صلّى الله عليه وسلّم: (منْ سَمَّعَ بِعَبْدٍ سَمَّعَ الله بِهِ).

والمِسْمَعَ: مَوْضع العُروة من المزادة، وقيل: المِسْمَع عُرْوة في وسط الدّلو والمزادة والإداوة، يُجعَل فيها حبـل لتعدل الدّلوَ.

يقول عبد الله بن وفى:

تُعَدِّل ذَا المَيْل إنْ رَامَنَـــــا ** كَمَا عُدِّلَ الغَرْبُ بالمِسْمَـــــعِ.

وأسمع الدّلو: جعل لها عُرْوةً في أسفلها من باطنٍ ثم شدَّ بها حبْلاً لتخِفَّ على حاملها.

والسّمَعْمَعُ: الصّغير الرّأس والجثّة الدّاهية، قال ابن برّي شاهده قول الشّاعر: كأنَّ فيه وَرَلاً سَمَعْمَعَا.

وقيل: هو الخفيف اللّحم السّريع العمل الخبيث اللّبِق، طال أو قصُر وغول سَمَعْمَع وشيطان سَـمَعْمَع لخُبثـــه، قال:

- ويْلٌ لأجْمَالِ العَجُوزِ مِنِّـــــي.
- إذا دَنَوْتُ أَوْ دَنَوْنَ مِنِّـــــي،
- كأنّني سَمَعْمَعٌ مِنْ جِـــــنّ.

لم يقنع بقوله سمعمع حتى قال من جن لأن سمعمع الجنّ أنكر وأخبثُ من سمعمع الإنس[89].

---

[86]– سورة المجادلة، الآية: 1.

[87] – سورة الزخرف، الآية: 80.

[88]– سورة المائدة، الآية: 42.

[89] – المصدر السابق مادة (س م ع) ج6؛ ص: 364–368.

معنى الصيغة في سياق النّص الذي وردت فيه: (وَجَلّ دين الله أنْ يَعلّقَ بِهؤلاء السّمّاعين للكذب، ...). (عيون /7/381).

إنّ المتأمل في معاني كلمة (سمع) كما وردت في المصادر اللغوية العربية يَجدُها تتمحور حول قُطبين أساسيين من المعاني؛ أحدها: " المعنى الرّئيسي وهو حسُّ الأُذُنِ أي: ما تستوعبه وما يدخلها من أصوات مختلفة عَبْرَ مَسمعها وهو خرْقها الذي يُسمعُ به ومدخل الكلام فيها.

والثاني: المعاني الفرعية التي تستفاد من سياق الكلام وتراكيبه المختلفة. ولذلك وجدنا لفظة (سمع) جاءت بمعنى أجاب وتقبل في دعاء الصّلاة في قولك: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَ، وجاءت بمعنى ذِكْرِه وصيتُه في قولك: ذهبَ سَمْعُه في النّاس؛ وجاءت بمعنى رَفَعَه من الخمول ونشر ذكره في قولك: سَمَّعَ به أي: أذاع عنه عيبا وندّد به وشهّره وفضَحه.

ولذلك فاللفظة المقصودة بالدراسة والتفسير والتحليل هي قوله: " السّمّاعينَ " وهي مشتقة من اسم الفاعل (سامع)، لذلك فهي صيغة مبالغة على زنة "فعّال "؛ و "السّمّاع " هو الكثير السّمع؛ أي الاستماع لِمَا يقال له ويُنطَقُ به في حضوره والسمع هنا مستعمل في حقيقته، أي أنّهم يُصغُون إلى الكلام الكذب وهم يعلمون أنّه كذب وافتراء من عندهم؛ أي أنّهم يحفلون بذلك ويتطلّبونه فيكثر سمَاعُهم إياه.

وفي هذا كناية عن تفشي الكذب في جماعتهم بين سامع ومختلق؛ لأنّ كثرة السّمع تستلزم كثرة القول[90].

والمراد بالكذب؛ هو كذب الإدارة الجزائرية إبّان الاحتلال الفرنسي البغيض للجزائر؛ وأمّا المراد بـ ((السّمّاعين)) فهم أعوان الإدارة السّالفة الذكر المحتالة. إنّهم يعملون جميعا ليلا ونهارا لإحياء عوائد الزّرد و (الوعائد). ومَعَالِمَ البدع والعوائد التي تُنتهك فيها الحُرُمات وتستحلُّ فيها المحرّمات، ويختلط فيها النّساء بالرّجال، وتهيج فيها الغرائز والشهوات؛ وتنطلق فيها الأهواء والنزوات وينزُو فيها الحمار على أية أتان !؟

وكان هؤلاء (السّمّاعون) الدّجالون المبتورون يُصغُون بملء عقولهم؛ وملء قلوبهم إلى ما تملي عليهم العجوز الشّمطاء، وهم يُدركون جيّدا أن تعاليمها تخريف في تخريف، وألاعيب في ألاعيب، ومكر وخبث ودهاءٌ ومؤامرات سياسية لتكريس الهيمنة، وابتلاع الأمة، ولكنهم كما قال صاحب عيون البصائر: (...وكلّهم لا يَعرفون معنى للعيب إذا امتلأ الجيبُ؛ ولا يأبه للعار، وإن دخل النّار ولا كعَاصِميِّ الزّرْدِ مُشَعْوَذًا يأكُل الدُّنيا بالدّين، ويَضلُّ عن سبيل المُهتدين)؛ فعاصميُّ الزّرْد هو وأمثاله (السّمّاعين للكذب) كان يدعو إلى وعدة (عابد) ويُقيمها بسيّئاتها ومُوبقاتها وفواحشها، على أسوءِ ما كانت تقع عليه من المنكرات لا يصيغها عقل ولا دينٌ ولا مُرُوءة[91].

---

[90]– تفسير التحرير والتنوير ج6، ص: 199.

[91] – عيون البصائر ص: 380–381.

العبارة الثالثة عشرة التي وردت فيها صيغة "فعّال" هي: (وَجَلَ دين الله أنْ يَعلّقَ بسهؤلاء السمّاعين للكذب: الأكّالين للسُّحت). (عيون /7/381).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة: (أكل): أكلتَ الطعام أكْلاً ومأكلاً.

ابن سيدة: أكل الطعام يأكله أكلاً فهو آكل والجمع أكلةٌ والإكلة؛ بالكسر: الحال التي يأكل عليها مُتّكئًا أو قاعدًا مثل الجلسة والرُّكبة يقال: إنّه لَحَسَنُ الإكلة.

والأكلةُ؛ بالفتح: المرة الواحدة حتّى يشبع. والأُكلة: اسم للقمة ورجل أُكَلَة وأُكُول وأكيل: كثير الأكل.

وآكله الشيء: أطعمهُ إيّاه وآكلَني ما لم آكُل وأكّلَنيه، وكلاهما: ادّعاه عَلَيَّ.

وفلان يَستَأْكِلُ الضعفاء: أي يأخذ أموالهم

والأكل: الطّعمة. وفلان أكيلي: وهو الذي يأكل معك.

والإيكال بين النّاس: السّعي بينهم بالنّمائم. وفي الحديث: من أكل بأخيه أُكلَةً؛ معناه الرّجل يكون صديقا لرجل ثم يذهب إلى عدوّه فيتكلم فيه بغير الجميل لِيُجيزهُ عليه بجائزة فلا يُبارك الله فيها. ما نُقت أكَالاً، بالفتح، أي طعاما، و المُؤكّل: المُطعم.

وفي الحديث: لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرّبَا ومُؤْكِلَهُ، يريد به البائع والمشتري ويقال: فلانٌ أكَّل مالي وشرّبه أي: أطعمهُ النّاس.

والآكَال: مآكل الملوك؛ وآكالُ الملوك: مأكلهم وطُعمُهُم.

وآكلتُ بين القوم: أي حرّشْتُ وأفسدْتُ.

وآكَلَ النّخلُ والزّرعُ والشجرة وكلّ شيء، إذا أطعمَ وأُكُلُ الشجرة: جناها. وفي التنزيل العزيز: (تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حينٍ بإذْنِ ربّها)[92].

ورجُلٌ ذُو أُكْل أي: رأيٌ وعقلٌ وحَصَافَة.

وثوبٌ ذو أُكل: قوي صفيق كثير الغزل.

ويُقال للعصا المُحدّدة: آكلةُ اللحم تشبيها بالسّكين والمئكلة من البرام: الصغيرة التي يستخفها الحي أن يطبخوا اللّحم فيها والعصيدة.

وأَكِلَ الشيءُ واتّكَلَ وتأكّل: أكل بعضه بعضًا، والإسم الأكَال والإكال وقال الجعديّ:

سألَتْني عَنْ أُناسٍ هَلَكُوا ** شَرِبَ الدّهرُ عَلَيْهِمْ وأُكَلْ.

والأكِلَةُ، مقصور: داء يقع في العُضو فيأتكل منه.

وتأكّل الرّجل وآتكل: غضب وهاجَ وكاد بعضه يأكل بعضا.

والإكلة والأُكَالُ: الحِكّة والجَرَب أيًّا كانت.

وأكِلَتِ النّاقة تأكَل أكْلاً إذا نبت وبَرُ جنينها في بطنها فوجدت لذلك أذًى وحِكّة في بطنها[93].

---

[92]. – سورة إبراهيم، الآية: 25

[93] – اللسان مادة (أ ك ل) ج1، ص: 170-171.

والأُكْلة والإكْلَة، بالضّم والكسر: الغيبة. وإنّه لذو أُكلة للنّاس وإكْلَة وأُكْلَة أي غيبة لهم يغتابون؛ الفتح عن كُراع. وآكلَ بينهم وأكّلَ: حمل بعضهم على بعض كأنّه من قوله تعالى: (أيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا)[94].

وقال أبو نصر في قوله: أبا ثُبَيْتٍ، أمَا تَنْفَكُّ تأتَكِل.

معناه تأكل لحومنا تغتابنا، وهو تفتعل من الأكل[95].

معنى الصيغة في سياق النّص الذي وردت فيه: (وَجَلّ دين اللهِ أنْ يَعلقَ بِهؤلاء السّمّاعين للكذب؛ الأكّالين للسُّحت). (عيون /7/381).

حينما نتبعنا معاني كلمة (أكل) بتمعن في المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية التي تناولتها بالشرح والتفسير ألْفيناها تدل على نوعين من المعاني؛ الأول: معنى أصلي؛ ولفظة الأكل فيه بمعنى تناول الطّعام. والثاني: معنى فرعي والكلمة فيه تدل على معانٍ فرعية عديدة منها: أن الأكل بمعنى البيع والشراء، ومنها الادّعاء على شخصٍ شيئًا لم يفعله، ومنها أخذ أموال الضعفاء وغير ذلك من هذه المعاني التي سَبَقَ التلْميح إليها قبل قليل.

وعندما نتأمّل اللفظة في سياق النّص الذي وردت فيه، والبناء الذي وُضعت فيه نجده هكذا " الأكّالين " على زنة (فعّال) وهي صيغة للمبالغة تدل على كثرة النّهب، والسّلب؛ وأكل الحرام دون مبالاة بوخز الضمير ولا الوازع الدّيني ولا رادع القانون –إنْ كانت في هذه الحُقبة قانون– !؟

والمدلول الذي حملته اللفظة هنا هو مدلول مجازي حيث دلّت على معنى الأخذ والسّلب لأموال الغير دون حق؛ ولم تدلّ على معنى الطّعام أو تناوله لأن السياق يفضح الفئة المشعوذة التي استغلها الاستعمار الفرنسي الذي وَضَعَ من بين ما وَضَعَ إحدى إستراتيجيته الكبرى: الاستيلاء والنهب لثروات الشعوب ونقلها إلى الأمّة الفرنسية !؟. قلنا هذه الفئة التي كانت تمارس الشعوذة، والتدجيل، والسّحر كلّها باسم الدّين والإسلام لتنهب هي الأخرى، وتمتص ثروات، وأموال، وأملاك الشّعب الجزائري لتُسَلّمها في نهاية المطاف لُقمة سائغة للمستعمر الفرنسي البغيض؛ ولا تحتفظ هذه الفئة المبتورة لنفسها إلا بالفتات الزّهيد الضئيل الذي لا يسمن ولا يغني من جوع.

وكانت هذه الفئة المعروفة بتديّنها تشرفُ على إدارة الدّين فتستحلّ ما حرّم الله؛ وتحرّمُ ما أحلّ؛ وبذلك تُقدّم كثيرا من الفتوى التي ما أنزل الله به من سلطان بسبب تأويلها لأحكام الدّين وشرائعه طبقًا لما يخدم مصالحها الخاصة ومطامعها التوسعية هي والاستعمار على حدّ سواء.

وبذلك غرقت في الرّبا والرّشاوى والمُتاجرة بآيات الله لتحصل بها على ثمن قليل مقابل بيع الوطن والكرامة والسيادة.

---

[94] – سورة الحجرات، الآية: 12.

[95]– المصدر السابق مادة (أ ك ل) ج1، ص172–173.

لذلك فلفظة " أكّالين " هنا –مرة أخرى– جاءت لتدل (على كثرة الأكل مجازاً لا حقيقة فهي استعارة بمعنى كثرة الأخذ والمبالغة فيه دون استحقاق شرعي)[96].

واللفظة تجسّد بهذا المجاز شدة الجشع، وقوة النّهم والطمع الذي سقط فيه هؤلاء الدّجالون الخائنون لله ورسوله، والأمّة الجزائرية، والوطن.

والسُّحتُ كل مال لا يحلُّ كسبُه في الشّرع، وهو من –سَحَتَه– إذا استأصله لأنه مسحوت البركة ممحوقها كما قال تعالى: (يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا)[97]. والرّبا بابٌ من السّحْت.

وعن النّبي صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ لَحْمٍ أَنْبَتَهُ السُّحْتُ فالنّار أَوْلَى بِهِ) [98].

قال الفرزدق:

وَعَضُّ زَمَانٍ يا ابنَ مَرْوَانَ لم يَـــدَعْ ** مِنَ المَالِ مُسْحَتٌ أَوْ مُجَنَّـــفُ

والسُّحتُ يشمل جميع المال الحرام كالرّبا والرّشوة وأكل مال اليتيم والمغصوب ويُسمّى الحرامُ سُحتًا لأنّه يقطع البركة ويمحقها.

وما أشدّ انقطاع البركة وزوالَها من المجتمعات المنحرفة !وهو ما نشاهده بأعيننا في كل مجتمع شاردٍ تائه عن منهج الله؛ وشريعة الله. [99].

العبارة الرابعة عشرة التي وردت فيها صيغة فعّال هي: (وإنَّ الزّمانَ قَاهرٌ غَلاَّب بأطوارِه وظُروفه). (عيون/11/432).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة: (غلب): غَلَبَه يَغْلِبُهُ غَلْبًا وغَلَبًا، والأخيرة أفصح وغَلَبَةً ومَغْلَبًا ومَغْلَبَة، قال أبو المثلّم:

رَبَّاءُ مَرْقَبَةٍ، مَنَّاعُ مَغْلَبَةٍ ** رَكَّابُ سَلْهَبَةٍ، قَطَّاعُ أَقْرَانِ.

وغُلِّبَ وغُلِبَ عن كِراع. وغُلْبَةٌ، الأخيرة عن اللحياني: قهره.

والغُلُبَّة، بالضّم وتشديد الباء: غَلَبَ، قال المرّارُ:

أَخَذْتُ بنَجْدٍ ما أخذتُ غُلُبَّةً ** وبالغورِ لي عِزٌّ أَشَمُّ طَوِيلُ

ورجُلٌ غُلُبَّةٌ أي يَغْلب سريعًا، عن الأصمعيّ.

وقالوا لمن الغلبة والغَلَبُ؟ ولم يقولوا: لِمَنْ الغَلَبُ؟ وفي التنزيل العزيز: هُمْ مِن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُون)[100] [101].

---

[96] – الكشاف للزمخشري، ج1، ص: 634.

[97] – سورة البقرة الآية: 95.

[98] – تفسير التحرير والتنوير، ج6، ص: 202.

[99] – تفسير في ظلال القرآن / سيد قطب/ ج2؛ ص: 893.

[100] – سورة الرّوم الآية: 3.

[101] – اللسان مادة (غ ل ب) ج10؛ ص: 97.

وفي حديث ابن مسعود: (ما اجتمع حلالٌ وحَرَام إلاّ غَلَبَ الحَرَامُ الحَلاَلَ) أي إذا امتزج الحرامُ بالحلال، وتعذّر تمييزهما كالماء والخمر ونحوِ ذلك، صارَ الجميعُ حرامًا.

ورجُلٌ غالب من قوم غلبة، غلاّبٌ من قوم غلاّبين، ولا يكَسّرُ ورجل غُلْبَة وغَلُبَّةٌ: غالب، كثير الغلبة، وقال اللحياني: شديد الغَلَبَة.

وتغلّبَ على بَلَدِ كذا: استولى عليه قهرا.

وبعير غُلاليبُ: يغلب الإبل بسيره، عن اللحياني.

وأيغْلِبُ أحدكُمْ أن يُصاحب النّاس معروفا بمعنى أيعجز؟

وهو رجل حرّ وقد أبى أفنغلبه على نفسه؟: أفنُكرهُه.

واستغلبَ عليه الضّحك: اشتدّ، كاستغرب.

والغَلَبُ: غلظُ العُنُق وعظمها مع قصرٍ فيها.

والأنثى غلباءُ، وفي قصيدة كعب:

- غَلْبَاءُ، وجْنَاءُ عُلْكُومٌ مُذَكَّرَةٌ.

وقد يُستعمل ذلك في غير الحيوان، كقولهم: حديقة غلباء أي: عظيمة متكاثفة ملتفة، وفي التنزيل الحكيم: (وحَدَائِقَ غُلْبًا) [102].

وقال الراجز:

أعْطَيْتَ فِيهَا طَائِعًا، أو كَارِهًا ** حَدِيقَةً غَلْبَاءَ في جِدَارِهَا.

الأزهري: الأغلبُ الغَليظَ القَصَرة. وأسد أغلب وغُلُبٌّ: غليظ الرّقبة. وهضبة غلباء: عظيمة مشرفة. وعزّة غلباء كذلك، على المثل، وقال الشاعر:

وقَبْلَكَ مَا أغْلَولَبَتْ تَغْلِبٌ ** بِغَلْبَاءَ تَغْلِبُ مُغْلَولِبِينَا.

يعني بعزّة غلباء. وقبيلة غلباء، عن اللحياني: عزيزة ممتنعةٌ.

واغلولبَ النّبت واعْشَوْشَبُ: بلغ كل مبلغ والتفّ.

وتَغْلَب: أبو قبيلة، قال الفرزدق:

لَوْلاَ فَوَارِسُ تَغْلِبَ أبْنَةِ وَائِلٍ، ** وَرَدَ العَدُوُّ عَلَيْكَ كُلَّ مَكَانِ.

وكانت تغلبُ تسمّى الغلباء، قال الشّاعر:

وَأَوْرَثَنِي بَنُو الغَلْبَاء مَجْدًا ** حَدِيثًا، بَعْدَ مَجْدِهِمُ القَدِيمُ.

وغالبٌ وغلاّب وغُليب: أسماء وغَلاّب، مثل قَطَام: إسم امرأة من العرب.

والمُغْلَنْبِيّ: الذي يَغْلِبُكَ ويَعْلُوك.

وشاعر مُغَلَّبٌ: غُلِبَ كثيرا فهو ذَمٌّ ومَدْحٌ[103].

---

[102]- سورة عبس، الآية: 30.

[103] - المصدر السابق مادة (غ ل ب) ج10، ص:97-99 وأساس البلاغة، مادة (غ ل ب) ج2، ص: 169.

معنى الصيغة في سياق النّص الذي وردت فيه: (وإنَّ الزَّمَانَ غـــلاّبٌ بأطْـــوارِه وظروفِـه). (عيون/ 11/432).

عندما تصفّحنا المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية المختلفة وتتبعنا فيها بتمعّن كلمة (غلب) ألفيناها ذات دلالات متعدّدة منها ما هو حقيقي؛ ومنها ما هو مجازي.

فمن المعنى الحقيقي نحو: غلبه: بمعنى قهره؛ وغلب على فلان الكرمُ أي هو أكثر صفاتـه، وتغلّـبَ على بلد كذا يعني أنّه استولى عليه قهرا؛ وبعير غُلاّبٌ أي: يغلب الإبل في سيره.

ومن المعنى المجازي للكلمة نحو: هضبة غلباء أي: عظيمة مشرفة؛ واغلولَـبَ العُشـبُ: إذا كـثر والتفّ، وقبيلة غلباء: عزيزة ممتنعة.

ولمّا رجعنا إلى سياق النّص الذي وردت فيه اللفظة لنتعرف على معناها والصورة التي وُظّفت فيـها. وجدناها تدل على القهر والهزم؛ ومن حيث الصورة وُضِعت في صيغة " غلاّب " على وزن "فعّال " قصـــد المبالغة في قوة القهر وشدّة الهَزْم اللذيْن يسحقان الاستعمار الفرنسي وأعوانه من الجزائريين الذين كانوا دوما في خدمة السياسة الاستعمارية الاستيطانية وتكريس الهيمنة على جميع المجالات، والميادين الحيوية الحسّاسة في الجزائر الحرّة الأبية.

وهذه قصة من ألف وألف قصّة مع الاستعمار عندما يُهيمنُ على بلدٍ من البلدان الضّعيفة ويفعل بـــها الأفاعيل. والحكاية هنا مع إدارة البريد الجزائرية التي كان يُديرها الاستعمار الفرنسي وينصبّ فيها مُوظّفيـن جزائريين ومعمّرين فرنسيين يتلقون الأوامر المَنسوجة من السلطة الفرنسية في كيفية العمل والتّسيير والتعامل مع البريد والاتصالات السلكية واللاّسلكية من رسائل وهاتف وجرائد ومجلاّت دوريـة ومناشيـر تفـــد إلى الجزائريين من الشّرق والغرب، من الدّاخل والخارج، إلى المناضلين الأحرار الذين يتطلّعون إلى العلـم والرّقي والحرية. فالإدارة الفرنسية المتحكمة في هذا الجهاز الإداري الحسّاس لا بدّ لها من رسم خطّة دقيقـة؛ واتخاذ تدابير مُحكمة لتشديد الخناق لتتحكّم في أي اتصال، وترصُدَ أي تلاق بين هؤلاء الأحـرار وإخوانـهم وأصدقائهم من الدّول الأجنبية في الخارج ولا يخفى على أحد منا في الوقت الحاضر ما طرأ مـــن تطـوّر في أجهزة ووسائل الاتصال من حيث الكثرة والتنوع: من مذياع وسينما وطائرة ومدرسة وكتـــاب وجريـدة وجمعيات وهيئات وأحزاب؛ وجوْسسة؛ ومخابرات عالمية، وأجهزة الرّدار الفضائية القابعة هناك مع النّجـوم ترقب حركات النّاس وسكناتهم من عل ! فكيف يمكن لفرنسا وغيرها أن تحول دون تَحَقُّق هـذا الاتصـــال الذي بات يفرض نفسه على الأفراد والجماعات والدول في هذا العالم المتشابك العلاقات؛ المتداخل المصـالح؛ المجبر على التعارف يدفعه إلى ذلك المصير المشترك، والمصلحة المشتركة. ومبدأ تحرير الشعوب من ربقة الاستعمار الحديث المهيمن على ثرواتها وسيادة أرضها.

وقد أصبحت اليوم الكرة الأرضية على اتساعها وبعد المسافات الشاسعة بين الأمم والشـعوب – دَارًا واحدة– فما يحدث الآن في أمريكا أو استراليا تسمع به وتشاهده على أمواج الإذاعة وشاشة التلفزيـون بعـد لحظات قليلة. ولذلك فالزّمان المتطوّر والظروف المتقلّبة المتبدلة في هذه المسألة وغيرها قـــاهر " غلاّب " لا تستطيع الإدارة الفرنسية العنصرية البغيضة ولا غيرها ممّن يحذُو حذوها أن تتحكم فيه أو توقّفه عن السير

إلى الأمام؛ لأنّه أمرٌ تفرضه حتمية التطوّر الحضاري والعلمي والاجتماعي والسياسي والثقافي، وكذا تفاعل الأحداث وتلاقح العلوم والمعارف والثقافات على اختلاف أجناسها وشعوبها وديانتها ومناهجها السياسية المتحررة المتطلّعة إلى غد أفضل ومستقبل زاهر.

وخير ما نختم به كلامنا في هذا المقام هو هذه الأبيات لأبي القاسم الشّابيّ الذي طالما نددّ بالطغاة المستبدين في قوله:

رُوَيْدَكَ، لاَ يَخْدَعَنْكَ الرَّبِيعُ وصَحْوُ الفَضَاءِ وضَوْءُ الصَّبَاحْ
فَفِي الأُفُقِ الرَّحْبِ هَوْلُ الظَّلاَمِ وقَصْفُ الرُّعُودِ وعَصْفُ الرِيَاحْ
ولاَ تَهْزَأَنْ بِنَوْحِ الضَّعِيفِ فَمَنْ يُبْذِرُ الشَّوْكَ يَجْنِ الجِرَاحْ
سَيَجْرُفُكَ السَّيْلُ سَيْلُ الدِّمَا ويَأْكُلُكَ العَاصِفُ المُسْتَعِلْ[104]

العبارة الخامسة عشرة التي وردت فيها صيغة فعّال هي: (وشَبَابٌ نَضَّاح عن الشّرفِ الوضّاح). (عيون/4/442).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة: (نضم): نضح عليه الماء ينضحُهُ نضحًا إذا ضربه بشيء فأصابه منه رشاش والعين تنضح بالماء نضحا إذا رأيتها تخور.

والنَّضحُ، بفتح الضّاء، والنَّضيحُ: الحوض لأنّه ينضح العطش أي: يبلّه قال الأعشى:

فَعَدَوْنَا عَلَيهِمْ بُكْرَةَ الْـــوِرْ ** دِ، كَمَا تُورِدُ النَّضِيحَ الــهِيَامَا.

الأصمعي: فإن شرب حتى يروى قال: نَضَحْتُ، بالصّاد، نَصْحًا ونَصَعْتُ به ونقعتُ.

والنّضح: سقيُ الزّرعِ وغيره بالسّانية. ونَضَحَ زرعه: سقاهُ بالدّلو.

والناضح: البعير أو الثور أو الحمار الذي يُستقى عليه الماء، وفي الحديث: (ما سُقي من الزرعِ نضحًا ففيه نصف العشر، يُريد ما سُقي بالدّلاءِ والغروب والسّواني ولم يسق فتحا.

والنّضاح: الذي ينضح على البعير أي يسوق السّانية ويسقي نخلا.

قال أبو ذؤيب:

هَبَطْنَ بَطْنَ رُهَاطٍ واغْتَصَبْنَ كَمَـــا ** يَسْقِي الجُذُوعَ، خِلاَلَ الدُّورِ، نَضَّاحُ

والنَّضْحات: الشيء اليسير من ماء أو عرق أو بول: ينضح، وأنشد:

- يَنْضَحْنَ في حَافَاتِهِ بالأَبْـــوَالِ

واستنضح الرّجل وانتضح: نضح شيئا من ماءٍ على فرجه بعد الوُضوء والنّضوح، بالفتح: ضرب من الطّيب، وقد انتضح به، وفي حديث الإحرام: (ثُمّ أصْبحَ مَحْرَمًا يَنْضَح طِيبًا) أي يفوح.

ونضحت الغنم: شبعت، ونضحناهم بالنّبل نضحًا: رميناهم ورشقْناهم. وفي الحديث أنّه قال للرّماة يوم أحد (أنْضِحُوا عنّا الخَيْلَ لا نُؤتى مِنْ خَلْفِنَا) أي ارموهم بالنّشاب. [105]

---

[104] – الأعمال الكاملة أبو القاسم الشّابي. الدّار التونسية للنشر –المؤسسة الوطنية للكتاب– الجزائر ط1984، ج1، ص: 260.

[105] – اللسان مادة (ن ض ح) ج14، ص: 173–174.

ونضح عنه: ذبّ ودفع. ونضح الرّجل عن نفسه إذا دفع عنها بحجّة.

والنّضاحة: الآلة التي تسوّى من النّحاس أو الصّفر للنّفط وزَرقِه.

أنْضَحتُ عِرْضِي: إذا أفسدتُه.

وانتضح من الأمر: أظهر البراءة منه، والرجل يرمى أو يقرَف بتهمة فينتضح منه أي يُظهرُ التّبريَ منه.

قال ابن سيدة: وأنضحَ الدّقيقُ بدأ في حبّ السنبل وهو رطبٌ.

ونضحَ الْغصنَا نضحًا: تقطّرَ بالورق والنبات وعمّ بعضهم به الشجر، قال أبو طالب بن عبد المطّلب:

بُورِكَ المَيّتُ الغَرِيبُ، كمَا بُـــو ** رِكَ نَضْحُ الرُّمّانِ والزّيتـــونِ.

ونَضح الزّرع: غلظَتْ جُثّتُهُ.

فأمّا قول أبي حنيفة نُضُوح الشجر فلا أدري أرآه للعربِ أمْ هو أقْدَمَ فَجَمَعَ نضْحَ الشجر علـى نُضُـــوح لأنّ بعض المصادر قد يُجمع كالمرض والشغل والعقل، قالوا: أمراض وأشغال وعقول[106].

معنى الصيغة في سياق النّص الذي وردت فيه: (وشَبَابٌ نَضّاح عن الشّرفِ الوضّاح). (عيون/4/442).

إنّ المتتبع لمعاني كلمة (نضح) في المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية العربية يجد لها عدّة معانٍ كانت العرب تستخدمها فيها. ويمكن أن نختصر هذه المعاني في نوعين، النوع الأول هو المعنى الرّئيسي الأصلي ويتمثّل في الارتواء من العطش ورش المكان بالماء، وبلّه به، وحوض الماء وغيرها مما يدور في هذا الفلك والمعنى الثاني الفرعي ويتمثّل في: نضحتُ البيتَ بنَضُوحٍ أي طيّبته وأنا في الحجّ، ونضحتِ الغنم: شبِعتْ، ونضحناهم بالنبل نضحًا رميناهم ورشقناهم، ونضح عنه: ذبّ ودفع؛ وقوس نَضُوحٌ: شديد الدفع والحفز للسّهم؛ وانتضح من الأمر: أظهر البراءة منه وغيرها من المعاني التي تُستفاد عند القراءة المتأنية من السياق التعبيري الذي تستخدم فيه اللفظة.

وإذا تأملنا المعاني التي تعاقبت على لفظة (نضح) وهي عديدة ومتنوعة. نكتشف أن معناها في النّص لم يخرج عن إحدى تلك المعاني المتمثلة في الذود، والدّفاع عن الشّرف النّاصع من قبل الشبيبة المغربية الحرّة الأبية التي ما فتئت تحمي الحمى وتدفع كلّ ضيم عن العُروبة والإسلام، وتردُّ عن الأوطان كلّ غاز ظالمٍ.

واللفظة جاءت في النّص على هذه الهيئة: (نضّاح) بزنة (فعّال) وهي صيغة مبالغة تفيد توكيد الدّفاع، وقوّة الصّمود وشدّة البأسِ بشتى أنواع السّلاح الذي يتطلبه الظرف.

فقد يكون الموقف –مثلا– دفاعًا بالقلم والحجّة الدامغة لدفع ما يُنسب إلى الدّين الإسلامي من تهم وشبهات وأباطيل في قيمه ومثله الأخلاقية؛ أو شريعته وأحكامه وعقيدته. فالواجب على الشباب أن يطلقوا العنان لليراع؛ وأن يشحذوا عُقولهم، وأن يفصحوا عن آرائهم بكلّ نزاهة وموضوعية ونصاعة بيان ومنطق سديد.

---

[106] – المصدر السابق مادة (ن ض ح) ج14، ص:174–176.

وإذا كان الموقف يتطلّب حمل السّلاح وإعلان الجهاد فعلى الشباب العربي المسلم ألاّ يتوانَوْا ولا يتخاذلوا مهما كان الثمن الذي يدفعونه، وذلك لأنّ الإنسان العربيّ مفطورٌ على الغيرة على شرفه؛ وكرامته، ودينه، ودمه، وماله، وحماه.

وهذه جميعا عنده عناصر أساسية مقدّسة لا يساومَ فيها بأية حال.

لذلك وجب عليه أن يحميها بكلّ ما أوتي من قوّة، ويُضحي من أجلها بأعزّ ما يملك؛ بالروح والنفس، والرّجال، والمال؛ لأجل صيانتها، وبقائها، وطهارتها، وازدهارها، ورفاهيتها. مصداقا لقول الشّاعر أحمد شوقي:

وَطَنِي لَوْ شُغِلْتُ بالخُلْدِ عَنْهُ ** نَازَعَتْنِي إِلَيْهِ في الخُلْدِ نَفْسِي

شَهِدَ اللهُ لَمْ يَغِبْ عَنْ جُفُونِي ** شَخْصُهُ سَاعَةً، ولَمْ يَخْلُ حِسِّي![107]

العبارة السادسة عشرة التي وردت فيها صيغة فعّال هي: (وأنْ تَكُونَ فَعَّالاً لاَ قَوَّالاً). (عيون/10/522).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة: (فِعل) الفِعل: كناية عن كلّ عمل متعدّ أو غير متعدّ، فَعَل يَفعَل فَعْلاً وفِعْلاً، فالاسم مكسور والمصدر مفتوح. وقد قرأ بعضهم قوله تعالى: (وأَوْحَيْنَا إِلَيهِم فِعْل الخَيْرَاتِ)[108] بالفتح، وقوله تعالى في قصّة موسى عليه السّلام: (وفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ التي فَعَلْتَ)[109] أراد المرّة الواحدة كأنّه قال: قَتَلْتَ النّفسَ قَتْلتكَ.

والفَعَال أيضا مصدر مثل: ذهبَ ذهابًا، والفعّال بالفتح: الكرم، قال هُذْبة:

ضَرُوبًا بِلَحْيَيْه على عَظْمِ زَوْرِه[110] ** إذَا القومُ هَشُّوا للْفَعَال تَقَنَّعَا

قال اللّيث: والفَعَال اسمٌ: الفِعل الحسن من الجود والكرم ونحوه. قال المُبَرّد: الفَعَال يكون في المدح والذّمّ .

قال: وهو مخلص لفاعل واحد؛ فإذا كان من فَاعِلَيْنِ فهو فِعال /قال: وهذا هو الجيد.

وكانت منه فَعْلَة حسنة أو قبيحة، وهذه فَعْلَةٌ من فَعَلاَتِكَ.

والعرب تشتَقُّ من الفعل المُثُل للأبنية التي جاءت عن العرب مثل: فُعالة وفعُولة وأفْعُول ومِفْعِيل وفِعّليل وفُعْلول وفعْوَلٌ وفِعَّل وفُعَّلٌ وفُعْل ومُفَعْلِلٌ وفَعيل وفِعْيَلٌ.

ويقال شعره مفتعل إذا ابتدعه قائله ولم يحذه على مثال تقدّمه فيه من قبلَه، وكان يُقال: أعْذَبُ الأغاني ما افْتُعل وأظرف الشّعر ما افتعل قال ذو الرّمة:

غَرَائِبُ قد عُرِفْنَ بِكُلِّ أُفُقٍ ** من الآفاقِ تُفْتَعَلُ افْتِعَالاَ.

أي: يُبتدع بها غناءٌ بديعٌ وصوتٌ مُحْدَث[111]

---

[107]- ذكرى الشاعرين: حافظ إبراهيم؛ أحمد شوقي. تقديم وترتيب أحمد عبيد: دراسات ومقارنات ومراث، عالم الكتب -بيروت- ط2 /1985، ص: 328.

[108] - سورة الأنبياء، الآية: 73.

[109] - سورة الشعراء، الآية: 19.

[110]- عظم زوره: أعلى وسط الصدر؛ أو ملتقى أطراف عظام الصدر.

[111] - اللسان مادة (ف ع ل)، ج10، ص: 292.

وقوله تعالى: (والّذينَ هُمْ للزّكَاةِ فَاعِلُونَ)[112]. قال الزّجاج: معناه مؤدّون.

وفِعال الفأس والقَدوم والمطرقة: نِصابها؛ قال ابن مقبل:

وتَهوِي، إذَا العِيسُ العِتَاقُ تَفَاضَلَتْ ** هُوِيَّ قَدُومِ القَيْنِ حَالَ فِعَالَهَـا..

يعني نصابها وهو العمود الذي يُجعل في خُرْتِها يُعْمَل به.

والفَعِلَّة: العادة. والفَعْل: كناية عن حياء الناقة وغيرها من الإناث

ابن الأعرابي: افتَعَل فلان حديثا إذا اخترقه، وأنشد:

ذِكْرُ شَيْءٍ، يا سُلَيْمَى، قد مَضَى ** وَوُشَاةٌ يَنْطِقُونَ المُفْتَعَـــلْ

وافْتَعَلَ عليه كذبًا وزورا أي اختلق. وفَعَلْتَ الشيء فانفعل كقولك: كَسَرْتُهُ فانكسر.

وفَعّال: قد جاء بمعنى افْعِلْ وجاء بمعنى فاعلة، بكسر اللاّم[113].

وتسخّر الأمير الفَعَلَة وهم العملَةُ الذين يبنون ويحفرون[114].

معنى الصيغة في سياق النّص الذي وردت فيه: (وأنْ تَكُونَ فَعَّالاً لاَ قَوَّالاً). (عيون/10/522).

عندما تتبعنا كلمة (فعل) في المعاجم اللغوية وكذا المصادر الأدبية العربية المختلفة كالقرآن الكريم، والحديث الشّريف؛ وأشعار العرب، وحكمها وأمثالها وجدناها تدور حول معنيين أحدهما أساسي أصلي والثاني متفرّع مجازي.

فالمعنى الأساسي مثل الفَعَال بفتح الفاء وهو الكرم، والفِعال بكسر الفاء، إذا كان الفعل بين الاثنين والأفاعيل: الأعاجيب. وافتعل الشيء، إذا ابتدعه وكان فيه سباقا لغيره.

أمّا المعنى المتفرّع؛ ومنه المعنى المجازي مثل: الفِعْل: كناية عن كل عمل متعدّيا كان أو لازما.

والفَعْلُ: كناية عن حياء النّاقة وغيرها من الإناث.

وإذا التفتنا إلى معنى الكلمة في سياق النص الذي وردت فيه نجدها تدل على العمل وإحداث الأثر المادي المحسوس غالبا؛ وقد يكون الأثرُ معنويًّا عندما يتعلّق بالوُجدان والشعور وسائر الانفعالات الداخلية.

والعبارة التي ورددت فيها الصيغة هي قوله: (وأنْ تَكُونَ فَعَّالاً) بزنة (فعّال) المستعمل لوزن الأبنية المختلفة في العربية للدلالة على الإكثار من العمل المنتج كمًّا وكيفًا.

فالكاتب هنا يَنْصَحُ عرب الشّمال الإفريقي؛ ويُبيّن لهم واجبهم تجاه فلسطين أرض العُروبة ومهد الأنبياء صلوات الله عليهم جميعًا؛ ومنبع الإسلام الأوّل.

فقد تكالب الأعداء عليها من الشرق والغرب من يهود ونصارى من مختلف الأقطار الصليبية؛ وأمام هذا التكالب الشرس على فلسطين من أعدائها القدماء والجدد نرى الكاتب يُنبّه العرب والمسلمين إلى ظاهرة خطيرة تكاد تؤدّي بهم إلى التهلكة والوقوع في الشّرك المنصوب لهم ألا وهي اعتمادهُم على الأقوال الفارغة من الأعمال البنّاءة؛ تلك الأقوال والثرثرة المتمثلة في الخطب السياسية الجوفاء، والوعظ الدّيني المميت

---

[112]- سورة المؤمنون، الآية: 4.

[113] -- المصدر السابق مادة (ف ع ل) ج10، ص: 292-293.

[114] - أساس البلاغة ج2، ص: 207.

الذي يقتصر على التمتمة والتواكل والصبر على ما قضى الله وقدّر ثم الاستسلام للأعداء ليقضوا مآربهم ومشاريعهم المقدّسة التي تأمرُهُم بتنفيذها كتبهم المقدّسة التّوراة والإنجيل و... وقد رسخ في عقل أعدائنا بأنّنا أمّة أقوال واسترسال مع الخيال،وأصحاب عواطف رقيقة جيّاشة هوجاء؛ وأنّ كلامنا عبارة عن جعجعة ولا طحين و...و...و.. إلى غير ذلك من التهم، والأوصاف، والنّعوت التي تنزل بنا إلى أسفل السافلين؛ وتبرزنا كأناسٍ تَافهِينَ.

وإذا لم نسارع إلى العمل ونعْكِف عليه ليلا ونهارا سنكون عرضة للإذلال والمهانة من قبل أعدائنا وهذا بطبيعة الحال يكون بعد التفكير، والتدبير، والتخطيط السّليم المحكم الذي يستند على تعاون العرب، والمسلمين، وتضامنهم، وإجراء المشاورات فيما بينهم طبقًا لما أمرهم به دينهم الحنيف في آيات محكمات كثيرة منبثة هنا وهناك في القرآن الكريم لَسْنَا في مقام الوعظ لسردِها.

ومن المؤكد أنّ أعدائنا سيرهبوننا، ويحترموننا عندما يتأكدون جيّدا بأنّنا أصبحنا أمّة حزم، وعزم، وجدّ، وعمل، وبناء.

واليقظة اليقظة أيّها العرب المسلمون لأنّ أعدائنا لا ينامون !؟ فقد طلّقوا النّوم منذ زمن بعيد !؟ فمعاملهم ومؤسساتهم الصناعية تعمل بدون انقطاع.

وجامعاتهم مفتوحة الأبواب ليلا ونهارا تجري فيها البحوث والتجارب العلمية في جميع ميادين المعارف والفنون؛ وقد تعدّدت العلوم والمعارف والفنون تبعًا لتنوع الاختصاصات العلمية، والصّناعية، والفلاحية فيها حتى أضحى كل علم يحوي عشرات الاختصاصات، أو يربُو على ذلك كالعلوم الطبيبة، والعلوم الأدبية، واللغوية والعلوم الزراعية، الفلاحية وغيرها كثيرا جدًا !فأين نحن من هذا التطور الهائل الذي أحرزه أعداؤنا بالحزم والعزم والجدّية في العمل، والإخلاص فيه؛ هذا التفاني منهم في العمل هو الذي جعلهم اليوم ينتصرون علينا في جميع الميادين: ميدان الغذاء، ميدان التسلّح، وميدان التكنولوجيا؛ وميدان الصحة؛ وميدان التفكير السّليم الهادئ المتّزن !

العبارة السّابعة عشرة التي وردت في هاصيغة فعّال هي: (وأنْ تَكُونَ فَعَّالاً لاَ قَوَّالاً). (عيون/10/522).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة: (قَوَل): القول: الكلام على الترتيب، وهو عند المحقق كلُّ لفظ قال به اللسان، تامًا كان أو ناقصا، تقول: قال يقول قولا، والفاعل قائل، والمفعول مقُول، قال سيبويه: واعْلَم أنّ قُلْتَ في كلام العرب إنّما وقعتْ على أن تحكي بها ما كان كلامًا لا قولا، يعني بالكلام الجملَ كقولك زيدٌ منطلق، وقام زيدٌ، ويعني بالقول الألفاظ المفردة التي يُبنى الكلام منها كزيد من قوله زيدٌ منطلق، وعمْرُو من قولك قام عَمْرُو

وقد يستعمل القول في غير الإنسان، قال أبو النّجم:

قَالَتْ لَهُ الطّيْرُ: تَقَدَّمْ رَاشِدًا ** إنَّكَ لاَ تَرْجِعُ إلاَّ حَامِدًا[115]..

---

[115]- اللسان مادة (ق و ل) ج11، ص: 350.

والجمع أقوال، وأقاويل جمع الجمع، قال يقول قولا وقيلاً وقَوْلَةً ومقالا ومقالة؛ وأنشد ابن برّي للحطيئة يخاطب عُمَرَ رضي الله عنه:

تَحَنَّنْ عَلَيَّ، هَدَاكَ المَلِيكُ ** فإنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالاَ.

وقيل: القول في الخير والشرّ، والقال والقيل في الشرّ خاصة.

وحكى ثعلبُ: قوّال وقوّالة من قوم قوّالين وقَوَلَة وتِقْوَلَة وتِقْوَالَة.

الجوهري: رجل قَوُول وقوم قُوُلٌ مثل: صَبُورٌ وصُبُرٌ وامرأة قوّالة: كثيرة القول، والاسم القالة والقال والقيل.

ابن شميل: يقال للرّجل: إنّه لمقوال إذا كان بيّنًا ظريف اللسان.

والتِّقْوَلَةُ، الكثير الكلام البليغ في حاجته. وامرأة ورجل تِقْوَالَةٌ: مِنْطِيقٌ.

وأقْوَلَهُ ما لم يَقُل وقَوَّلَه ما لم يَقُلْ كلاهما: ادّعى عليه.

وتقوّل فلان عليَّ باطلا أي قال عليّ ما لم أكن قُلت: كذبَ عليّ ومنه قوله تعالى: (ولَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ)[116].

وكلمة مُقَوَّلَة: قيلت مرّة بعد مرّة.

قال ابن الأثير: العربُ تجعل القولَ عبارة عن جميع الأفعال وتُطلقه على غير الكلام واللسان، فتقول: قال بِيَدِهِ أي: أخذه، وقال برجله أي مشى، وقد تقدّم قول الشّاعر:

• وقَالَتْ لَه العَيْنَانِ: سَمْعًا وطَاعَةً.

أي: أومأت، وقال بالماء على يده أي قلب، وقال بثوب أي رفعه، وكل ذلك على المجاز والاتساع كما رُوي في حديث السّهو قال: ما يقول ذو اليَدَيْن؟ قالوا: صَدَقَ، رُوي أنّهم أومؤوا برؤوسهم أي: لم يتكلّموا؛ قال: ويُقال قال بمعنى أقْبَلَ، بمعنى مَالَ واستراح وضرب وغير ذلك[117].

معنى الصيغة كما وردت في سياق النّص: (وأنْ تَكُونَ فَعَّالاً لاَ قَوَّالاً). (عيون/10/522).

إنّ المتتبع لمعاني كلمة (قال) في المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية الأساسية يجدها تدورُ حول معنيين رئيسيين أحدهما: المعنى الأصلي، وآخر معنى مجازي.

فالمعنى الأصلي لكلمة (قال) هو كل لفظة نطق به اللسان تامّا كان أو ناقصا، تقول: قال يقول قولا، والفاعل قائل، والمفعول مقول.

والمعنى المجازي مثل قول الشّاعر أبي النّجم:

قَالَتْ لَهُ الطَّيْرُ: تَقَدَّمْ رَاشِدَا * إنّكَ لاَ تَرْجِعُ إلاَّ حَامِدَا.

وقال آخر:

قَالَتْ لَهُ العَيْنَانِ: سَمْعًا وطَاعَةً ** وحَدَّرَتَا كَالدُّرِّ لَمَّا يُثَقَّبِ.

فالطير والعينان لا تقول إلاّ على سبيل المجاز.

---

[116] – سورة الحاقة، الآية: 44.

[117] – المصدر السابق مادة (ق و ل) ج11، ص: 350–354.

ومثل المعنى المجازي أيضًا؛ قال بيده أي: أخذَ، وقال برجْله أي: مَشَى، وقال بالـــماء على يـــده أي قلَبَ. وهو كثير في اللغة وكل ذلك وأمثاله على سبيل المجاز والاتساع في اللغة وبالعودة إلـــى النّص الذي وردت فيه لفظة " قوّالا " يتبين لنا بقليل من التأمل أنّها لم تخرج عن المعنى الأصلي الذي تـدل عليـه الكلمة والذي يتمحور حول هذا الحشد الهائل من الألفاظ والعبارات التي ينطق بها اللسانُ.

ولذلك نرى الكاتب يوقظ عقول عرب الشمال الإفريقي، ويرشدهم إلى الطريق السليم الذي يضمن لهم النّهوض للتخلص من نير الاستعباد والتخلف والاستغلال.

فالاستعمار المعاصر يستخدم أحدث الوسائل العلمية المختلفة لتكريس الهيمنة، والتسلّط علـى هـذه البلدان لجعلها –وبصفة دائمة– مناطق نفوذ، ومصادر رزق، وثراء تذر عليه الأموال الطائلـة ليحقـق بـها مشاريعه التنموية في وطنه الأصلي الأم.

وللاستعمار أساليب عديدة جهنمية محبوكة، ومدروسة دراسة علمية دقيقة يستخدمها كلّها فـي زرع الفتن والنزاعات والحروب الأهلية الداخلية بين أبناء الوطن الواحد؛ وجعل هذه البلـدان التي تتطلّـع إلى التخلص من الجهل، والعبودية والتبعية تتخبط في دوّامة من الجدل، والمُهاترة الكلامية الفارغة؛ وترك النّشاط الفعّال الذي يحقق التنمية الحقيقية على مختلف الأصعدة الزراعية والفلاحية، والصّناعية والتكنولوجية والثقافة الصحيحة ذات الوعي والنضج الخلاّقين ليبقيها دوْمًا في قائمة البلدان التي تملأ الفضاء بالجعجعة والصّـراع الفكري؛ والجدل العقيم، والنزاعات الإيديولوجية التي لا طائل وراءها.

بينما أعداء هذه الأمة العربية المسلمة عاكفون على العمل والإنتاج في مختلف الميادين الصّناعيـة، والفلاحية، والطبّية والتبحر في علوم الأرض والسّماء، وحتى أعماق البحار، وكواكب السّمـاء لم تبـق في معزل من زياراتهم واكتشافاتهم !وقد بات مؤكّدًا لدى أعدائنا بأنّنا أمّة قَـوْل واجـترار للكـلام الفـارغ؛ وأصبحنا مقاما لكل تنكيت وسخرية، ومضرب مثل لكثرة الكلام والقال والقيل والثرثرة الغبية !وإذا عملنـا فأيُّ عمل يُنتظر مِنّا ! إنّه فعل عربيٌّ وكفى !؟ هكذا يقول المثل الأوروبي والفرنسي خاصّة عـن أي عمـل يقوم به إنسان عربي. إنّنا أصبحنا مضرب مثل سيئ عندهم في كل عملٍ ناقص شائن معيب تافه؟ ! ! !

وقد صال العرب وجَالُوا في الكلام وفي جميع ميادين الحياة، وتفلسفوا في كـل شيء، وبرعـوا في القول، وتفوّقوا على شعوب العالم في هذا المضمار، غير أنّهم لم يفعلوا شيئًا يُخلّصهم من الجوع، ويُحقّق لهم –على الأقل– شيئا من الاكتفاء الغذائي الذاتي مثلا؛ وهذا وحده من شأنه أن يضمن لهم نصرا معتـبرا؛ واستقلالا اقتصاديا هائلا؛ أو هو على الأقلّ كفيل بحفظ الكرامة المُداسة –في هذه المرحلة العصيبة– مقـابل رغيف الخبز، وكيس البطاطس، وعلبة حليب الغبراء والبيض، والزبدة والبصل، والسكر ومواد عديدة متنوعة في غاية البساطة، والوفرة في هذه البلدان العربية الإسلامية التي ركنت كثيرًا إلى القول؛ وجعلت الكـلام هي البضاعة التجارية المُربحة الخاسرة في أوطانها بدلا من العمل والإنتاج الفعلي للمواد الخـام وتحويلـها وتكييفها حسب مقتضيات العصر ومتطلبات التكنولوجيا الحديثـة؛ تكنولوجيـا إنتـاج المعـارف والعلـوم والصّناعات المذهلة ! ! !

وقد صدق أحد المفكرين المسلمين المعاصرين حين يقول: (إنّ الدّينَ إذا لمْ يَسْـرِ في النّفوسِ كمَـا تسـري الكهرباء في الأسلاك، فتضيء بسريانها مصابيحٌ وتتحرّك آلاتٌ، يُصبح وهما أو زعما لا تغني فيهما العناوين والشّارات ... ! !)[118].

العبارة الثامنة عشرة التي وردت فيها صيغة فعّال هي: (ثُمَّ لاَ تَجِدُنِي مَعَ ذَلِكَ مَنَّانًا ولاَ كَنُودًا). (عيون/13/523).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة: (منن): منَّه يَمُنّه مَنًّا: قطعه. والمَنِينُ: الحبل الضّعيف، وحبلٌ منين: مقطوع؛ وفي التّهذيب: حبل مَنين إذا أخلق وتقطّع، والجمع أمِنَّةٌ ومُنُنٌ والمَنُون: الموت لأنّه يمنّ كل شيءٍ يُضعفه وينقصه ويقطعه؛ وقيل: المنُون الدّهر، وجعله عَديُّ بن يزيد جمعا فقال:

مَنْ رَأَيْتَ المَنُونَ عَزَّيْنَ أمْ مَنْ * ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيـرُ

وهو يُذكّرُ ويؤنّث، فمن أنّث حمل على المنية ومن ذكّر حمل على الموت.

قال أبو ذُؤيْب:

أَمِنَ المَنُونِ وَرَيْبِهِ تَتَوَجَّـعُ * والدَّهرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْـزَعُ؟

ومنّ عليه يمُنّ منًّا: أحسنَ وأنعم، والاسم: المنّة.

ومنّ عليه وآمتنّ وتمنّنَ: قرعه بمنّةٍ، أنشد أبو ثعلب:

- أَعْطَاكَ يَا زَيْدُ الذي يُعطِي النِّعَمْ،
- مِنْ غَيْرِ مَا تَمَنُّنٍ ولا عَـدَمْ.
- بَوَائِكًا لم تَنْتَجِعْ مـع الغَنَـمْ.

وفي المثل: كمنّ الغيث على العرْفَجَة، وذلك أنّها سريعة الانتفاع بالغيث، فإذا أصابها يابسة اخْضَرّتْ.

ومنَّ يَمُنُّ مَنًّا: أعتَقَدَ عَلَيه مَنًّا وحسبَه عليه.

وقوله عزّ وجلّ: (وإنَّ لك لأجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ)[119]. جاء في التفسير غير محسوب؛ وقيل معناه أي لا يمُـنُّ عليهم به فاخرًا أو معظّمًا وقال أبو عُبيدٍ في بعض النسخ: المَنِينى من المنّ والامتنان.

ورجل مَنُونة ومنون: كثير الامتنان، الأخيرة عن اللّحياني وقال أبو بكر في قوله تعالى: (مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا)[120]. يحتمل المنّ تأويلين أحدهما: إحسانُ المُحسن غير معتدٍ بالإحسان، يقال: لَحِقَتْ فلانًا من فلانٍ مِنّة لحقَتْه نعمة باستنقاذ من قتل أو ما أشبهه.

والثاني: منَّ فلانٌ على فلانٍ إذا عظَّمَ الإحسانَ وفَخَرَ به وأبدأ فيه وأعاد حتّى يُفسده ويُبغّضه، فـالأول حسن، والثاني قبيح.

وفي أسماء الله تعالى: الحَنَّانُ المَنَّانُ أي الذي يُنعِمُ غير فاخر بالإنعام[121].

---

[118]- الإسلام والطاقات المعطلة، الشيخ محمد الغزالي نشر الزيتونة للإعلام والنشر بانتة -الجزائر- ط/ 1987، ص: 49.

[119]- سورة القلم، الآية: 3.

[120]- سورة القصص، الآية: 82.

[121] - اللسان مادة (م ن ن)/ ج13، ص: 196-197.

والمنّان: من أبنية المبالغة كالسفّاك والوهّاب.

والمنون من النّساء: التي تُزوَّج لِمَالِها: فهي أبدًا تمنُّ على زوجها، وقال بعض العرب: لاَ تَتَزَوَّجَنَّ حَنَّانَـــةً ولا مَنَّانَةً.

ابن سيدة: المنُّ: طَلٌّ ينزل من السّماء، وقيل: هو شبيه العسل كان ينزل على بني إسرائيـل، وفي التـــنزيل: (وأَنْزَلْنَا عَلَيهِمُ المنَّ والسَّلْوَى) [122].

وفيه أقوال كثيرة للعلماء والمفسّرين ليس مجال سردها هُنَا.

ابن سيدة: المِنُّ كيلٌ أو ميزان، والجمع أمْنَان.

والمُمَنُّ: الذي لم يدَّعِهِ أبٌ: والمِنَنَةُ: القُنْفُذُ.

التهذيب: والمننَة العنكبوت، ويقال له: مَنُنة[123].

معنى الصيغة كما وردت في سياق النّص: (ثُمَّ لاَ تَجِدُنِي مَعَ ذَلِكَ مَنَّانًا ولاَ كَنُودًا). (عيون/13/523).

عندما نتبعنا كلمة (متن) ومعانيها في المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية على اختلاف أنواعها ألفيناهـا تدل على معان عدّة منها: المنّ الذي يسقط من السّماء، والمنّ: الاعتداد والفخر؛ والمنّ: العطاء، والمنّ: القطع والنقص وغير ذلك من المعاني التي لا يتسع المقام لذكرها والإحاطة بها.

أمّا المعنى الذي أراده الكاتب من لفظة (منّانًا) في سياق النّص الذي وردت فيه هو نفي المنّ عن نفسه وأبعاد شبهته عنه؛ وذلك لأن (المنّ) ههنا هو نوع من تعظيم الإحسان والفخر به، والإبداء فيـــه، والإعـــــادة إلى أن يُفسدَه فَاعله ويُبَغِّضه إلى النفس الآخذة.

وهذا النوع من (المنّ) خصلة ذميمة؛ وخُلُقٌ لئيم، وقد نهانا الله تعالى عن الاتصاف بهذه الشمة القبيحة في قوله: (يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بالمَنِّ والأَذَى كالذي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النّاسِ ولا يُؤْمِـــنُ بـــاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ)[124].

فالكاتب بحكم عقيدته ينفي عن نفسه كثرة المنّ والمبالغة فيه.

ويمكن للقارئ أن يتساءل بقوله: إنّ الكاتب ينفي عن نفسه الكثرة من (المنّ) والإسراف فيه؛ لكنه لا ينفي عنه قلّته أو الوقوع في شيء منه بين الآونة والأخرى. والجواب على ذلك أن المؤمن ليس نبيًّا معصُوما من الخطأ على الإطلاق بل هو معرّض للوقوع في بعض المعاصي والذنوب الصغيرة منها، والكبيرة أحيانا، خاصـــــة، وأنّ هذه المعصية المتعلقة (بالمنّ) هي مسألة نفسية داخلية تحتاج إلى كثير من مُراقبة النفـــس ومجاهداتـــها ومحاسبتها على الأنفاس محاسبة صارمة؛ كما يتطلّب ذلك أيضا يقظةً دائمةً، وارتباطا كاملا بـــالله تعـــالى؛ وذكره؛ والخشية من عذابه؛ والطّمع في ثوابه، ورجاء مغفرته، واتقاء وعيده، والأمل في وعده الذي لا يخلفه مصداقا لقوله عزّ وجلّ: (إنَّ الذينَ اتّقُوا إذا مَسَّهُمْ طَائف من الشّيطان تَذَكّروا فإذَا هُمْ مُبْصِرُون)[125].

---

[122]- سورة البقرة، الآية: 57.

[123] – المصدر السابق مادة (م ن ن) ج13، ص: 198.

[124]- سورة البقرة، الآية: 264.

[125]- سورة الأعراف، الآية: 201.

من هنا نفهم أنّ العبد المؤمن قد تعتريه فترات سهو؛ وقد يصاب بفتور في إيمانه؛ وقد يوسوسُ له الشيطان الخنّاس؛ وقد تغلبه شهوات الدّنيا فتصدُرُ منه بعض الذّنوب والخطايا، والمعاصي لكنّه سرعان ما يتنبّه؛ ويندم على ما فرط منه؛ وفوراً يعقد العزم على التوبة، وعدم العودة إلى الوقوع في مثل هذه السّخافات والتوافه والمعاصي التي تُفسد إيمانه، وتُبطل تقواه، وتذهب بحسناته التي أفْنى شطرًا كبيرا من عمره في جمعها، وتوفيرها لليوم الأسود؛ ذلك اليوم الذي يقف فيه النّاس حفاة عراة كما ولدتهم أمّهاتهم يرجون رحمة من ربّهم؛ وغفرانا، ورضوانا.

وقد جاء نفي هذه الخلّة الشائنة؛ وإبعادها عن النّفس يوم كانت فلسطين -في عقود الأربعينات والخمسينات والستينات- تنتظر المدد والعون من الأقطار العربية الإسلامية؛ وبلغ هذا النّبأ كاتب هذه السّطور في جريدة البصائر مُعبّرا عن ذلك بقوله: (... أمّا أنا كاتب هذه السّطور فوالذي روحي بيدِهِ لَوْ كُنْتُ أملكُ ما يملكهُ العمُوديّ مِنْ سَخْلٍ[126]. أو ما يملكه البِسْكريُّ من نخلٍ، أو ما يملكه الفلاّح من أرضٍ، أو ما يملكه الحضريُّ من دورٍ ورباعٍ؛ أو ما يملكه الكانز من ورقٍ[127] وورقَ لَخرجتُ من ذلك كُلّه في سبيل عُروبة فِلسطين، ثمّ لا تجدني مع ذلك مَنّانا ولا كَنُودًا[128] عَملاً بقوله تعالى: (الذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم في سبيل الله ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ ما أنفَقُوا منًّا ولا أذًى لهُمْ أجْرُهُمْ عندَ ربّهم، ولا خَوْفٌ عليهم ولا هُم يحْزَنُونَ)[129].

(... والمِنُّ عنصرٌ لَئيم، وشُعور خسيس واطٍ.

فالنّفس البشرية لا تَمُنُّ بما أعطتْ إلاّ رغبة في الاستعلاء الكاذب أو رغبة في إذلال الأخذ؛ أو الرغبة في لفت أنظار الناس.

فالتوجه إذن للناس لا لله بالعطاء.. وكلها مشاعر لا تجيش في قلب طيّب ولا تخطر في قلب مؤمن.. فالمنُّ -من ثمَّ- يُحيل الصداقة أذى للواهب وللآخذ سواء. ورغبة في رؤية أخيه ذليلا كسيرا لديه، وبما يملأ قلبه بالنفاق والريّاء والبعد من الله... وأذى للآخذ بما يثير في نفسه من انكسار وانهزام، ومن ردّ فعل بالحقد والانتقام.

وما أراد الإسلام بالإنفاق مجرّد سد الخَلّة[130] وملْءِ البطن، وتلافي الحاجة.. كلاّ !إنّما أراده تهذيبا وتزكية وتطهيرا لنفس المُعطي، واستجاشة لمشاعره الإنسانية وارتباطا بأخيه الفقير في الله وفي الإنسانية، وتذكيرا له بنعمة الله عليه وعهده معه في هذه النّعمة أن يأكل منها في غير سرف ولا مخيلة، وأن ينفق منها في سبيل الله في غير منع ولا منٍّ كما أراده ترضية وتنديّة لنفس الأخذ، وتوثيقا لصلته بأخيه في الله [131]

---

[126]- سخْل: جمع مفرده السخْلة: ولدُ الشاة من المعز والضّأن.

[127]- الورقُ والورقُ والورْقُ والرقَة: الدّراهم مثل: كَبِدٍ وكَبْدٍ وكَبْد.

[128] - عيون البصائر، ص: 523.

[129] - سورة البقرة، الآية: 262.

[130] - الخلّة بالفتح: الحاجة والفقر والخصاصة وتطلق أيضا على الخَصلة.

[131] - في ظلال القرآن، ج3، ص: 307.

وفي الإنسانية، وسدًّا لخِلّةِ الجماعة كُلّها لتقوم على أساس من التكافل والتعاون بذكرها بوحدة قوامها ووحدة حياتها ووحدة اتجاهها ووحدة تكاليفها.

و(المنُّ) يذهب بهذا كلّه، ويُحيل الإنفاق سُمًّا وارا، فهو أذًى وإن لم يصاحبه أذًى آخرُ باليد أو باللسان هو أذًى في ذاته يمحق الإنفاق، ويُمزّق المجتمع، ويثير السّخائم[132] والأحقاد وبعض الباحثين النفسيين في هذه الأيام يُقرّرون أنّ رد الفعل الطبيعي في النّفس البشرية للإحسان هو العداء في يوم من الأيام ! وهم يعلّلون هذا بأنّ الآخذ يُحسّ بالنّقص والضّعف أمام المعطي، ويَظَل هذا الشعور يحزّ في نفسه، فيحاول الاستعلاء عليه بالتجهّم لصاحب الفضل عليه وإضمار العداوة له، لأنّه يشعر دائما بضعفه ونقصه تُجاهه، ولأنّ المُعطي يُريد منه دائما أن يشعر بأنّه صاحب الفضل عليه !.

وهو الشعور الذي يزيد من ألم صاحبه حتى يتحوّل إلى عداء ! وقد يكون هذا صحيحًا كله في المجتمعات الجاهلية أينما كانت وأينما وُجدت أمّا هذا الدّين فقد عالج المُشكلة على نحو آخر عالجها بأن يُقرّر في النّفوس أنّ المال مالُ الله، وأنّ الرزق الذي في أيدي الواجد هو رزق الله... وهي الحقيقة التي لا يُجادل فيها إلاّ جاهل بأسباب الرّزق البعيدة والقريبة، وكلّها منحة من الله لا يَقْدِرُ الإنسان منها على شيء. وحبّة القمح الواحدة قد اشتركت في إيجادها قِوَى وطاقات كونية من الشّمس إلى الأرض إلى الماء إلى الهواء. وكلها ليست في مقدور الإنسان..

وقِسْ على حبّة القمح نقطة الماء وخيط الكساء وسائرُ الأشياء فإذا أعطى الواجد من ماله شيئا فإنّما من مال الله أعْطى، وإذا أسلف حسنةً فإنّما هي قَرْضُ الله يضاعفه له أضعافا كثيرة وليس المحروم الآخذ إلاّ أداةً وسببًا لينال المُعطي الواجد الواهب أضعاف ما أعْطى من مال الله !

وهناك آداب كثيرة شُرّعت في القرآن الكريم والسّنة النّبوية الشّريفة ليس لها هنا مجال ذكرها والتوسع فيها والخوض في تفاصيلها ودقائقها توكيدا لهذا المعنى في النفوس، حتى لا يستعلي معطٍ ولا يتخاذل آخذٌ، فكلاهما آكلٌ من رزق الله، وللمعطين أجرهم من الله إذا هم أعْطَوا من مال الله في سبيل الله، متأدّبين بالآداب التي رسمها لهم –أثناء العطاء وبعده– ومتقيّدين بالعهد الذي عاهدهم عليه (ثمّ لا يُتبعُون ما أنفقوا مَنًّا ولا أذًى)، (لهم أجرُهُم عند ربّهم) من ثواب ومغفرة ورحمة ورضوان (ولا خوفٌ عليهم ولا هُم يحزنون) من فقر ولا من حقد ولا من غُبنٍ.

(ولا هم يحزنون) على ما أنفقوا وبذلوا في الدّنيا وعلى مصيرهم في الآخرة[133].

العبارة التاسعة عشرة التي وردت فيها صيغة فعّال هي: (أتَمثّلهُ مُحَمَّدِيُّ الشَّمَائِلَ غير صَخَّابٍ، ولا عَيَّابٍ). (عيون/1/588).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة (عيب): العابُ والعيْبُ والعيبة: الوصمة. قال سيبويه: أمَالُوا العابَ تشبيها له بألِفِ رَمَى، لأنّها منقلبة عن ياءٍ، وهو نادر، والجمع أعياب وعُيُوب؛ الأوّل عن ثعلب، وأنشد: [134]

---

[132]– السّخائم: جمعٌ مفرده سَخيمة: الحقد والضغينة والموجدة في النفس.

[133]– المصدر السابق ج3، ص: 307.

[134] – اللسان مادة (ع ي ب)، ج9، ص: 490.

كَيْمَا أعُدَّكُمُ لأَبْعَدَ مِنْكُـــــمْ ** ولقَدْ يُجَاءُ إلى ذَوِي الأعْيَـــابِ.

والمَعَاب والمعيبُ: العيبُ وقول أبي زُبَيْدٍ الطّائيّ:

إذَا التي رَقَأَتْ بَعْدَ الكَرَى وذَوَتْ ** وأحْدَثَ الرِّيقُ بالأفْوَاهِ عَيَّابَـــا.

يجوز فيه أن يكون العيّاب اسما للعيب، كالقَذَّافِ والجبّان، ويجوز أن يُريدَ عيْـــبَ عيَّـــاب، فحـــذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه.

وقال أبو الهيثم في قوله تعالى: (فأردْتُ أن أعِيبَهَا)[135]. أي أجعلها ذات عيب، يعني السفينة.

قال: والمُجاوز فيه واللازم واحد.

ورَجل عيَّاب وعيَّابة وعُيبة: كثير العيب للنّاس قال:

أسْكُتْ! ولا تنطِقْ، فأنتَ خَيَّابٌ ** كأنَّكَ ذُو عيبٍ، وأنتَ عَيَّـــابُ

وتقول: ما فيه معابة ومَعاب أي عيب؛ ويقال: موضع العيب، قال الشّاعر:

أنا الرَّجلُ الذي قَدْ عِبْتُـمُـــوه ** ومَا فيـــهِ لِعيَّابٍ مَعَـــابُ

لأن المَفْعَل من ذوات الثلاثة نحو كال يكيل، إن أريد به الاسم مكسور، والمصدر مفتوح، لجاز، لأنّ العـــرب تقول: المسارُ والمَسير، والمعاش والمعيش، والمعابُ والمعيبُ.

وعاب الماء، ثَقَبَ الشّطّ، فخرج مُجاوزه.

والعيبة: وعاء من أدمٍ، يكون فيه المتاع، والجمع عيَابٌ، فأمّا عياب فعلى القياس، وأمّا عيبٌ فكأنّه إنّما جـــاء على جمع عيبةٍ، وذلك لأنّه ممّا سبيله أن يأتي تابعًا للكسرة، وكذلك كل ما جاء من فِعله ممّا عينـــــه يـــاء على فَعِلَ.

وعيْبَة الرّجل: موضع سِرّه على المثل.

وفي الحديث: ((الأنْصَارُ كَرِشِي وعَيْبَتِي)) أي: خاصَّتي وموضع سرّي[136].

معنى الصيغة كما وردت في سياق النّص: (أتَمثَّلهُ مُحَمَّدِيُّ الشَّـمَائِلَ غـير صَخَّـابٍ، ولا عَيَّـابٍ،). (عيون/1/588).

عندما نتأمل كلمة (عيب) ومعانيها في المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية العربية نجد هـــذه المعـــاني تتغير وتتبدّل تبعًا لمشتقاتها وصيغها المختلفة؛ وكذلك طبقًا للسياق التعبيري الذي ترِدُ فيه ضمن النّصـــوص والموضوعات المتباينة.

فالعابُ والعيبة مثلا: الوصمة والجمع أعياب وعُيُوب، والمَعاب والمَعيبُ: العيْبُ.

وعابَ الشيء والحائط عيْبًا بمعنى صار ذا عيب.

ورجل عيّاب وعيّابة وعُيَبَة أي كثير العيب للناس.

---

[135] – سورة الكهف، الآية: 79.

[136] – المصدر السابق مادة (ع ي ب) ج9؛ ص: 490–491. وأساس البلاغة ج2؛ ص: 151.

ومن المعاني المجازية للكلمة هو عيبة فلان: إذا كان موضع سِرّه، وعن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (الأنصارُ كَرِشِي وعَيْبَتِي) أي: أضع فيهم أسراري كما تضع البهيمة العلف في كرشها والرّجل حرّ متاعه في عيبته.

وتقول فلانٌ خلْوُ العِيَابِ من العهد، صفْرُ الوِطاب من الوُدّ.

ولمّا عُدنا إلى النّص الذي وردت فيه كلمة (عيب)، وأمعنّا فيها النظر، وجدناها وضعت في هذه الصيغة (عيّاب) على وزن (فعّال) وهي هيئة للمبالغة تدلّ على الإكثار من نسبة العيب للنّاس، ورجل عيّاب وعيّابة وعُيَبَة: كثير العيب للنّاس وإظهار نقائصهم والتشهير بها عند العام والخاص.

غير أنّ صاحب النّص أوردها ضمن أسلوب النّفي لإبعاد هذه الصفة المذمومة عن الشباب الجزائري الحر الطّاهر. وهذه شيمة من شيم خاتم النبيئين –عليه وعلى الأنبياء أزكى الصّلاة والتسليم– لأنّ هذا الشباب منذ دخول الإسلام إلى ربوع الجزائر الزكية؛ ومنذ أن عرف الإسلام وتغلغل في كيانه صار يستمد الأخلاق الفاضلة، والخلال الكريمة، والشمائل الروحية من مُعلّم البشرية الذي أثنى عليه الله عزّ وجلّ في قوله: (وإنّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عظيمٍ)[137]، وهو الذي قال عن نفسه الزكية الطّاهرة معترفا بمنة الله تعالى عليه: (أدَّبَنِي ربِّي فأحسنَ تَأْدِيبِي) وقد يجعل الإنسان همّه الوحيد اصطياد معايب الخَلق وإحصاء نقائصهم، صغيرها وكبيرها، ويقضي في ذلك زمنا طويلا فلا يجني من وراء ذلك إلاّ إضاعة حياته، وخسارة عمره ولا يحصد من ذلك السلوك إلاّ فقدان الأحباب والأصدقاء والإخوة، ذلكم الأحباب و الأصدقاء والإخوة الذين كان في وُسعه أن يكسبهم، ويربح مودّتهم، ويُضيفهم إلى صفّه ودينه ونِحلته لو استعمل الأسلوب الملائم، وعمل بقوله جلّ شأنه: (ادفع بالتي هي أحسنُ فإذَا الذي بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عدَاوَةٌ كأنّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)[138].

وما أجمل الحكمة القائلة في هذا المقام: (إذا كان عدُوُّكَ نارًا فَكُنْ أنْتَ ماءً بَارِدًا)، والحكمة الأخرى القائلة: (إذا قَذَفَكَ خَصْمُكَ بالجَمْرِ فاقْذِفْهُ أنتَ بالتَّمْرِ)

وهذا –لعمري– عمل عسير، وفضائل عالية لا يقدر عليها إلاّ أصحاب النّفوس الكبيرة، وأولوا الصّدور الرّحبة كالأنبياء والرّسل وأولياء الله الصّالحين، ومن احتذى حذوهم واهتدى بهديهم. هذا وإنّ رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– لم يُبعثْ لعّانًا ولا سبابا ولا عيّابا على الرّغم من أنّ أعداءه وخصومه ومعارضيه في دعوته كانوا يؤذونه، ويسبّونه، وينتشلونه مرّات عديدة من ثيابه، ويرمونه بالحجارة، بل يضعون في طريقه الأشواك، ويقذفونه بالأقذار، ويطلبون قتله، ويسعون إليه سعيا حثيثًا.

ويوم واتته الفرصة السّانحة، وتمكّن منهم لم يَسَعْه إلاّ أن قال لهم بقلب ملؤه الرّحمة والرأفة والعطف والتسامح: (ما تظنّون أنّي فاعِل بكُم؟ فقالوا له: أخٌ كريم وابن أخٍ كريم؛ عندئذ قال لهم: اذهبوا فأنتم الطّلقاء).

---

[137] – سورة القلم، الآية: 4.

[138] – سورة فُصّلت، الآية: 34.

العبارة العشرون التي وردت فيها صيغة فعّال هي: (أتمثّله مُحَمَّدِيُّ الشَّمَائِلَ غير صَخَّابٍ ولا عيَّابٍ، ولا سبَّاب). (عيون/1/588).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة (سَبَب): السَّبُّ: القطع سَبَّهُ سَبًّا: قطعهُ، قال ذو الحِرَقِ الطُّهَوِيّ:

فَمَا كَانَ ذَنْبُ بَنِي مَالِكٍ ** بأنْ سُبَّ مِنْهُم غَلاَّمٌ فَسَبّ.

عَرَاقِيبَ كُومٍ، طِوَال الذّرى** تَخِرُّ بَوَائِكُهُ للرُّكَبْ.

التهذيب: أراد بقوله: سُبَّ أي: عُيِّرَ بالبخل، فسبَّ عراقيب إبله أنَفَة ممّ عُيِّرَ به كالسيف يُسمّى سَبّابَ العَرَاقيبِ لأنّ يقطعها.

التهذيب: وسَبْسَبَ إذا قطع رَحِمَه.

وسَبَبْتَه سَبًّا: شتمه وأصله من ذلك.

وفي حديث أبي هريرة: (لاَ تَمْشِيَنَّ أَمَامَ أَبِيكَ، ولا تَجْلِسْ قَبْلَهُ، ولا تَدْعُه باسْمِه، ولا تَسْتَسِبُّ لَهُ) أي: لا تعرّضه للسّبّ، وتَجُرّهُ إليه، بأنْ تسُبَّ أَبَا غيرك، فَيَسُبَّ أباكَ مجاراة لك).

والسّبابة: الإصبع بين الإبهام والوسطى، صفة غالبة، وهي المسبّحة عند المصلّين.

والسّبّةُ: بضمّ السين وتشديدها العار، ويُقال: صار هذا الأمر سُبَّةً عليهم أي عَارٌ يُسَبُّ بِه.

ويُقال: بينهم أسبوبة يتسابّون بها أي: شيء يتشاتمون به.

والتَّسابُ: التشاتم. وتسابّوا: تشاتموا.

والسّبيبُ والسّبُّ: الذي يسابُّكَ.

والسّبُّ: يأتي بمعنى الستر؛ والحمار، والعمامة، شُقّة كتّان رقيقة.

والسّبيبة مثله، والجمع السُّبُوب زكاة وهي الثياب الرّقاق وقال ابن شميل: الدّهر سَبّات أي: أحْوال، حال كذا، وحال كذا.

يُقال: أصابتنا سبّة من بردٍ في الشّتاء، و سبّة من صَحْوٍ، و سبّة من حرٍّ، و سبّة من رَوْحٍ إذا دام ذلك أياما.

والسّبَبُ: كُلُّ شيء يُتوصّل به إلى غيره، والجمع أسباب.

وجعلت فلانًا لي سبَبًا إلى فلان في حاجتي ووَدَجًا أي: وُصْلَةً وذريعة قال زهير:

ومَنْ هَابَ أسْبَابَ المَنَايَا يَلْقَهَا ** ولَوْ رَامَ أسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ.

وقول أبي ذؤيب يصف مشتار العسل:

تَدَلَّى عَلَيْهَا، بَيْنَ سِبٍّ وخَيْطَةٍ ** بِجَرْدَاءَ مِثْلِ الوَكْفِ، يَكْبُو غُرَابُهَا.

قيل: السّبُّ: الحبل، وقيل الوتد.

والسّبَبُ، من مُقطّعات الشعر: حرف متحرك وحرف ساكن، وهو على ضربين سببان مقرونان وسببان مفروقان وتفصيل ذلك في صناعة العروض.

والسّبيبُ من الفَرَس: شعر الذّنَب، والعُرف، والنّاصية.

وفي الصّحاح: شَعَرُ الذَّنَب، والعُرف، والنّاصية، ولم يذكر الفرس[139].

---

[139] ـ المصدر السابق مادة (س ب ب) ج6؛ ص: 137-140.

معنى الصيغة كما وردت في سياق النّص: (أتمثّله مُحمّدِيُّ الشّمائل غير صخّاب، ولا عيّاب ولا سبّاب،...). (عيون/1/588).

إنّ المتمعّن في معاني لفظة (سبب) يجد معظمها يدور حول مضامين الشّتم، والتّعْيير، والمعرة وإظهار نقائص ومعايب المذموم. والسّبُّ في مدلوله الصّحيح الدّقيق: كلام يدل على تحقير أحد، أو نسبته إلى نقيصه أو معرة ما، بالباطل كان ذلك أو بالحق، وهو مرادف الشّتم.

وليس من السّبّ النّسبة إلى خطأ في الرأي أو العمل، ولا النّسبة إلى ضلال في الدّين إن كان صدرَ من مخالفٍ في الدّين. أمّا عن الصّيغة التي وُضعت فيها الكلمة ضمن سياق النّص الذي بين أيدينا وهي قوله: (ولاَ سبّاب) فهو بناء مبالغة، أي: ليس كثير السّب والشّتم والتّعيير للنّاس.

والكاتب بذلك يحاول جاهدا إبعاد هذه الخصلة المذمومة عن الشّباب الجزائري، وهي الأمنية الغالية التي كان يعمل لها بياض نهاره وسواد ليله ليراها متمثلة في هذا الشّباب الأغر الذي ما فتئ يتزوّد في أخلاقه، وشيمه النّبيلة الطّاهرة من معين القرآن الكريم الذي لا ينضب، ومائدة السنة النبوية المطهّرة التي جاءت تفسيرا، وبيانًا، وشرحًا لكلامه عزّ وجلّ.

والسّبُّ والتعيّير، والشتم خصال مذمومة وشيم قبيحة كريهة ليست من أخلاق نبيّنا -عليه الصّلاة وأزكى التسليم- وأتباعه؛ لأنّها ليست من مقاصد الدّعوة الإسلامية ولا تترتّب عليها مصلحة دينية لأنّ المقصود من الدّعوة هو الاستدلال على إبطال الشّرك، وإظهار استحالة أن تكون الأصنام شريكة لله تعالى فذلك هو الذي يتميز به الحق من الباطل، وينهض به المُحقّ ولا يستطيعه المُبْطل.

وأمّا السّبُّ فإنّه مقدور للمُحقّ وللمبطل فيظهر بمظهر التّساوي بينهما.

وربّما استطاع المبطل بوقاحته، وفُحشه ما لا يستطيعُه المُحِقّ فيلوحُ للنّاس أنّه تغلّب على المُحقّ؛ على أنّ سَبَّ آلهتهم لمّا كان يُحْمي غيظهم ويزيد تصلّبهم قد عاد مُنافيا لمُراد الله من الدّعوة فقد قال رسول الله -عليه الصّلاة والسّلام- (وجَادِلْهُمْ بالتي هي أحْسَنُ)[140] وقال لموسى وهارون (فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أو يَخْشَى)[141] وقال لأصحابه وأتباعه: (وقُولُوا للنّاس حُسْنًا)[142] فصار السّبُّ للمفْسدة ولم يكن مشبوهًا بمصلحةٍ.

وقد فهم النّبي -عليه الصّلاة والسّلام- هذه المعاني ووعى هذه التّوجيهات من ربّه وعمل به على أرض الواقع الشّاق، ولأجل ذلك نراه يقول لأصحابه: (أنَا لَمْ أبعثْ لعَّانًا ولا سَبَّابًا ولا مُتَفَحّشًا).

ولقد أوحى الله تعالى لرسوله بهذه الآية ينهاه وأتباعه عن سَبّ أصنام المُشركين لئلاّ يَسُبُّوا الله تعالى انتقاما وثأرا لأصنامهم قائلا لهم: (ولاَ تَسُبُّوا الذين يَدْعون من دون الله فيَسُبُّوا الله عَدْوًا بغيرِ علْمٍ)[143]،[144].

---

[140] سورة النّحل، الآية: 125.

[141] سورة طه، الآية: 144.

[142] سورة البقرة، الآية: 83.

[143] سورة الأنعام، الآية: 108.

[144] - تفسير التحرير والتنوير ج6؛ ص: 427-430.

والمُخاطب بهذا النّهي هم المسلمون عامّة في كلّ زمان ومكان؛ ولا الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- لأنّ الرّسول لم يكن فحّاشا ولا لعّانا ولا سبّابا لأنّ خُلُقَه العظيم حائل بينه وبين ذلك؛ ولأنّه يدعوهم بما ينزل عليه من القرآن فإذا شاء الله تركه من وحيه الذي ينزله، وإنّما كان المسلمون لغيرتهم على الإسلام ربّما تجاوزوا الحدّ ففرطت منهم فَرطات سَبُّوا فيها أصنام المشركين.

وليس عجيبا أن يتحلّى الشّباب الجزائري المسلم بهذه الشمائل الرّبانية، ويتغلغل في كيانه ورُوحه، ويُمارسها ممارسة عملية في حياته النضالية الشّاقة الطّويلة الحالكة ضد الاستعمار الفرنسي وأعوانه وعملائه هنا وهناك لأنّ الإكثار من الأعداء عن طريق التحقير؛ والتعيّير، ونعتهم بأقبح النعوت، والإمعان في ذلك كلّه يُحفّزهم للردّ بما يُسيء إلى الدّين، والعقيدة، ورسول هذه الأمّة؛ وإلى السّخرية والتهكم بمقدسات هذا الدّين مثل الجنّة والنّار والملائكة ومن ثمّ سب الله تعالى من جانب؛ ولا يخدم هذا في شيء مصلحة البلاد والوطن محليًّا ودوليًا من جانب آخر.

لذلك فإنّ المطالبة بالحقّ المُغتصب لا يُنال بهذا الأسلوب الساذج؛ والطريقة الفجّة وإنّما يُنال بالحكمة السّديدة والحوار الهادئ، وإقناع النّاس جميعًا بالمنطق الصّائب؛ والحجّة البالغة، قصد تبيان أوجه المفارقات؛ والتناقض؛ والرؤية الضيّقة، والأنانية البغيضة التي يتخبّط فيها العدوّ. والصبر على ذلك كله دون كلل ولا ضجر ولا يأس عملا بقوله سبحانه: ﴿ولاَ تَيْأَسُوا من روْحِ الله إنَّهُ لا يَيْأسُ من رَوْحِ الله إلاّ القَوْمُ الكَافِرُون﴾[145].

وإن كثرة السّباب، والإمعان فيه لا يؤدي أبدا إلى نتيجة إيجابية تخدم المصلحة العليا للأمّة والوطن؛ ولا تخدم أيضا مقاصد الشريعة الإسلامية السّمحة بقدر ما تؤدي إلى خلق خصوم، وأعداء كثيرين، كما تؤدي إلى بروز رُدود أفعالٍ عديدة قد يكون لها الأثر السّيئ على الأهداف الكبرى المنشودة.

العبارة الواحدة والعشرون التي وردت فيها صيغة فعّال هي: (يَا سَاكِنَ الضّريح، مُتْ فَمَاتَ اللِّسَانُ القَوّال، والعَزْمُ الصوّال، والفِكْرُ الجَوّالُ). (عيون/ 17/658).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة (صول): صال على قرنه: صولاً وصيالاً وصُؤولاً وصَوَلاَنًا وصَالاً ومَصَالَةً: سطَا، قال الشّاعر:

ولَمْ يَخْشُوْا مَصَالَتَهُ عَلَيْهِمْ ** وتَحْتَ الرّغْوَةِ اللَّبَنُ الصّريحُ

والصّؤول من الرّجال: الذي يضربُ النّاس ويتطاول عليهم.

قال الأزهري: الأصل فيه ترك الهمزة وكأنّه همز لانضمام الواو.

اللّيث: صالَ الجملُ يصُول صيَالا وصُوالا وهو جمل صؤُول، وهو الذي يأكل راعيَه ويُواثبُ النّاسَ فيأكُلهم.

وفي حديث الدّعاء: بِكَ أُصُول، وفي رواية: أُصاول أي أسْطو وأقهر. والصّولة: الوثْبة.

وصيل لهم كذا: أي أتيح لهم[146].

---

(145) سورة يوسف، الآية: 87.

(146) - اللسان مادة (ص و ل)، ج7، ص: 444.

وقول الشّاعر:

- لاَ خَيْرَ فيه غَيْرَ أنْ لاَ يَهْتَـــدِي،
- وأنّه ذُو صَوْلَةٍ في المِـــــزْوَدِ.
- وأنّه غَيْرُ ثَقِيل في اليَـــــــدِ.

قوله ذُو صَوْلَة في المزود، يقول: إنّه ذو صولة على الطّعام يأكله وينهكه ويبالغ فيه، فكأنّـــــه يصـــــول على حيوان ما، أو يصول على أكيله لذوده ومُدافعته لهم، وقوله: وأنّه غير ثقيل في اليد، يقول: إذا بلـــتَ به لم يصر في يدك منه خير تثقل به يدك لأنّه لا خير عنده.

ابن الأعرابي: المِصولة : المكنسة التي يكنس بها نواحي البيدر.

أبو زيد: المصْول: شيء يقعُ فيه الحنظل لتذهب مَرَارَته.

والصّيلة، بالكسر: عقدة العذَبَة.

صال على قرنه صوْلَةً: حمل عليه: قال الشّاعر:

فَصَالُوا صَوْلَهُم فِيمَنْ يَلِيهُـــمْ ** وصُلْنَا صَوْلَنَا فِيمَنْ يَلِينَـــا.

ولَقَيْتُه أوّل صول أوّل وهلةٍ[147].

معنى الصيغة كما وردت في سياق النّص: (يَا سَاكِنَ الضّرِيح، مُتْ فَمَاتَ اللّسَـــانُ القـوّالُ، والعَـزْمُ الصّوّال). (عيون/ 17/658).

عند تتبّعنا لمعاني كلمة (صول) في المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية الأساسية وجدناها تدور حـــول مدلولات الهجوم، والسّطو، والتّطاول، والقهر، والوُثوب.

وقد تخرج -في حالات نادرة- عن هذه المعاني إلى دلالات أخرى فرعيّة مثل قولك: إنّه ذُو صَولـــة على الطّعام يأكله وينهكه ويبالغ فيه، والمصْولة: المِكنسة التي يُكنسُ بها البيدر، والصيلـــة، بالكســـر: عقـــدة العذَبَة.

والمِصْول: شيءٌ ينقعُ فيه الحنظل لتذهب مرارته؛ وغيرها من الدّلالات الفرعية التي تُلصق بصيـــغ الكلمة واشتقاقاتها المختلفة.

وحينما ننتقل إلى معنى لفْظة (صول) ضمن السياق التعبيري الـــذي وردت فيه نجـد أن الكلمـــــة قد وضعت في صيغة (الصّوّال) على وزن (الفعّال) وهي هيئة مبالغة تفيد شدّة الصّول وقوّته وهي مضافـــة إلى العزم ولاصقة به.

ولذلك فلا يمكن هنا فصل لفظة (الصّوّال) عن لفظة (العزم) لأن الثانية صفة مُبالغة للأولى.

ويُلاحظ أن عبارة: (والعزْمُ الصّوّال) وُضعت مَوْضع التّشبيه البليغ حيث شُبّه العزم بالكـــائن الحـــي الذي يصول ويجول في المعركة لا يكل، ولا يمل، ولا ينثني.

فحذف المشبّه به وجُعِلَ هو نفسه عزْمًا على وجه المبالغة والتوكيد.

---

[147]- المصدر السابق مادة (ص و ل) ج7، ص: 444-445، وأساس البلاغة ج2، ص: 32-33.

فالكاتب هنا أورد هذا التشبيه لرفيقه في الكفاح والنّضال الإصلاحي التربوي الأستاذ الرئيس عبد الحميد بن باديس –رحمة الله عليه– حيث يشبهه بـ(العزْمِ الصوَّال) فحذف أداة التشبيه ووجه الشّبه وادّعى أنّه عينه (العزْمُ الصوَّال) مثلما تقول: زارنا في المعهد أسدٌ وتعني شخصًا بعينه.

ويُلاحظ أن استخدام التشبيه البليغ والوصف بصيغة المبالغة في قوله: (والعزْمُ الصوَّال) أكسبا التعبير قوّة، وأضفى عليه جمالا، وزاد المعنى إيضاحا وتوكيدا، وأثار الفكر للعمل مستعينا بالخيال ليتصوّر إنسانا قويّ الشّخصية، رزين النّفس، هادئ البال، مُطمئن القلْب، صبُورًا، مُتّزن الفكر، متأنّي الخُطى، سديد الرأي، حديديّ الإرادة.

وإذا اتسم إنسان ما بهذه الشّمائل، والأوصاف النّادرة في شخصه اقتضى ذلك إلحاقه بأولي العزم لتشبّهه بهم. وأولوا العزم هم الرّسل كما ذكر ذلك القرآن الكريم في الأحقاف عندما كان يوجّه محمّدا –صلّى الله عليه وسلّم– ويطلب منه أن يتحلى بالصّبر قائلا له: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أولوا العَزْمِ من الرُّسُلِ ولاَ تَسْتَعْجِلْ لهم)[148].

والعزم هنا كما يذهب الطاهر بن عاشور: (نيّة مُحقّقة على عمل أو قول دون تردّد). كما قال تعالى: (فإذَا عَزَمْتَ فَتَوَكّل على اللهِ)[149]. وقال: (ولاَ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النّكاحِ حتّى يَبْلُغَ الكِتَابُ أجَلَهُ)[150].

وقال سعد بن ناشب من شعراء الحماسة:

إذَا هَمَّ ألقي بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَـــه ** ونكّبَ عن ذِكْرِ العَوَاقِبِ جَانِبًـــا.

والعزم المحمود في الدّين: العزم ما فيه تزكية النّفس، وصلاح الأمّة، وقوامُه الصّبر على المكروه وباعث التّقوى، وقوّته شدّة المُراقبة بأن لا يتهاون المؤمن عن مُحاسبته نفسه، قال تعالى: (وإنْ تَصْبِرُوا وتتّقُوا فإنّ ذلك من عزمِ الأمُور)[151]. وقال: (ولقد عهِدْنَا إلى آدمَ منْ قَبْل فَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا)[152].

وهذا قبل هُبُوط آدم إلى عالَم التّكاليف، وعلى هذا تكون (من) في قوله: (من الرّسُل) تبعيضية.

وعن ابن عبّاس أنّه قال: كُلُّ الرُّسُلِ أولوا عزمٍ، وعليه تكون (من) بيانية[153].

فـ (العزْمُ الصوَّال) هو ذلك العزم الذي لا يتردّد؛ ولا يكون مشبوها بأي اضطراب حتى لا يدع المسائل والقضايا معلّقة أو كالمعلّقة على حدّ تعبير القرآن الكريم؛ ولا يُوكِل أمر إنجازها إلى غيره وإنّما يُبتُّ فيها ويحسم؛ وبذلك يؤدّي كل واجب في أوانه دفعًا لتراكم الأشغال، وتأخر الإنجازات حتّى لا يضطرب القائم عليها؛ ولا تعمّ الفوضى، ولا يسود الوهنُ؛ والفشلُ، واليأسُ النّفوسَ.

ولا ينبغي لنا أن نخطئ في التّصوّر، ونسيء التقدير الذي ربّما توحيه لنا صيغة " الصوَّال " من معاني الانقضاض والوثوب الذي يقتضي السّرعة والعجلة في الوصول إلى تحقيق الهدف المنشود.

---

[148]– سورة الأحقاف، الآية: 35.

[149] – سورة آل عمران، الآية: 159.

[150] – سورة البقرة، الآية: 235.

[151] – سورة آل عمران، الآية: 186.

[152]– سورة طه، الآية: 115.

[153]– تفسير التحرير والتنوير ج26، ص: 67.

لنقول: إنّه حملٌ. ووثُوب، وسطو صادر عن أناة، ورويّة ومغالبة جادّة، وقاهرة للنّفس التي تتعجّل جني الثّمار قبل نضجها امتثالا لقوله تعالى الذي ينهى رسوله عن التّحلي بخصلة التسرّع، والاندفاع في تلقي الوحي: (ولاَ تَعْجَلْ بالقُرآنِ من قَبْل أنْ يُقْضَى إليكَ وحْيُهُ، وقُلْ: ربِّ زدني علْمًا)[154].

وقد ذمّ القرآن هذه الخلة في آية أخرى واعتبرها سمة من السّمات الدّالة على ضعف البشر في قوله: (ويَدْعُ الإنْسَانُ بالشّرّ دُعَاءهُ بالخَيْرِ وكان الإنْسَانُ عَجُولا)[155]. كما نهى الله تعالى رسوله -ص- في آية أخرى عن التعجل في تلقي الوحي من ربّه وسبق التلفظ به قبل إتمام نزوله في قوله: (لاَ تُحَرّكْ بهِ لِسَانَكَ لتَعْجَلَ به)[156] إلى غير ذلك من الآيات التي تنهى عن العجلة في إنجاز الأمور وتأمُرُ بضرورة التروي، والأناة فيها عملا بالحكمة القائلة: (في التأني السّلامة وفي العجلة النّدامة).

وقد اتسّم عزيزنا، وأستاذنا، ورئيسنا العلامة عبد الحميد بن باديس بهذه الشيمة النّادرة في الرّجال الرّواد، وكان يصدر فيها عن وعي وبصيرة، وتيقن، ومراقبة النّفس، ومحاسبتها على الأنفاس الصّغيرة والكبيرة؛ وقد أحرز بذلك قصب السّبق والنجاح في بناء الأمّة الجزائرية عقائديا، وتربويا، وأخلاقيا، وثقافيا، وسياسيا.

العبارة الثانية والعشرون التي وردت فيها صيغة فعّال هي: (يَا سَاكِنَ الضّرِيح، مُتّ فَمَاتَ اللسانُ القوّال، والعزْمُ الصّوال، والفِكرُ الجوّال). (عيون/17/658)

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة (جول): جالَ في الحرْبِ جَوْلة، وجال في التّطواف يجُول جوْلا وجَوَلاَنًا وجُوُولاً، قال أبو حيّة النميري :

وجَالَ جُؤُول الأخْدَري[157] بوافدٍ[158] ** مُعْذٍ[159]، قليلا ما يُنيخُ[160] لِيَهْجُدا[161].

وتَجاولُوا في الحربِ أي جال بعضهم على بعض.

والتّجوال: التّطواف، واجتال وجال: إذا ذهب وجاء.

والمِجْول: ثوب صغير تجول فيه الجارية، وقيل للصبية؛ وقيل الدّرعُ للمرأة؛ وقيل: الصّدار والصُّدرة.

وجال التّرابُ وانجال: ذهب وسطع. والجَوْلُ والجُولُ والجَوْلاَنُ والجَيْلان، الأخيرة عن اللّحياني: التراب والحصى الذي تجول به الرّيح على وجه الأرض[162].

---

[154] – سورة طه، الآية: 114.

[155] – سورة الإسراء، الآية: 11.

[156] – سورة القيامة، الآية: 16.

[157] – الأخدر والخُدْريُّ والأخْدَرِيُّ: نوع من الحُمر الوحشية أكبر من الفراء.

[158] – الوافد، من الإبل ونحوها: ما سبق سائرها.

[159] – مُعذٍ أعَذَّ إعْذاذا، السّير وفي السّير: أسرع.

[160] – يُنيخ، من أناخ إناخة الجمل: أبْرَكَه.

[161] – لِيَهْجُدَا: لينام.

[162] – اللسان مادة (ج و ل)، ج2، ص: 424.

ويقال للقوم إذا تركوا القصد والهُدى: اجتالهم الشّيطانُ أي جالوا معه في الضّلالة، وقال حُميد:

مُطَوّقَةٌ خَطْبَاءُ تَسْجَعُ كُلَّمَـــا ** دنَا الصّيفُ وانْجَالَ الرّبيعُ فأنْجَمَـــا.

انجال أي تنحّى وذهب.

أبو حنيفة: الجائل والجَويل ما سَفَرَتْه الرّيح من حُطام النّبتِ وسواقط ورق الشّجر فجالت به.

وفي الحديث: أنّ الله تعالى قال: (إنّي خَلَقْتُ عِبَادِي فاجْتَالَهُم الشيطان أي استخفّهم فجالوا معه؛ قـــال شـمّر: اجْتال الرّجل الشيء إذا ذهب به وطرده وساقه.

والإجالة: الإدارة، ويقال في الميْسَر: أجِل السّهامَ.

وأجال السّهام بين القوم: حرّكها وأفضى بها في القسمة وقال: استُجيل ذهبت به الرّيح ههنا وههنا وتقطّع.

وأجِلْ جائلتَكَ أي اقْضِ الأمر الذي أنت فيه.

والجُولُ والجَال والجيل، والأخيرة عن كراع: ناحية البئر والقبر والبحر وجانبها.

والجُول: العزيمة، ويقال: العقل، ولُبُّ القلب وعقله قال الرّاعي يصف عبد الملك:

فأبوك أحزمهُمْ، وأنتَ أميرُهُـــمْ ** وأشدُّهُمْ عِنْدَ العَزَائِمِ جُـــــولاَ.

والأجوليُّ من الخيل: الجوّال السّريع، ومنه قوله:

- أجوَلِيٌّ ذُو مَيْعَةٍ [163] إضْرِيج[164].

وجَوَلانُ المال، بالتحريك: صغاره ورديئه.

والجوْلُ: الجماعة من الخيل والجماعة من الإبل.

واجتال منهم جوْلاً: اختار.

وجَوْلَى، مقصور: موْضِعَ.

وجوَلانُ والجوْلانُ، بالتّسكين: جبل بالشّام.

وفي التهذيب: قرية بالشّام[165].

معنى الصيغة كما وردت في سياق النّص: (يَا سَاكِنَ الضّريح، مُتْ فَمَاتَ اللســـانُ القـوّال، والعـزْمُ الصّوال، والفِكرُ الجوّال). (عيون/658/17).

إنّ المتتبّع لدلالات كلمة (جول) في المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية المختلفة يتبيّن بسهولة ويُســـر أنّ مُعظم هذه الدلالات للكلمة السالفة الذّكر تدور حول معاني الدّوران، والحركة؛ والذّهاب، والإيّاب.

لذلك فإن الكاتب لم يجانب الصّواب عندما وظّفها للفكر وجعلها صفة مميزة له في القـــول: (والفكـر الجوّال) وأيُّ فكر هذا الذي لا يهدأ، ولا يسكن عن الحركة والعمل الدؤوب ! ! إنّه -ببساطة وتواضع- الفكـر البادسيّ الذي أقامَ فرنسا -تلك العجوز الشّمطاء- وأقعدها؛ هذه العجوز الجبانة التي لا تعـــترف إلاّ بمنطـق القوّة والمادّة والحديد والنّار !

---

[163] - ذو ميعة: ناصية الفرس إذا كانت طويلة.

[164] - إضريج، الاضريج: الفرس الشّديد العدْوِ

[165] - المصدر السابق مادة (ج ول) ج2، ص: 424.

فإنّه لم يتخل عنها جُبنًا وضعفًا بل إنّه تركها عن وعي، واقتناع، وإدراك لعواقبها الوخيمة؛ ولأنّها مظاهر وسلوكات إن دلّت على شيء فإنّما تدل على فراغ في الرأس، وانطماس في القلب، وجفاء في الطبع، وجفاف في الوجدان والروح، وعمى في البصر والبصيرة، وعطب عميق في سائر الجوارح جعلها تتوقف عن وظائفها الحقيقية فكانت سببا في دخول أصحابها -جنًّا كانوا أم إنسًا- إلى نار جهنّم التي وعد الله بها هؤلاء جميعا في قوله: (ولقد ذَرَأْنَا لجهنّم كثيرًا من الجنّ والإنس لهم قُلُوبٌ لا يفقهون بها، ولهم أعينٌ لا يُبْصِرون بها، ولهم آذان لا يَسمَعُونَ بِهَا، أُولئِكَ كالأنعامِ بل همْ أضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُون)[166]. فتأمّل أخي الكريم هذا في واقع النّاس وفي حياتهم، وتأمّل العواقبَ التي تَنْجُم لهم عن سوء استغلال هذه الآلات الرّبانية العجيبة وإهمال العمل بها ! ! !

ولا يسعنا في هذا المقام إلاّ أن نردّد هذه القصيدة للشّاعر الجزائري المجاهد الغيور محمد العيد آل خليفة والتي عنوانها (يا شباب) وقد ألقاها الشاعر في احتفال مدرسة بسكرة ونشرت بالبصائر سنة 1947م يُذَكّر فيها الشباب بالواجبات الملقاة على عاتقه؛ ويدعوه إلى طلب المجد والسؤدد عن طريق العلم، والتمسك بالدّين، والتّعلّق بالتّاريخ، تاريخ الآباء والأجداد الذين ضربوا أروع الأمثلة في الفداء والتّضحية والبناء كما يدعوه إلى المحافظة على الوحدة العربية والاعتزاز بالعروبة وعدم التفريط فيها لأنّها تشكّل قوّة معتبرة نتحدّى بها تقلّبات الزّمان. فهو يقول مُنوّهًا بالشباب داعيا إياه إلى ركب جواد الحضارة الحديثة:

أنْتَ من عُنْصُرِ الخُلُودِ لُبَابُ ** كُنْ إلى المَجْدِ طَامِحًا، يا شبابُ
مِشْعَلُ العِلْمِ في يَمينِكَ يُهْدَى ** كُلُّ سَارٍ به ويُجْلَى الضّبابُ
لكَ دينٌ مَدَى الدُّهورِ عزيز ** يُبذَل المالُ دُونه والرِّقابُ
لك مَاضٍ ما مِثْلُهُ قَطُّ ماضٍ ** تَتَبَاهَى بمَجْدِهِ الأحقَابُ
ولِسَانٌ لمْ يَدْنُ مِنْهُ لِسَانٌ، ** وكِتَابٌ لمْ يَدْنُ منْهُ كِتَابُ
تِلْكَ فينَا وَدِيعَةُ السَّلَفِ الزّا ** كِي، فَهَلاَّ تَصُونُهَا الأعقَابُ[167].

وعلى الرغم من رفع فرنسا لشعارات العدالة والمساواة والحرية والأخوة الإنسانية، إلاّ أنّ المعاملة الواقعية اليومية لها للجزائريين كشفت -حقيقة- زيف كلّ هذه الشعارات التي تلوّح بها فرنسا للعالم أجمع في المحافل الدّولية والمؤتمرات، وفي الجزائر بالذات خاصة تلك المجازر التي قامت بتنفيذها فرنسا في كل من مدن (قالمة) و(سطيف) و(خرّاطة) سنة 1945، فقتلت ما يقرب من 45 ألف مواطن جزائري؛ وكان ذنبهم الوحيد أنّهم طلبوا من فرنسا تنفيذ الوعد الذي أخذته على نفسها بمنح الجزائريين الاستقلال إذا ما انتصرت على الألمان في حربها ضدّهم.

وقد صوّر الشاعر الجزائري محمد العيد هذه المجازر الدّموية أصدق تصوير، ونقلها في صورة مجسّمة إلى الأجيال وإلى المجتمع الدّولي أجمع في قوله:

---

[166] - سورة الأعراف، الآية: 179.

[167] - ديوان محمد العيد محمد علي خليفة، الشركة الوطنية للنّشر والتوزيع -الجزائر- مطبعة البعث قسنطينة 1967، ص: 259- 260.

فَظَائِعُ مَاي كَذَّبَتْ كُلَّ مَزْعَـــمٍ ** لهُمْ ورمَتْ ما رَوَّجُوهُ بإفْـــلاَسِ
دِيَارٌ من السُّكَانِ تُخْلَى نِكَايَةً[168] ** وعَسْفًا[169] تُسَاقُ لأرْمَـــــاسِ[170]
وشِيبٌ وشُبَّانٌ يُسَامُونَ[171] ذِلَّةً ** بأنواعِ مَكْرٍ لا تُحَدُّ بِمِقْيَـــــاسِ
وغيدٌ[172] من البِيضِ الحِسَانِ أوانسٌ** تُهانُ على أيْدِي أراذِلَ[173] أنكاسِ[174]
ويُسلَبْنَ من حَلْيٍ لهنَّ مُرَصَّـــعٍ ** بِكُلِّ كريمٍ من جُمانِ[175] وألماسِ[176]
ويُنْكَبْنَ في عِرْضٍ لَهُنَّ مُطهَّـــرٍ** مَصُونِ الحواشي طيّب العرْفِ كالآسِ[177] [178]

ولفظة (الجوّال) جاءت على هيئة المبالغة بزنة (فعّال) للدّلالـــة علـــى كـــثرة الحركـــة، والتّطـــواف، والدّوران. وهي صفة تدل على حيوية ونشاط الأستاذ الرئيس الشيخ عبد الحميد بن باديس، وعملـــه الفكـــري الدؤوب؛ وهي خاصية نلمحها أيضاً عند أصدقائه وتلاميذه من بعده.

إنّها حالة المسلم الأصيل الذي فقه دينه، ووعى مبادئ عقيدته وتعاليم الإسلام الحركية النشيطة، ذلكـــم الدّين الذي يدعو أتباعه إلى التأمّل والتفكّر في ملكوت السماوات والأرض، ويدعو إلى الانتقاد قبل الاعتقـــاد، وإلى الاقتناع الواعي قبل الاعتناق الأعمى ولذلك جاءت عشرات الآيات القرآنية تدور كلّـــها حـــول أهميـــة استخدام العقل، وضرورة توظيفه في شتى مناحي الحياة، واستغلاله إلى أقصى حدٍّ ممكن في دراســـة الكـــون والحياة والإنسان دراسة موضوعية، نزيهة عميقة. انظر إلى القرآن الكريم كيـــف يدعـــو النّـــاس جميعـــا إلى التفكّر والتدبّر في مخلوقات المولى عزّ وجلّ وآياته البيّنات: (أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فـــي أَنْفُسِـــهِمْ مـــا خَلَـــقَ الله السّماواتِ والأرض وما بيْنَهُمَا إلاّ بالحقِّ وأجَلٍ مُسَمًّى)[179]؛ وقوله: (سَنُرِيهِم آياتِنَا في الآفاقِ وفـــي أنفسِـــهِمْ حتّى يتبيَّنَ لهُم أنَّه الحقُّ)[180]؛ وقوله تعالى: (هَلْ يَستَوِي الأعْمَى والبـــصيرُ أفلاَ تَتَفَكَّرُونَ)[181].

---

[168] – نكاية: قهرًا وتسلطا.

[169]– عسفا: ظلما وعُدوانًا.

[170] – الأرماس: جمع مفرده رمس: وهو القبر.

[171]– يُسامون، مضارع مبني للمجهول: يُذاقون.

[172] – غيد، جمع مفرده غيداء: وهي المرأة الشابة الناعمة اللينة.

[173] – أراذل، جمع مفرده رَذل: وهو الرديء الحقير.

[174]– أنكاس، جمع مفرده نِكْس: وهو الرجل الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه.

[175]– جمان، جمع مفرده جُمانة: اللؤلؤ.

[176]– ألماس: حجر كريم شفاف شديد اللّمعان.

[177]– الآس: شجر عطري دائم الخضرة.

[178] – المصدر السابق، ص: 325.

[179] – سورة الرّوم، الآية: 8.

[180]– سورة فصلت، الآية: 53.

[181] – سورة الأنعام، الآية: 50.

وقله جلّ شأنه: (أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إلى الإبِلِ كيفَ خُلِقَتْ، وإلى السَّماءِ كيفَ رُفِعَتْ، وإلى الجبالِ كيفَ نُصِبَتْ، وإلى الأرضِ كيفَ سُطِحَتْ)[182] وغيرها من الآيات التي جعلت فكر الشيخ عبد الحميد بن باديس يجول في السماء والأرض، وفي البحار والأنهار، في الإنسان والحيوان والطير والنّمل وسائر الكائنات التي أبدع الله في خلقها وتكفّل بإطعامها وسقْيها ومأواها وسعيها وحركتها وفق سُنَنٌ مرسومة من لدنه ليقول عن قناعة في نهاية المطاف: لله الخَلْق والأمر تباركَ الله أحسنَ الخَالقين. يقول الدّكتور تركي رابح في هذا الإطار: (والعامِل الخامسُ والأخير من عوامل تكوين شخصية ابن باديس " هو القرآن الكريم " وهذا العامل يفوق غيره من العوامل السّابقة. وقد وَهَبَ له الشيخ عبد الحميد بن باديس الجزء الأكبر من حياته الخصبة يتعلّمه ويتدبّره، ثمّ يُفسره للنّاس في الجامع الأخضر بمدينة قسنطينة من أجل هدايتهم به حتّى أتمّه تفسيرًا ودراسة في خمسةٍ وعشرين عامًا)[183].

العبارة الثالثة والعشرون التي وردت فيها صيغة فعّال هي: (والعَلاّمَة المَوْدُوديُّ وثيق الصّلة بجمعيّة العلماء الجزائريين، من طريق جريدة البصائر، مُتتبّع لحركتها، مُعجَبٌ بها وبأعمالها). (عيون/15/692).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة: (علم): من صفات الله عزّ وجلّ العليمُ العَالِمُ والعلاّم، قال الله عزّ وجلّ : (وهو الخَلاّقُ العَلِيمُ)[184]، وقال: (عَالِمُ الغيبِ والشّهادة)[185]؛ وقال: (علاّمُ الغُيُوبِ)[186] فهو الله العالم بما كان وما يكون قبل كَوْنِه، ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السّماء سبحانه وتعالى، أحاط علمُه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها دقيقها وجليلها على أتمّ الإمكان.

وعَلِيمٌ، فَعيل: من أبنية المبالغة، ويجوزُ أن يقال للإنسان الذي علّمه الله علمًا عليم، وقال قال يوسف للملك: (إنّي حَفِيظ عليمٌ)[187]، وقال الله عزّ وجلّ: (إنّمَا يَخْشَى اللهَ من عبادِهِ العُلَمَاءُ)[188]؛ فأخبر عزّ وجلّ أن من عباده من يخشاه، وأنّهم هُمُ العلماءُ.

والعلم نقيض الجهل. قال ابنُ جنّيّ: لمّا كان العِلْمُ قد يكون الوصف به بعد المُزاولة له وطول الملابسة صار كأنّه غريزة، ولم يكن على أوّل دخوله فيه، ولو كان كذلك لكان مُتَعَلّمًا لا عَالِمًا، فلمّا بالغريزة إلى باب فَعُلَ صار عالِم في المعنى كَعَلِيم، فَكُسّر تكسيره، ثمّ حُمِل عليه ضدّه فقالوا جُهّلاء كعُلَمَاءَ، وصار علماء كحلماء لأنّ العلْم مَحْلَمَة لصاحبه[189].

---

[182] – سورة الغاشية، الآية: 17–20.

[183]– الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر د /تركي رابح/ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر/ط3/1981، ص: 181.

[184] – سورة يس، الآية: 81.

[185]– سورة الرّعد، الآية: 9.

[186] – سورة التوبة، الآية:116.

[187]– سورة يوسف، الآية: 55.

[188]– سورة فاطر، الآية: 28.

[189] – اللسان مادة (ع ل م)، ج9، ص: 370.

وعلاّم وعلاّمة إذا بالغت في وصفه بالعلم أي عالمٌ جدًا، والهاء للمبالغة.

وعَلِمْتُ الشيء أعلَمُه عِلْمًا: عَرَفْتُه. قال ابن برّي: وتقول عَلِمَ وفَقِهَ أي تعلّم وتفقّه، وعَلُمَ وفَقُهَ أي ساد العلماء والفقهاء.

وعَلَمه يَعْلُمُه ويَعْلِمُهُ عِلْمًا: وَسَمَهُ.

وعَلَّمَ نفسَه وأعْلَمَهَا: وسَمَهَا بسيما الحرْب.

ورجُلٌ مُعْلِم إذا عَلِمَ مكانه في الحرب بعلامةٍ أعْلَمَهَا.

وأعلَمَ حمزةُ يوم بدر، ومنه قوله:

فَتَعَرَّفُونِي، إِنَّنِي أَنَا ذَاكُـــــمْ ** شَاكِ سِلاَحِي، فِي الحَوَادِثِ، مُعْلِـــمُ.

ومَعْلَمُ كلّ شيء: مظِنّتُه، وفلانٌ مَعْلَم للخير كلّه كذلك.

والمَعْلَمُ: الأثر يُستدلُّ به على الطريق، وجمعه المعالم.

والعَالَمُونَ: أصناف الخَلْق؛ والعَالَمُ: الخَلْقُ كُلّهُ.

والعُلاَم: الباشق، قال الأزهري: وهو ضرب من الجوارح.

والعُلاَمِيُّ: الرّجل الخفيف الذكي مأخوذ من العُلام.

والعُلام والعِلْم والعَيْلاَمُ لها معاني عديدة لا يمكن تقصيها وإحصاؤها والإتيان بها في هذا المقام[190].

معنى الصيغة كما وردت في سياق النّص: (والعَلاّمَة المَـوْدُودِيُّ وثيـق الصّلـة بجمعيّـة العلمـاء الجزائريين، من طريق جريدة البصائر، مُتتبّع لحركتها، مُعجَبٌ بها وبأعمالها). (عيون/15/692).

عندما نتتبع كلمة (علم)؛ ومشتقاتها، وصيغها في المعاجم اللغوية، والمصادر الأدبية الأساسية تجدهـا ذات معان عديدة منها ما هو متشابه؛ ومنها ما هو متباين في الدّلالة.

فمن النّوع المتشابه في الدّلالة مثلا: إنّ العلم هو نقيض الجهل ومُعَلَّمٌ أي مُلْهَم للصواب والخير كقولـه تعالى: (مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ)[191]. أي له من يُعَلِّمُهُ، وعَلاَّمٌ وعَلاَّمَةٌ: إذا بالَغْتَ في وصفه بالعلم أي عالم جدا.

ومن النوع المتباين في المعنى نحو: الأيّام المعلوماتُ: عَشْرُ ذِي الحجّة آخرها يـوم النّحـر، والعِلْـم والعَلَمَة والعُلْمَة: الشقُّ في الشفة العليا، وعلمَه يَعْلُمُه ويَعْلِمُه عَلَمًا: وَسَمَه، والعلاّمة: السّمة؛ والمَعْلَمُ: مكانـها، والعِلْمُ: رسْمُ الثوب، والعَلَمُ: الراية التي تجتمع إليها الجند.

وبالرّجوع إلى معنى كلمة (علم) في سياق النّص الذي وردت فيه نجدها قد وردت في هذه الصّـورة: (وَالعَلاّمة...) بزنة (الفعّالة) وهو مثال مبالغة يدلّ على أنّ الموصوف بهذه الصفة قد بلغ الغايـة والنهايـة في العلم الذي يُمكن أن يُتاح للبشر قال ابن جنّي: (رَجل عَلاّمة وامرأة علاّمـة، لـم تلحـق الـهاء للتـأنيث الموصوف بما فيه، وإنّما لحقت لإعلام السّامع أنّ هذا الموصوف بما هي فيه قد بلغ الغاية والنهايـة، فجعـل تأنيث الصّفة أمارة لما أُريد من تأنيث الغاية والمبالغة) ومما يؤكد هذه الصفة النادرة فـي الرّجال اليـوم –وهي صفة أحرز فيها المودودي قصب السبق– هذا الاعتراف من البشير الإبراهيمي لهذا العالم الفذ، يقـول:

---

[190] – المصدر السابق مادة (ع ل م) ج9؛ ص: 371–374.

[191] – سورة الدخان، الآية: 14.

(أصِفُه وَصْفَ العارف الذي قرأ وشاهد، فهو رجل لمْ تَرَ عيناي كثيرا من مثله؛ بل لم أر مثله في خصائص امتاز بها عن علماء الإسلام في هذا العصر، منها الصّلابة في الحقّ، والصّبر على البلاء في سبيله، والعُزُوف عن مجاراة الحاكمين فضلا عن تملقهم؛ وهو أفقه من رأيته أو سمعتُ به في باكستان والهند في حقائق الإسلام تشريعا وتاريخا، واسع الإطّلاع، دقيق الفهم، بارعُ الذهن، نيّرُ الفكر، كبيرُ العقلِ، مُشرقُ الرّوح على تجهّم في ظاهره؛ سديد التصرّف في المقارنة والموازنة والاستنباط، مُستقل في الاستدلال إلى حدٍّ، يمضي إلى الشريعة في مقاصدها العامة، دون احتفال بالجزئيات إلاّ بمقدار ما يدخل من هذه إلى تلك، عميق الغور في استخراج النّكتِ، متين العقيدة.

وتظهر آثارها على أعماله ومواقِفِه قوّةً وثباتًا، كما تظهر آثار الغذاء الصّالح على البدن فراهة ونعمة، فلسفيُّ النّزعة العلمية لا العقلية، يذوده افتتانه بالنّص والواقع على أن يكون فيلسوفا عقليا؛ ولولا ذلك لكانه، فهو يؤمن بالنّص، ويؤمن بعمل العقل في النّص، ثمّ لا يزيد إلاّ بمقدار، جمهوري العِشرة ولكنّه خصوصيُّ الزّعامة، يرى أنّ لها -لا للزّعيم- حقوقا تحفظ النّظام، وتوزّعُ الأعمال على الكفاءات، وتقف بالمتطفّلين عند حدٍّ، فهمت هذا من مجموع أحواله وملابستي لبعض أنصاره.

فصوّرتُه بهذه العبارات، وأنا أرى أن الفرق بين الزّعامة والزّعيم شيء دقيق ودقّته هي التي غرّت الزّعماء بأنفسهم وغرّتِ الأتباع بهم.

وهو هَيُوبة للتحدّث بالعربية، مع دقّة فهمه للقرآن والحديث وكتب الدّين، واقتداره على تطبيقها، ويرجع سببُ ضعفه في الكلام بالعربية إلى قلّة استعماله لها في الحديث والكتابة، فهو مع كثرة مؤلفاته التي تبلغ العشرات لم يكتب كتابا واحدا بالعربية وكل مؤلفاته بالأوردية والإنجليزية، وكلّها في المواضيع الإسلامية الخطيرة، التي تقتضيها النّهضة والتجديد ويكثر الخوض فيها في هذا العصر، ويتناولها الغربيون بالنّقد والتّشويه، وللأستاذ مشاركة قويّة في معارفِ العصر واطّلاع على حضارته، وهو يزنها بالميزان القِسْط، فلا إنكار ولا اندفاع بل إنّه يقف منها موقف الحذر والانتباه، وقد ترجم أحد أعضاء الجماعة طائفةً من كتبه إلى العربية فمكّن بذلك أبناء العرب من الاطلاع على أفكاره، وهذا العضو هو صديقنا الوفيّ الشيخ مسعود عالَم النّدويُّ، وقد أهدى لي جميعها منذ سنوات وأنا في الجزائر، فلمحت فكرًا شفّافًا، ورأسًا حكيمًا، وتساوُقًا بين الألفاظ ومعانيها، لا يُنمُّ على أنّ هناك انتقالا من لغةٍ إلى لغةٍ وتبيّنت السّرَّ في ذلك، وهو أنّ الموضوعات إسلامية واللغتين إسلاميتان والمؤلّف والمترجم سليلا فكرة فعَمِلت الرّوحُ عَمَلها العجيبَ في ذلك، وصديقنا مسعود -لطّف الله به- ثاني اثنين في القارة الهندية يُحسنان الكتابة بالعربية كأبنائها، والآخر هو الأستاذ أبو الحسن النّدوي.

والعلاّمة المودوديّ يحمل بين جنبيه قلبًا عامرا بالاهتمام بأحوال المسلمين، والأسى لحاضرهم والإعجاب بماضيهم؛ والتنويه بالنّظام الحكومي في الإسلام، يراه أعدل نظامٍ إنسانيّ، وأضبط نظام للنزوات البشرية؛ وأحفظ نظام للمصالح المتشابكة، ومن هنا نشأت فكرتُه في الحكومة الإسلامية، وقد سُرَّ كثيرا بالمعاني التي تنطوي عليها رحلتي، لأن تقارب المسلمين بالتعارف يُفضي بهم إلى التعاون على إصلاح[192]

---

[192] - عيون البصائر، ص: 691-692.

شؤونهم، وهو ينعى عليّ شيئا واحدًا وهو أنّني لم أشتغل بتأليف كتب على أحوال المسلمين عـــلى النمـــط الذي سمعه من كلامي، فأجبته بما لم يقتنع به لأنّه يعتقد أنّ هذه الأحاديث العادية التي سمِعها منّـي كُتـــبٌ لا ينقصها إلاّ التّدوين، ورأيه في التأليف أن تكون الكتب صغيرة الحجم حتّى يسهُل قراءتها وتصريفها، وهـذا هو المسلك الذي سلكه في كُتُبه فكلّها كراريس مستقلّة بموضوعات)[193].

إنّ الحديث عن أمثال " العلاّمة المودوديّ " هو حديث حلو شيّق لا يُمل أبدًا، وإنّ النّفس تظل مشـتاقة طالبة المزيد منه لأنّ ترجمة حياة العظام –وبالخصوص العلماء منهم– هي قراءة شفافة دقيقة لذيـــــذة في صفحات التاريخ والأجيال الماضية، وكيف نبتت هذه الشخصيات وترعرعت ونشـــأت، وماذا اعتنقـت من المبادئ والأفكار، وماذا اتخذت من المواقف إزاء الحياة والكون والإنسان؛ وكيف كـــان تكيفـــها مع المُعْضِلات والحواجز التي اعترضت سبيلها؛ وما هي مصادر المعرفة والفكر والثّقافة التي كانت تسـتقي منها؛ وماهي مواقفها تجاه القضايا الحضارية الحسّاسة التي عاصرتها من استعمار وعدالة، وحرية، وأخـوة، وأخلاق، وقوّة مادية، وسلام وأمراض روحية ونفسية وأديان وأجناس وشعوب وغيرها.

وفي الأخير وليس أخيرا؛ نقول: مَا أحلى الحياة مع هذه الشخصيات وهي تقاوم وتصارع تيار الحيـاة الجارف، وما أجمل العيش إلى جانبها وهي تتحدّى الصّعاب، وتصمد للنّكبات في كبريـــاء، وعـزّة وعنـاد، وصلابة عملا بقول الشّاعر:

أعيشُ رغمَ الدّاءِ والأعْداءِ ** كالنّسرِ فوقَ القِمّةِ الشّمّاء[194].

إنّهم أحسن مثال، وأروع نموذج تحتديه الأجيال الصاعدة، المتطلعة إلى غد أفضل، ومسـتقبل زاهـر يزخر بالتحدّي، والتفوق، والسيّادة، وبناء المجد الرّاسخ.

---

[193] – المرجع السابق ص:692 – 693.

[194]– الشّابي: حياته وشعره، أبو القاسم محمد كرّ، الدار العربية للكتاب 1984 –طرابلس– الجماهيرية العربية الليبية د.ط/ ص: 94.

المبحث الثاني

4-2-صيغة فعُول

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التعريف بصيغة فَعُول:

تأتي هذه الصيغة في الدرجة الثانية بعد صيغة فَعّال السّالفة الذّكر من حيث الكثرة والاستعمال وجَرَيَانُهَا على الألسنة.

وحينما عدنا إلى مدوّنة عيون البصائر ننقّب عن الألفاظ التي وردت على وزن هذه الصيغة فوجئنا بهذا العدد الضئيل من صيغة " فَعُول " والذي لا يتعدّى الصيغتين وهما " فخورة " و "لَعُوبًا "، مقارنة مع الصيغة الأولى "فعّال" التي بلغ عدد صيغها ثلاثا وعشرين صيغة، وبذلك تكون هذه الصيغة الأخيرة قد توافقت مع القاعدة الأصلية من حيث كثرة الورود في الاستعمال ودورانها على الألسنة.

لكن صيغة " فَعُول " نراها قد أتت غير متوافقة مع الأصل الذي نصّت عليه القاعدة حيث كنّا نتوقع ورود صيغ عديدة تحتل بها الدرجة الثانية من حيث الكمّ وذلك طبقا لما تنّص عليه القاعدة المتعارف عليها.

وممّا لا شكّ فيه أنّ هذا الكمّ الضئيل الذي عثرنا عليه في المدوّنة يعود إلى الكاتب نفسه حيث وقع اختياره على أبنية وأوزان أخرى للمبالغة والتي رأى أنّها أكثر دقّة في التعبير عن انفعال ما من انفعالاته وأكثر تأدية للغرض المعنوي والبلاغي اللّذين يريد تحقيقهما. ولذلك فلا ينبغي لنا أن نعاتبه في ذلك، أو نتهمه بالقصور.

وأما من حيث الاشتقاق فالصيغة تُشتقُّ من مصدر الفعل الثلاثي المتعدّي المتصرّف نحو: نَصُوح وصَدوق وغَفُور وشَكُور وخَفُور وغَدُور وأَكُول وضَرُوب وقَتُول وغَشُوم.

ومن المسموع الذي لم يستوف شروط الصياغة في المراجع اللغوية من صيغة "فَعُول " نحو: ضَحُوك وعَبُوس وبَشُوش وصئول وسَكُوت وحَقُود وصَبُور؛ ووَقُور؛ وصَمُوت. فقد صيغت هذه الألفاظ من مصدر الفعل الثلاثي: عَبَسَ – بشَّ– صالَ– سَكَتَ– حقَدَ– صَبَرَ– وقَرَ– صَمَتَ مع أنّ فعالها لازم؛ وهذا أمر مخالف للأصل؛ فالقاعدة التي تحكم هذا الأصل تقول: إنّ صيغ المبالغة لا تُصَاغُ إلاّ من مصادر الأفعال الثلاثية المتصرّفة المتعدية ويُستثنى من ذلك صيغة "فعّال " التي تصاغ من المتعدّي واللاّزم لتوفر الشواهد اللغوية المختلفة التي تؤيد ذلك[1]

---

[1] النّحو الوافي ج3؛ ص: 258– 262.

4-2-صيغة فَعُول:

العبارة الأولى التي وردت فيها صيغة فَعُول هي: (هذا فصل قصير تحكيه البصائر من تاريخ حياتها الأولى، فَخُورَةٌ مزهوّة بأنّها بذّت أخواتها الشهيدات بما جلتْ من مَحَاسِنِ الإسلام والعُرُوبة، وبما جاهدتْ في سبيلهما، وبما مهّدتْ للإصلاح الدّيني من عقبات، وبما لقيت في صراع الاستعماريين الرُّوحي والبدني من مكاره...). (عيون/1/19).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة (فخر): الفَخْر والفَخَر، مثل: نَهْر ونَهَر، والفخر والفخار والفَخَارَة والفِخِّيرِيُ والفِخِيرَاءُ: التمدّح بالخصال والافتخار وعدّ القديم.

وفِخاراً: التعاظم، والتفخّر: التّعظّم والتّكبّر. وفاخره مُفاخرة وفِخاراً عارضه بالفخر ففخَرَه، أنشد ثعلب:

فأصْمَتُ عَمْرًا وأُعْمِيتُـــــهُ، ** عَن الجُودِ والفَخْرِ، يومَ الفِخـــــار

كما أنشده بالكسر، وهو نشر المناقب وذكر الكرام بالكرم.

وفَخِيرُكَ: الذي يُفاخرك، ومثاله الخصيم. والفِخِّير: الكثير الفخر، ومثاله السّكير. وفِخِّـــير: كثـير الافتخـار، وأنشد:

يَمشِي كَمَشْيِ الفَرِحِ الفِخِّيـــــر.

وقوله تعالى: (إنَّ الله لا يُحِبُّ كُلّ مُخْتَال فَخُور)[2]، الفَخُور: المتكبّرُ. وفي الحديث: أنَا سَيّدُ وَلَدِ آدَمَ ولا فَخْرَ. الفَخْر: ادّعاء العِظم والكِبر والشرف، أي لا أقوله تبجُّحًا، ولكن شكرا لله وتحدّثًا بنعمه.

والفَخِير: المغلوب بالفخر.

واستفخر الشيء:اشتراه فاخرًا.

والفخور من الإبل: العظيمة الضّرع القليلة اللّبن، ومن الغنم كذلك ونخلة فخور: عظيمة الجِذْع غليظة السّعف.

وفرس فخور: عظيم الجُرذان طويله.

والفُخَار: الخزف. وفي الحديث أنّه خرج يتبرّز فأتبعه عُمَرُ بإدْوَاةٍ وفخّارة، الفخّـار: ضـرب مـن الخـزف معروف تعمل منه الجِرار والكيزان وغيرهما. والفخّارة: الجرّة وفي التنزيل: (خَلَقَ الإنسـانَ مـن صَلْصَـالٍ كالفَخَّارِ)[3]،[4].

معنى الصيغة كما وردت في سياق النّص: (هذا فصل قصير تحكيه البصائر من تاريخ حياتها الأولـى، فَخُورَةٌ مزهوّة بأنّها بذّت أخواتها الشهيدات بما جلتْ من مَحَاسِنِ الإسلام والعُرُوبة، وبما جاهدتْ في سـبيلهما، وبما مهّدتْ للإصلاح الدّيني من عقبات، وبما لقيت في صراع الاستعماريين الرُّوحي والبدني من مكـاره...). (عيون/1/19).

عندما نتأمل بإمعان كلمة (فخر) معتمدين على المعاجم اللغوية والمصادر الأدبيـة الكـبرى نجدهـا ومشتقاتها وصيغها المختلفة ذات دلالات متقاربة في أغلب الأحوال؛ وتتركّز هذه الدلالات في معاني: التبـاهي

---

[2] - سورة لقمان، الآية: 18.

[3] - سورة الرحمن، الآية: 14.

[4] - اللسان مادة (ف خ ر) ج10، ص: 198-199.

والتعاظم، والتكبّر، والتمدّح بالخصال، وعدّ كلّ قديم نحو: (الفخْر)، (الفخر): التمـــدّح بالخصـــال؛ والتفـــاخر: التعاظم، والتفخّر، التعظّم والتكبّر، و(المَفْخَرَة) و(المفْخُرة): المأثرة[5].

ومن المجاز: ثوب فاخر: رفيع؛ ورُطبٌ فاخر: كبير ضخم وهكذا ولفظ (فخورة) مثال مبالغـــة جـــاء على وزن (فَعُول) أي شديدة الفخر بنفسها لأنّها غلبت، وتفوّقت على أخواتها التي سبقتها في الظهور وقـــامت بصولات وجولات قصد تنوير الرّأي العام الجزائري؛ وفضح مخططات الاستعمار الفرنسي الهادفة إلى تدمـير كيان الأمّة الجزائرية العربية المسلمة مسْخًا ومَسْحًا للوُجود الرّوحي والبدني.

وإنّ البصائر (فخورةٌ) وحقٌّ لها أن تفتخر لأنّها كشفت عن الدّاء ووجدت الدّواء، وتحمّلت بذلك أمانـــةً ثقيلة، وأدّتها أحسن تأدية. الأمر الذي لم تستطع النّهوض به أخواتها من قبْلها؛ بعد محاولات فاشلة، ثمّ تخلّـــت عنه إلى الأبد.

وقد لخّصت البصائر هذه المهام الجسامَ التي حملتها على عاتقها، وأبت إلاّ أن تسهر عليـــها، وتجـــود بكل مل لديها من جُهد؛ ووقت؛ وفكر؛ وتخطيط، وإمكانات مادية، وأدبية من أجل تبليغ رسالتها إلـــى الشّـــعب الجزائري على وجه الخصوص، والرأي العام العالمي على وجه العموم .

وإن البصائر لشديد الفخر بهذه الرسالة التي كان أولى مهامها فيها أن تُقَدّمَ الإسلام للنّاس في ثوبـــه الأبيـــض النّاصع -كما جاء به سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم – ولم تقتصر فـــي ذلـــك علـــى الأقـــوال والخطـــب؛ والمحاضرات؛ والدّروس النّظرية، والنّدوات الفكرية بل تعدّتها إلى العمل؛ والتعامل الملموس والتّفـــــــاعل مع المحيط الاجتماعي؛ والسياسي، والاقتصادي، والفنّي؛ وممارسة ميدانية وفعلية من أجـــل تحســـين الواقـــع المزري في الميادين السّالفة الذّكر؛ كلّ ذلك تمّ بفضل التّضحيـــة والتضـــامن والمـــؤازرة، والتكفّـــل بفئـــات المستضعفين واليتامى، والمساكين، والمنكوبين؛ وكلّ ذلك تمّ أيضًا مُوازيا مع الجهاد في ســـبيل الله والوطـــن لأجل طرد الاستعمار الغاشم، وتحرير البلاد من نير العبودية، والقهر، والحرمان، والاستغلال.

وإنّ البصائر لشديدة الفخر بمشاريعها الكبرى إذْ ما فتئت تعمل جاهدة على إحياء اللغة العربية وذلـــك يتمّ عن طريق تعليمها ونشرها في جميع ربوع القطر الجزائري في المساجد والمدارس الحرّة التي فتحتها هنـــا وهناك جمعيتها معتمدة على ما يجود به الخيّرون من أبناء هذا الوطن، الغيورين علـــى العربيـــة والعروبـــة والإسلام وأمجاده العريقة.

وكان هذا التعليم قائما على العودة إلى التراث العربي الإسلامي الأصيلين بدءًا مـــن الأدب الجـــاهلي: شِعْرًا ونثرًا؛ خطابة، ومثلاً وحكْمة ثم العصر الإسلامي: قرآنًا كريما وسنّة نبوية شريفة صحيحـــة، وشـــعرا ونثرا حتّى أواخر العصر العباسي؛ تعلّما ودراسة، فهمًا وتمحيصًا، تحقيقا واستيعابا، حفظـــا وتمثُّـــلا مُحاكـــاة وإبداعا ومجاوزة؛ نبوغا وتفوّقا.

وقد نجحت البصائر في بلوغ ذلك الهدف العزيز المرسوم أيّما نجاح؛ ويتجلّى الـــنجاح الباهـــــر في تخريجها لجيل مرموق من الشّعراء والكتّاب والخطباء ساهموا بدورهم في تكوين، وتخريج رعيـــل آخـــر

---

[5] – أساس البلاغة مادة (ف خ ر) ج2، ص: 189.

حمل رسالة الجهاد، والتضحية في سبيل الله، والوطن، وتحرير البلاد من الاستعمار الجاثم على كاهلها حتى لا تنهض ثقافيا، وعلميا، وتربويا، وسياسيا، وعسكريا، واقتصاديا.

وإنّ البصائر لكثيرة الفخر بما كان لها من قيام في الإصلاح الدّيني الذي لقيت في سبيله عقبات ومصاعب جمّة، ورغم ذلك فقد صبرت وصابرت وثابرت إلى أن أزالت كثيرا ممّا علق بالدّين الإسلاميّ من شوائب؛ وما ألصق به من شُبهات وأباطيل المبطلين من مشعوذين؛ ودجّالين؛ وطُرقيين ممّن انحرفوا بالطرقية الصحيحة- وقدريّين ومُؤوّلين للنّصوص ومضامينها بما يخدم أغراض الاستعمار الهدّامة؛ وعملائه المتمسّحين بأقدامه ليُلقي إليهم بفتات موائده الذي يُلقى عادة إلى الكلاب والحيوانات المفترسة.

وكان من مهام الجريدة الثّقال الشاقة مناهضة الاستعمار في شكليه الرّوحي والبدني.

فأمّا الاستعمار، في شكله الرّوحي، فيتجلّى في المسخ والتشويه ومحو الشخصية الجزائرية من هذا الوجود؛ فتنسى الأمّة مبادئها ومقوّماتها الأصيلة من عربية؛ وتاريخ، وعقيدة وأخلاق، وعادات وتقاليد وتراث فنّي وثقافي عريق تحيا به النّفس، وتزكو به الرّوح، وينتعش به الفؤاد، وترقّ به العواطف، وتتوحّد به المشاعر فينشأ عن ذلك كلّه وُجدان موحّد مشترك بين أبناء الأمّة الواحدة تتجاوب أصداؤه مع أصداء الكون والحياة ويتفاعل مع الطبيعة كلّها لتتكون بعد ذلك تلك العلاقة الحميمة، والصلة الوطيدة المنسجمة بين جميع الكائنات الحيّة والجامدة لأنّ الكل من أصل واحد هو النُّور الإلهي الذي يستمد منه كلّ شيء وُجُوده واستمراره وصيرورته في هذا الكون وخارجه مصداقا لقوله جلّ شأنه: (اللهُ نور السّماوات والأرض)[6].

هذا النّور هو مصدر الكون، والوُجود، والحياة، والحركة، والاستمرار، والتحوّل من حالة إلى حالة أخرى حتى يَرِثَ الله الأرض ومن عليها.

وأمّا الاستعمار، في شكله البدنيّ، فيظهر واضحا في القهر وأساليب التعذيب وقتل الأبرياء من نساء وأطفال وشيوخ، ومن أساليب التشريد والإبادة ونشر الرّعب بوسائل جهنّمية، يشيب لها الولدان.

ويظهر الاستعمار البدنيّ في القرى والمدن الكبيرة في العبودية والاستغلال البشع لِعَرقِ الكادحين من أبناء الجزائر الذين يفرض عليهم الشغل منذ بزوغ الفجر إلى غسق الليل تحت الحراسة المشدّدة والتهديد بالطّرد المجاني ويصل الأمر في كثير من الأحيان إلى ضرب العامل الجزائري بواسطة الصّفع والرّكل والدّفع العنيف ليسقط العامل على وجهه و قد نال منه التعب والإرهاق من جرّاء العمل المتواصل المضني؛ كلّ ذلك مقابل بعض الفرنكات التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

وبهذا الأسلوب الاستعماري كان يُدمّر بدن الفرد الجزائري، ويُنهك جِسمه، وتحطّم قواه، ويكون بذلك عرضة لشتى الأمراض المزمنة الفتّاكة التي يجد نفسه أمامها مستسلما للقدر المحتوم ألا وهو الموت البطيء الذي يوضع له حساب دقيق كبير في السياسة الاستعمارية الفرنسية، تِلْكم السياسة التي ما تنفك تلوّح للرأي العام الدّولي بأن الحكومة الفرنسية هي دولة العدالة والحرية والأخوة والسلام العَالَمي وأي عدالة وحرية وأخوة وسلام؟ ! ! !

---

[6] - سورة النّور، الآية: 35.

وقد عُرّيت هذه السياسة الخبيثة الماكرة، وانكشف عنها الغطاء بفضل جهود البصائر؛ وعملها الدّؤوب، حتى أدرك الشعب هذه الحقيقة فنزع الثقة من هذا المتسلط المستبد الذي لا يعرف قلبه متقال ذرة من الرّحمة، والشفقة، فهو لا يبالي بأنّاة هذا الشعب، ولا يكترث لآلامه وهو يتقلب على جحيم الفقر، والبؤس، والجوع، والمرض، والرّعب، والجهل.

ولمّا تيقّنَ الشعب الجزائري من قلب فرنسا المتحجر قرّر عندئذ حمل السّلاح؛ وصرخ صرخته المُدويّة المُجلجلة بين الوِهَاد، وفي الجبال، والصّحاري، والأحراش، والأنهار.

وأقسم بكل ما من شأنه أن يساعد على سحق هذا الجبروت الطاغية. وقد عبّر الشاعر العظيم الجزائري مفدي زكرياء عن هذه الإرادة الحديدية والعزيمة الرّبّانية التي لا تقهر ولا تتراجع في قوله:

إنّ الجزائرَ قِطْعَةٌ قُدْسِيّـــــــةٌ ** في الكونِ لَحَّنَها الرّصاصُ ووَقَّعَـــا،
وقَصيدَةٌ أزَلِيّـــةٌ، أبْيَاتُهَـــــــا ** حمْرَاءُ، كَانَ لَهَا(نوفمبر) مَطْلَعَـــا !
نَظَمَتْ قَوَافِيَهَا الجَمَاجِمُ في الوَغَى ** وسَقَى النَّجيعُ رَوِيّـــــهَا فَتَدَفَّعَـــا
غَنَّى بها حُرُّ الضّمير، فأيْقَظَـتْ ** شَعْبًا إلى التحرير شَمَّرَ مُـــسْرِعا[7].

العبارة الثانية التي وردت فيها صيغة فَعُول هي: (أوْ حَنَّكَتْه تُماضِرُ الخَنْسَاءُ لَعُوبًا بأطراف الكلامِ المُشَقّق). (عيون/1/591).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة: (لعب): اللّعب واللّعْبُ: ضدّ الجدّ، لَعِبَ يَلْعَبُ لَعِبًا ولَعْبًا، ولَعَّبَ، وتَلاَعَبَ، وتَلَعَّبَ مرّة أخرى، قال امرؤ القيس:

تَلَعَّبَ بَاعِثُ بِذِمَّةِ خَالِـــــــدٍ ** وأَوْدَى عِصَامُ في الخُطُوبِ الأوَائِـــل

ورجُل لاعبٌ ولَعِبٌ ولِعِبٌ، على ما يُطّرِدُ في هذا النّحو، وتِلْعَاب، وتِلِعَّاب وتِلِعَّابة، وهو مـــن المُثُـــل التي لم يذكرها سيبويه.

وكذلك أُلْعُبانٌ، مثّل به سيبويه، وفسّره السّيرافي.

وقال الأزهري: رجُلٌ تِلْعابَة إذا كان يتلعّب، وكان كثير اللّعب.

وفي حديث عليّ، رضي الله عنه: زعم ابن النّابغة أنّي تِلْعابة.

وفي حديث آخر: أنّ عليًّا كان تِلعابةً أي كثير المزحِ والمُداعبة والتاء: زائدة، ورجُلٌ لُعَبَة: كثير اللعب.

وألعبَ المرأة: جعلها تلعبُ. وألعبها: جاءها بما تلْعب به، وقول عبيد بن الأبرص:

قد بِتُّ أُلْعِبُهَا وَهْنًا وتُلْعِبُنِـــــي ** ثمّ انصرفتُ وهي مِنّي على بـــالِ.

يحتمل أن يكون على الوجهين جميعًا.

قال الأزهري: لَعُوبٌ اسم امرأة، سُمِّيَت لَعوبَ لكثرة لعِبِها، والجمع لَعائب.

والمِلْعَبَة: ثوب لا كمّ له، يلعبُ فيه الصّبي.

واللّعّاب: الذي حرفته اللّعب، والأُلْعُوبةُ: اللّعبُ[8].

---

[7] – ديوان اللّهب المقدّس للشاعر مفدي زكرياء/ الشركة الوطنية للنّشر والتوزيع الجزائر /ط1/1983، ص: 53.

[8] – اللسان مادة (ل ع ب) ج12، ص: 286.

واللُّعبة: الأحمق الذي يُسخَر به.

وقال الفرّاء: لعبتُ لُعبةً واحدةً.

وملاعِبُ الصّبيان والجواري في الدّار حيث يلعبون، الواحد مِلْعَبٌ.

واللُّعابُ: ما سال من الفم، لَعَب يلْعب، ولَعِبَ، وألْعَبَ: سال لُعابه، والأولى أعلى. وخصّ الجوهري به الصّبيّ، فقال لعب الصبي، قال لَبيد:

لَعِبتْ على أكْتَافِهِمْ وجُحُورِهِم ** ولِيدًا، وسَمَّوْنِي لَبِيدًا وعَاصِمًا.

ولُعاب الحيّة والجراد: سمّها؛ ولُعابُ النّحل: ما يُعَسّلُهُ، وهو العسل. ولُعاب الشمس شيء تراه كأنّه ينحدر من السّماء إذا حميت وقام قائم الظّهيرة، قال جرير:

أنِخْنَ لتَهْجِيرٍ، وقَدْ وقَدَ الحَصَى ** وذَابَ لُعابُ الشّمسِ فَوْقَ الجَماجِمِ.

والاستلعاب في النّخل: أن ينبُتَ فيه شيء من البُسْرِ، بعد الصّرام.

قال أبو سعيد: استَلْعَبَتِ النّخلة إذا أطلعت طَلْعًا وفيها بقية من حملها الأوّل، قال الطّرِمّاحُ يصف نخلة:

ألْحَقَتْ ما استَلْعَبَتْ بالذي ** قد أتى، إذْ حان وقت الصّرام.

واللّعباءُ: سَبِخة معروفة بناحية البحرين، بحذاء القطيف، وسيف البحر.

وقال ابن سيده: اللعباء: موضعٌ، وأنشد الفارسيُّ:

تَرَوَّحْنَا من اللَّعْبَاءِ قَصْرًا ** وأعْجَلْنَا إلاهَةَ أنْ تَؤُوبَا

ويُروى الإلهة، وقال: إلاهة اسمٌ للشّمس.

ومن المجاز: لعبت بهم الهُمُومُ وتَلَعَّبَتْ.

ولعبت الرّيح بالدّيار وتلاعبت. وشرب لُعابُ النّحل، وسال لعاب الشمس وهو الذي تراه يتحدّر من السّماء كنسج العنكبوت في القيظ، قال ذو الرّمة:

في صحنِ بَهْمَاءِ يَهْتَفُّ السَّرَاب بِهَا ** في قَرْقَرٍ بِلُعَابِ الشَّمسِ مَضْرُوجِ[9]

معنى الصيغة كما وردت في سياق النّص:(أوْ حَنَّكَتْه تُمَاضِرُ الخَنْسَاءُ لَعُوبًا بأطرافِ الكلامِ المُشَقّق). (عيون/1/591).

عند تتبعنا لكلمة (لعب) في المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية وجدناها تدور حول ثلاثة معان: رئيسي، وفرعي، ومجازي.

فالمعنى الأصلي للكلمة هو أن اللّعب: ضد الجِد أي هو اللّهو والعبث والمداعبة والمزاح وغيرها.

والمعنى الفرعي نحو: جارية لعوب: حسنة الدّل؛ والمِلْعَبَة ثوب لا كمّ له، واللّعبة: الأحمق الذي يُسخر به إلى غير ذلك من المعاني الثانوية التي لا يمكن حصرها هنا.

ثمّ المعنى المجازي وهو كثير أيضا نحو: لعبت بهم الهموم، ولعبت الرّياح بالدّيار: أي درستهم وهلمّ جرّا.

---

[9]- المصدر السابق، مادة (ل ع ب)، ج12، ص: 286-289 ، أساس البلاغة ، مادة (ل ع ب)، ج2، ص: 344.

أمّا الصيغة التي وضِعت فيها كلمة (لعب) كما وردت في سياق النّص وهو قوله: (لَعُوبًا بأطْراف الكلام المشقّق...) فهي مثال مبالغة (لَعُوبا) على زنة (فعول) أي أنّه كثير التّفنّن في مناحي الكلام؛ وأساليب القول، مُحكِم لها، مجوِّد لأفانينه، مخرِج له أحسن تخريج. فلا يُصيبه عيٌّ ولا يعْجزه موقف، ولا يُحبس لسانه موضوع أو مقام.

ولا تقتصر براعة هذا الشباب وتفوقه على إجادة الكلام، وإصابة القول؛ ورشاقة العبارة، وجودة التركيب، والبلاغة في الحديث، والسداد في الرأي وإنّما هو شباب يُجيد الفروسية أيضا، ويستلذ ركوب المخاطر والمصاعب، ولو لقي الموت. كلّ ذلك في سبيل أن يحيا حياة ملؤها العزّة والكرامة وتكسير قيود العبودية والاستغلال عملا بقول الشاعر العربي الأصيل:

عِشْ عزيزًا أوْ مُتْ وأنْتَ كَرِيمٌ ** بَيْنَ طَعْنِ القَنَا وخَفْقِ البُنُودِ
فَرُؤُوسُ الرِّمَاحِ أذْهَبُ للغَيْـظِ ** وأشْفَى لِغِلِّ صَدْرِ الحَقُودِ[10].

ومن ثمّ ليس هناك ما يدعو إلى العجب في تكوين هذا الشباب الأغر لأنّه تكوّن في مدرسة عربية أصيلة أشرفت عليها أمّهات عربيات كريمات ضربن المثل في العفّة والتضحية، والشجاعة، والصّبر على العمل الشريف، فنشأن -عبر المكان والزمان- يتغنى بهنّ التاريخ وتردّدهنّ أصداء الجبال الشّامخات؛ والآثار الباقيات هنا وهناك.

ومن بين هاته الأمّهات الكريمات العفيفات الجريئات اللّواتي ضربن أروع الأمثلة في تشريف الأصل العربي الأبيّ هي تُماضر بنت عمرو بن الشريد أخت صخر؛ الخنساء الشاعرة المشهورة التي تحكي عنها الأخبار والرّوايات الصّحيحة أنّها: (حضرت يوم القادسية ومعها بنوها الأربعة فقالت لهم: قبل أن تبدأ الحربُ: يا بَنِيّ إنّكم أسلمتُم طائعين، وهاجرتُم مختارين، والله الذي لا إله غيره إنّكم لبَنوا رجل واحدٍ كما أنّكم بنوا امرأة واحدة، ما خُنْتُ أباكُم، ولا فَضَحتُ خالكم، ولا هجّنتُ حسَبكم، ولا غيّرْتُ نسَبكم، وقد علمت ما أعدّ الله للمسلمين من الثّواب العظيم حين يُجاهدون الكفّار واعلَمُوا أنّ الدّار الباقية خير من الدّار الفانية، يقول الله عزّ وجلّ: (يا أيّها الذين آمنُوا اصبِرُوا وصَابِرُوا ورَابِطُوا واتّقُوا الله لعلّكم تُفلَحُون)[11]، فإن أصبحتم غدا فاغدوا إلى قتال عدوّكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين. ومنذ أضاء لهم الصّبحُ باكَروا مراكزهم، مخافة أن يفوتهم الوقت، وقد كانوا للشهادة متعطّشين إلى حدّ أنّ جميع أمانيهم تجمّعت فيها. ولمّا كان وقتُ اللّقاء تقدّموا واحدًا واحدًا دون أن يتأخر أحدهم، وهم يُنشدون الأراجيز حتّى استشهدوا جميعًا، فلمّا بلغها الخبر قالت: الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم وأرجو من ربّي أن يجمعني بهم في مستقرّ رحمته)[12].

هذه هي الخنساء الشاعرة، وهي المرأة المربية الحكيمة المعلّمة المُسلمة التي تخرّج ويتخرّج في مدرستها جيل بعد جيل بعد أن تلقّنهم الدّروس النظرية السّديدة المتنوعة ثمّ تدفع بهم إلى معترك الحياة،

---

[10]- مع المتنبي: لطه حسين؛ ص: 96.

[11]- سورة آل عمران، الآية: 200.

[12]- شاعرات العرب: جمع وتحقيق عبد البديع صقر، منشورات المكتب الإسلامي ط1، سنة 1967، ص: 99.

وإلى الميدان العملي الذي يُمحَصُ فيه الرّجال الأبطال، ليخرجوا منه، وقد حنّكتهم التجارب، وعصرتهم المحنَ؛ وعلموا أنّ الحياة عقيدة أوّلا، وجهاد من أجل العقيدة ثانيا.

عقيدة ترسخ في القلب وتتغلغل في الوُجدان، ويقتنع بها الفكر والضّمير؛ وتردّدها الألسنة المبينة.

ثمّ هي جهاد طويل مرير مُتعب شاق يُغربل الغثَّ من السّمين. وهي قاعدة كونية أزلية إلهية لا يلحقها التبديل، ولا يصيبها التغيّير هكذا: (فأمّا الزّبدُ فيذهبُ جفاءً وأمّا ما ينفع النّاس فَيمْكُث في الأرض)[13].

وقد أدركت هذه المرأة العربية بفطرتها، وبفضل إسلامها هذه القوانين الإلهية الأزلية، ووَعَتْها في وقت مبكّر قبل كثير من الرّجال الذين أدركهم الموتُ ولم يستوعبوها فَلَقَوا ربّهم مُشركين؛ وقد لخّص بعض المعاصرين هذه الفكرة في قوله: (يجب علينا أوّلا أن نفهم جيّدًا ما نريد ثمّ نقول بعد ذلك للنّاس ما نريد ثمّ نسعى جاهدين لتطبيق ما نريد). وهذا هو النّهج الذي سلكته شاعرتنا الخنساء مع نفسها وأهلها؛ وذلك هو التسلسل المنطقي لطبيعة الأشياء: فَهْم جيّد لحقيقة ما نريد ثمّ تبليغ ما نريد إلى غيرنا بكلّ دقة ووُضوح حسب قُدرات الناس العقلية حيث يُخاطب النّاس على قدر عقولهم ومستوى مداركهم؛ ثمّ الانتقال إلى تطبيق هذه الأفكار والنظريات والقوانين في الميدان العملي الملموس المشهود.

---

[13]- سورة الرّعد، الآية: 17.

المبحث الثالث

4-3-صيغة مِفْعَال

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التعريف بصيغة مفعال:

هذه الصيغة من الصيغ القياسية أيضا التي لم يقع حولها خلاف بين علماء العربية، والتي تحول عن صيغة " فاعل " التي هي صيغة " اسم الفاعل الأصلي " للدلالة على المبالغة الصريحة والكثرة في المعنى وتقويته وتوكيده.

كما أنها أيضا من الصيغ التي يكثر تداولها وجريانها على الألسنة في الخطاب اليومي والكتابة بجميع أنواعها وأشكالها.

غير أننا لم نصادف منها في مدونة عيون البصائر سوى ثلاث صيغ هي: مقدام، مسماح، محجام بالرغم من أن هذه الصيغة كثيرة الدوران على الألسنة، وشائعة الاستعمال في الكلام العربي الفصيح، ويبدو أن الأمر في هذا يعود إلى طبيعة الكاتب، وثقافته، وحاجته إلى الصيغ؛ والمفردات؛ والتراكيب التي يريد توظيفها من أجل الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه من وراء استخدام صيغة ما، أو لفظة ما.

ويلاحظ أن صيغة " مفعال " هذه صيغة مشتركة بين "اسم الآلة " و " صيغة المبالغة " فهي من الأوزان الصالحة لهذه ولتلك كما سبق توضيح ذلك في المبحث الرابع من الفصل الأول.

أما التفرقة بينهما في الدلالة فتكون بإحدى القرائن اللفظية أو المعنوية كالشأن في كل صيغة مشتركة أو لفظ يصلح لمعنيين أو أكثر، فالقرينة وحدها هي التي توضح الوجهة التي يأخذها المعني.

ومن المسموع الذي جاء على صيغة " مفعال " -على قلته- من غير مصدر الفعل الثلاثي الذي لا يقاس عليه لخروجه عن القاعدة الأصل نحو: معوان؛ مهوان؛ متلاف؛ مطراق ؛ مغوار؛ معطاء؛ مخلاف؛ مفواد؛ مملاق؛ محسان.

فقد صيغت هذه الأبنية من الأفعال الرباعية التالية على الترتيب: من أعان؛ وأهان؛ وأتلف؛ وأطرق؛ وأغار؛ وأعطى؛ وأخلف؛ وأفاد؛ وأملق؛ وأحسن.[1]

---

[1] النحو الوافي؛ ج3؛ ص 260، 334

4- 3-صيغة مفعال:

العبارة الأولى التي وردت فيها صيغة: (مفعال) هي : (إن آباءكم يتخيلون من وراء هجرتكم ما يعود به المجاهد المقدام من أجر وغنيمة، وما يرجع به التاجر المخاطر من أرباح وطرائف). (عيون / 12/216).

المعنى اللغوي والاشتقاق لكلمة (قدم): قدم: في أسماء الله تعالى المُقَدِّمُ: هو الذي يُقْدِمُ الأشياء ويضعها في مواضعها فمن استحق التقديم قدمه، قَدَمَ يَقْدُمُ قَدِمًا وقُدامة وتقادم وهو قديم، والجمع قدماء وقدامى، وشيء قُدَام: كقديم والقَدَمُ والقُدْمَة: السبقة في الأمر. يقال: لفلان قَدَمُ صدق أي أثرة حسنة.

قال الشاعر:

وَإِنْ يَكُ قَوْمٌ قَدْ أُصِيبُوا، فَإِنَّهُمْ * بَنَوْا لَكُمْ خَيْرَ البَنِيَّةِ والقَدَمْ.

وقال أمية بن أبي الصلت:

عَرَفْتُ أَنْ لاَ يَفُوتَ الله ذُو قَدَمٍ * وَأَنَّهُ مِنْ أُمِيرِ السُّوءِ مُنْتَقِمْ.

وفي التنزيل العزيز: (وبشر الذين آمنوا أن لهم قَدَمَ صِدْقٍ عند ربهم)[2].

أي سابق خير وأثرا حسنا.

وقُدَّام: نقيض وراء، وهما يؤنثان ويصغران بالهاء: قُدَيْدَمَة وقُدَيْدِيمة ووُرَيَّة، وهما شاذّان لأن الهاء لا تلحق الرباعي في التصغير. قال القطامي:

قُدَيْدِمَةُ التَّجْرِيبِ والحِلْمِ أَنَّنِي * أَرَى غَفَلاتِ العَيْشِ قَبْلَ التَّجَارِبِ.

والقُدُمُ: المُضَيُّ أمام أمام، وهو يمشي القُدُم والقُدَمِيَّة، واليَقْدُمية والتَّقْدُمِيَّة إذا مضى في الحرب.

الجوهري: قدم بالفتح، يَقْدُم قُدُومًا أي تقدَّم ومنه قوله تعالى : (يَقْدُمُ قَوْمَه يَوْمَ القِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّار)[3]، أي يتقدمهم إلى النار ومصدره القَدْم، والقَدْم: الشرف القديم على مثال فَعْل.

وأَقْدِم وأَقْدُمْ : زجر للفرس وأمْر لهم بالتقدم.

والإقْدَام: الشجاعة. وقَيْدُوم كل شيء وقَيْدَامُه: أوله قال تميم بن مقبل:

مُسَامِيَة خَوْصَاء ذَاتُ نَثِيلَةٍ * إذا كَانَ قَيْدَامُ المجرَّة أَقْوَدَا.

ورجل قُدُمٌ: نقيض أُخُر، بمنزلة قُبُل ودُبُر.

ابن شميل: لفلان عند فلان قَدَم أي يد ومعروف وصنيعة ورجل مِقْدَامٌ ومِقْدامة: مُقْدِمٌ كثير الإقْدَام على العَدُوّ وجريء في الحرب.

وفي كتاب معاوية إلى ملك الروم: (لأَكُونَنَّ مُقَدِّمَتَه إِلَيْكَ) أي الجماعة التي تتقدم الجيش، من قَدَّم بمعنى تقدّم، وقد استعير لكل شيء فقيل: مُقَدِّمَة الكتاب ومُقَدِّمَة الكلام، بكسر الدال، وقال: وقد تفتح، ومُقَدَّمَة الإبل والخيل ومُقَدِّمَتُهَا الأخيرة عن ثعلب : أول ما يُنْتِجُ منهما ويلقح.

ومُقْدِم العين: ما ولي الأنف، بكسر الدّال، كمؤخرها ما يلي الصّدغ وللناقة قَادِمَان وآخران، الواحد قادِم وآخِر، وكذلك البقرة وقاداماها: خَلْفَاهَا اللذان يَلِيَانِ السُّرَّة، وآخِراها: الخلفان اللذان يليان مؤخراها[4].

---

[2] سورة يونس الآية:3.

[3] سورة هود الآية: 98.

[4] اللسان مادة (ق.د.م) ج 11، ص: 64.

والقدم: الرِّجْل، أنثى، والجمع أقدام لم يجاوزوا به هذا البناء القَدَم والرِّجْل: أنثيان، وتصغيرهما قُدَيْدِيمة ورُجَيْلَة، ويجمعان أَرْجُلاً وأقداما.

والقُدُوم: الرجوع من السفر، قَدِمَ من سفره يَقْدَم قُدُومًا.

ومَقْدَمًا، بفتح الدال، فهو قادم: آب، والجمع قُدُوم وقُدَّام، تقول: وردْتُ مَقْدَمَ الحاجّ تجعله ظرفا، وهو مصدر أي وقت مَقْدَم الحاج، وقدم فلان على الأمر إذا أقدم عليه؛ ومنه قول الأعشى:

فَكَمْ مَا تَرَيْنَ امْرَءًا رَاشِدًا * تَبَيَّنَ ثم انْتَهَى، إِذْ قَدِمْ.

وقدم فلان إلى أمر كذا أي قصد له ومنه قوله تعالى: (وقَدِمْنَا إلى ما عَمِلُوا من عَمَلٍ)[5]. قال الزجاج والفراء: معنى قَدِمْنَا وقَصَدْنَا، كما تقول قام فلان يفعل كذا تريد قصد إلى كذا ولا تريد قام من القيام على الرِّجْلين.

والقَدُوم: التي يُنْحَتُ بها، مخففُ أُنثى.

ابن شميل في قوله صلى الله عليه وسلم: (أوّل من أختتن إبراهيم بالقَدُوم)، قطعه بها[6] .

معنى الصيغة كما وردت في سياق النص: (إن آباءكم يتخيلون من وراء هجرتكم ما يعود به المجاهد المقدام من أجر وغنيمة. وما يرجع به التاجر المخاطر من أرباح وطرائف). (عيون 12/215)..

إذا ما عدنا إلى المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية الأساسية نتتبع معاني كلمة (قدم) ومشتقاتها المختلفة نجدها ذات دلالة رئيسية ومعان أخرى فرعية.

فالمعنى الأساسي للكلمة نحو: قَدَمَهُم يَقْدُمُهُم وقَدِمهم: صار أمامهم؛ والقِدَمُ والقُدْمَة: السَّبْقَة في الأمْرِ.

ومن الدلالات الثانوية للكلمة، وهي عديدة نحو القدم: العتق والقدم: نقيض الحدوث؛ وقَدُم بمعنى الحزن والكآبة؛ وقوادم: ريش الطائر، والمقدام: ضرب من النخل، والقَدَم الرِّجْل إلى غير ذلك من المعاني والدلالات التي لا يمكن سردها كلها والإحاطة بها في هذا المقام.

أما الكاتب فقد استخدم صيغة مشتقة من المادة الأصلية للكلمة وهي (المقدام) التي هي مثال مبالغة ليدل بها على كثرة إقدام الطلبة على خوض معترك الحياة في شجاعة وجرأة ومجازفة بالنفس في المخاطر والمهالك كما يفعل كل من المجاهد الشجاع الجريء الذي يستبسل في الحرب لينال الأجر والشهادة أو ينتصر في المعركة فيظفر بالأسلاب والغنائم الوافرة، وكل من التاجر المغامر الذي يخاطر بنفسه في قطع المسافات الطويلة بين أمواج البحر المتلاطمة، أو في الصحراء الممتدة المليئة بالأخطار؛

فهو يتحدى كل هذه الشدائد، والمخاطر من أجل العودة بالأرباح الطائلة والسلع النادرة، والتحف الفاخرة.

والكاتب في هذه العبارة يخبر الطلبة الجزائريين بما ينتظره منهم آباؤهم في الجزائر؛ ولذلك فهم يعلقون الآمال العريضة على هجرتهم؛ وما يجنون من وراء هذه الهجرة إلى الأقطار العربية الشقيقة من فوائد علمية، وثروة فكرية، وسياسية، ومادية كذلك، لأن بلدهم عامة، وعائلاتهم على وجه الخصوص في حاجة ماسة إلى المال الذي هو عصب الحياة.

---

[5] سورة الفرقان، الآية 23.

[6] المصدر السابق مادة (ق.د.م) ج11، ص: 66-69.

وقد شبه الكاتب الطالب الجزائري - في هذا المقام - بالمجاهد الجريء المقدام لما يجمع بينهما من مواصفات دقيقة، ووجوه الشبه التي تجعل كل واحد منهما فياض الشعور، محتد الجوانب، متحمسا لما يصبو إليه.

فكلاهما شجاع مغامر وطن نفسه على تحمل الجوع والعطش والحرمان من مباهج الحياة ولذائذها مهيأ النفس لمواجهة الشدائد؛ وقساوة الحياة، وتحدي الأخطار. فقد يصيبه العري، وقد ينتابه الجوع وقد يتعرض للبرد القارس؛ وقد تلفحه الشمس الحارة، وقد يقعده المرض فيوقفه عن السير قدما، وقد تحوله عن الطريق المرسوم الأهواء المتباينة، وقد تجذبه التيارات والأحزاب السياسية ؛إليها فيسقط في المهاترات الكلامية، والخلافات السياسية التي لا تنتهي. فيغفل أو ينسى الهدف الأسمى الذي هاجر من أجله، وترك بلاده، وأهله، وأسرته، وأصدقاءه الذين نشأ وترعرع بين أحضانهم، ولا يمكن بأي حال أن ينساهم ويتخلى عنهم ولسان حاله يقول:

بلادي وإنْ جارتْ عليَّ فهيَ عزيزةٌ * وقومي وإنْ ضنُّوا عليَّ فهُمْ كِرامُ.

من أجل ذلك كله يجدر بهذا الشاب الجزائري الذي اختار الهجرة طلبا للعلم أن يكون دوما متيقظا حريصا على الاستفادة من يومه ودقيقته وثانيته في أداء واجباته وإنجاز دروسه فهما وحفظا واستيعابا منوعا مطالعاته، نَهِمًا في طلب العلم، ولوعًا بحضور مجالسه، شديد الظمأ إليها، غير متهاون، ولا كسلان زاهدا في النوم، والأكل؛ والاسترخاء، والجلوس في المقاهي، والتسكع في الشوارع، لأن العلم جواد جامح لا يركبه إلا الفرسان النوادر الذين راضوا أنفسهم على اقتحام العقبات، وشحذوا عزائمهم فصارت لا تهادن، ولا تلين، ولا تنكسر أمام هزات العواصف العاتية.

وليكن في علم الشباب الطموح أن العلم قد أخذ عهدا على نفسه ألا يمنح ذلك النصيب اليسير من دُرَره ولآلئه إلا لمن أقبل على طلبه بعقله، ووجدانه وروحه، وكيانه كله. أما من بخل عنه باهتمامه وتركيزه، وحبه، وتفكيره، وتعلقه به فلا ينتظر هذا الحظ البسيط الذي أخبره عنه القرآن الكريم عمالقة العلم والفكر بقوله: (وما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً)[7].

وذلك لِجَعْلِ هؤلاء العلماء والمفكرين يعترفون بقدرته جل شأنه- وليدركوا محدودية علمهم وتفكيرهم عبر الزمان والمكان في هذا الوجود؛ وليتواضعوا دوما أمام هذا الكون العجيب الصنع الذي لا تنتهي أسراره ولا تنقضي عجائبه، ولا تختل موازينه إلا أن يأذن الله له بذلك -سبحانه- الذي أتقن كل شيء خلقه.

فالعلم إذا لا يسلس قياده إلا لمن جعل هواه مقصورا عليه وحده دون سواه. لذلك فطلبُهُ جهاد، والمجتهد في تحصيله مجاهد مقدام، وفارس مغوار لا يشقّ له غبار.

وأفضل مجاهد فيه هو من طلبه لوجه الله لا لذاته، لا لأجل طلب الوظائف، وارتقاء المناصب، ونيل الشهادات وابتغاء الشهرة والجاه. لأن من يطلبه لوجه الله ويرجو من وراء ذلك الأجر والثواب من عنده - جل شأنه - هو الذي يظفر بأسمى المراتب، وأعظم الدرجات التي يتنافس فيها أولوا الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وفي مضاجعهم ويتفكرون دوما في خلق السماوات والأرض، وهم متيقنون أن الله لم يخلق

---

[7] - سورة الإسراء الآية: 85.

شيئا في هذا الوجود عبثا، أو باطلا، أو لاعبا لذلك نجده سبحانه وتعالى يقول في شـــأن هـؤلاء المتفكريـــن المتدبرين في خلقه: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)[8].

وفي آية أخرى يقرن شهادتهم بشهادته وشهادة الملائكة التي تعترف بألوهيته وعدله المطلق قائلا: (شَهِد اللهُ أنّه لَا إِلَه إِلا هُو والملائِكة وأُولُوا العِلْمِ قَائِمًا بالقِسْطِ)[9].

ويعرض على الناس والملائكة رأي هؤلاء العلماء فيما نزل على الرّســول صلى الله عليـــه وسـلم من وحْي وقرآن مبين في قوله جلّ شأنه: (ويَرَى الذِينَ أُوتُوا العِلْمَ الذِي أُنْزِل إِلَيْكَ منْ ربّكَ هُوَ الحقّ)[10].

فهذه الآيات القرآنية وغيرها كثير جاءت كلُّها لتّجمد صاحب العلم، وترفع من قدره، وتضعه وصـــاحب الإيمان الصّادق في درجة واحدة بسَبب الشّهادة الصادقة المعلنة على المَلأ وهي شهادة الإقرار بالحق المطلـق الأعلى الذي يعلو ولا يُعلى عليه؛ من أجل ذلك كله استحقوا رضا الله، والفوز بالدّرجات العُلى.

نعم إنّ المؤمن يجاهد حقا لأجل نيل التكريم من الملأ الأعلى، والنجاة، والفوز في الدّار الآخرة. غـــير أنّه لكي يستمرّ جهاده، ويضمن انتصاره في الواقع الذي لا يرحم أحدًا لا بد لـــه مـــن عـــدّة وعتـــاد قويـــن متطوّرين يسايران الزمن الذي يعيش فيه؛ ولذلك فهو حين يهزم عدوّه في المعركة ويحـــرز النّصـــر عليـــه يُصبح له الحق في الاستيلاء على أمواله وما بقي من غنائم وأسلاب وأسلحة ومتاع يدعّم بها مُعسكره ويقـوّي حُصُونه؛ ويُطوّر عدته وعتاده؛ ويطلع عن طريقها على أسرار عدوّه الحربية وقدراته العسكرية.

ولكن لا يليق بالعبد المؤمن أن يكون همه الوحيد محصورا في الظفر بالغنيمة، وإهمال الهدف الأســمى الشيء الذي يحوله إلى طلب الدّنيا وحدها فتتسلّط عليه المطامع العاجلة، وتسيطـــر عليه شهواتهـــا إلـــى أن ينكســـر على صخرتها العاتية فيخسر بذلك الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

والأمر نفسه بالنسبة لطالب العلم الجزائري الذي راح يجوب أقطار الأرض لأجل حكمـــة يُحصلّـــها، أو صناعة يتقنها، أو فقه يتعمّقه، أو أدب يحدقه،أو فلاحة يبرع فيها، أو فن معماريّ يُدقّقه ويمهر فيـــه. فـــإذا صادف أثناء ذلك كسبًا ماديا ميسورًا أو تجارة مربحة، أو زواجا صالحا، أو سعيا عامرا سهلا، أو عملا يسـدّ بأجره نفقاته الكثيرة الثقيلة لا يليق به أن يُفَوِتَ على نفسه هذه الفرصة الثمينة النادرة؛ واجتهد وجاهد للتوفيـق بين الهدف الأوّل الذي يتمثل في التعلم وتحصيل المعرفة وإتقان الحرف والصناعات العصريـــة المتطـــورة؛ وبين الهدف الثاني الذي يساعد على الظّفر والوُصول إلى الغاية السّامية التـــي يـــهيم بـــها عقلـــه ووِجْدَانـــه ومشاعره.

---

[8] – سورة المجادلة الآية: 11.

[9] سورة ال عمران الآية: 18.

[10] سورة سبأ الآية:6.

العبارة الثانية التي وردت فيها صيغة: (مِفْعَال) هي: (ومليكٌ مِسْماحٌ في العِلْـــم والإصْـــلاح). (عيون/4/442).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة: (مسماح): السّماح والسّماحة: الجود.

سَمُحَ سَماحَةً وسَمُوحَةً وسَمَاحًا: جاد؛ ورجلٌ سَمْحٌ وامرأة سَمْحةٌ من رجال ونساء سِماح وسُمَحاء فيهما وحكى الأخيرة عن أحمد بن يحْيى.

ورجل سَمِيح ومِسْمَحٌ ومِسْماح: سَمْح، ورجالٌ مساميح ونساء مَسَاميح، قال جرير:

غَلَبَ المَسَاميحَ الوَلِيدُ سَمَاحَةً * وكَفَى قُرَيْشَ المُعْضِلاتِ، وسَادَهَا.

وقال آخر:

فِي فِتْيَةٍ بُسُطِ الأَكُفِّ مَسَامِحٍ * عِنْدَ الفِضَالِ نَدِيمُهُمْ لَمْ يَنْتُرِ.

وفي الحديث: يقول الله عز وجلّ: أَسْمِحُوا لِعَبْدِي كإِسْمَاحِه إلى عِبَادِي، الإسماح: لغة في السّماح، يقال: سَـمَحَ وأَسْمَحَ إذا جَاد وأعْطى عن كرمٍ وسخاء.

والمُسامحة: المساهلة؛ وتسَامحوا: تَسَاهَلُوا.

وفي الحديث المشهور: السّمَاحُ رِبَاح أي المساهلة في الأشياء تُربح صاحبها.

وسمحَ وتسمّح: فعل شيئا فسهل فيه؛ أنشد ثعلب.

ولَكِنْ إِذَا مَا جَلَّ خَطْبٌ فَسَامَحَتْ * بِهِ النَّفْسُ يَوْمًا، كَانَ لِلْكُرْهِ أَذْهَبَا.

ابن الأعرابي: سَمَحَ لَهُ بحاجته وأسمح أي سهّل له.

وفي الحديث: أنّ ابن عبّاس سُئل عن رجل شرِبَ لَبَنًا مَحْضًا أيتوضّأ؟ قال اسمحْ يُسْمَحْ لك، قال شَـمِّر: قـال الأصمعي، معناه سَهِّل يُسَهِّل لك وعليك، وأنشد:

* فلمّا تنازعْنَا الحَديثَ وأَسْمَحَتْ.

قال: أَسْمَحَتْ أَسْهَلَتْ وانقادتْ.

وقولهم: الحنفيّة السّمحة، ليس فيها ضَيْقٌ ولاَ شِدّةٌ.

وأَسْمَحتِ الدّابّة بعد استصعاب: لاَنتْ وانقادتْ.

ويُقَال: سَمَح البعيرُ بعْد صُعُوبته إذا ذَلَّ، وأَسْمَحتْ قَرُونَتَه لذلك الأمرِ إذا أطاعت وانقادتْ.

وتقول العَرَبُ: عَلَيْكَ بالحقّ فإنّ فيه لَمَسْمَحًا أي مُتّسَعًا، كما قالو: إنّ فيه لَمَنْدوحَةً؛ وقال ابن مُقْبل:

وإِنِّي لأَسْتَحيِي، وفِي الحَقِّ مِسْمَحٌ * إذا جَاءَ بَاغِي العُرفِ، أَن أَتَعَذَّرا[11].

---

[11] -المصدر السابق مادة (س م ح) ج6، ص: 355.

معنى الصيغة كما وردت في سياق النص: (ومليك مِسماحٌ في العلْم والاصلاح). (عيون/4/442).

عندما نتتبّع معاني كلمة (سمح) في المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية الأساسية نجدها تدور في الغالب الأعم حول مدلولات الجود والعطاء حينًا؛ والسهولة والانقياد واللين حينًا آخر.

وبالرجوع إلى العبارة التي وردت فيها لفظة (سمح) نجدها قد وُضعت في صيغة (مِسْماح) على زنة (مفعال) التي تدلّ على كثرة السماحة التي هي العطاء والسّخاء عن كرمٍ وتفضل.

وقد تمثّل هذا الكرم؛ وهذا السّخاء في أمرين عزيزين مُقدّسين لدى البشر جميعا والمؤمن على وجه الخصوص أولهما: العلم في أبهى وأزهى وأجل صوره، وثانيهما الإصلاح الذي هو أصل استمرار الحياة؛ وأساس بناء الكون وما فيه من كائنات؛ وتماسك نظامه، هو سرٌّ تثبث الإنسان بالبقاء على هذه الأرض.

لذلك فلا عجب أن يكون همُّ المسلم في حياته ورغبته هو تحصيل أكبر قدر من العلم، العلم الدّنياوي منه، والعلم الأخروي. لذلك جاء امتثالا لأمر ربه الذي يأمره في الوحي المنزّل على نبينا محمد عليه الصلاة وأزكى التسليم في قوله: (اقرأ باسم ربّك الذي خلَقَ، خلَقَ الإنسان منْ علَق) [12].

وقد بدأت الآية بأسلوب الأمر الذي يفيد هنا الوُجوب والإلزام، بَيْدَ أنّ هذا العمل المقدس الشريف يستلزم الاستعانة بالله، والتوكل عليه لا بالتواكل والاسترخاء والركون إلى الغفلة والنّوم وهي شروط ضرورية لطالب العلم، والراغب في تحصيله لكي تتكشف له عوالم كثيرة مجهولة ومن بينها عِلْمُ سِرِ خَلْقِ الإنسان نَفْسِهِ لأنّ انكشاف الستر، والاطلاع على الحقائق الكبرى لهذا العالَم يبدأ من معرفة وفهم الإنسان لنفسه أوّلا؛ والسؤال الذي يطرحُه كلّ عاقلٍ على نفسه هو: منْ أكُونُ أنَا؟ ومِنْ أيْنَ جِئْتُ؟ ولمَاذا وإلى أيْن سَأذْهَب؟ وماذا أصير بعد هذا الذّهاب؟ وهي أسئلة وجيهة، ومعقولة، ومنتظرة، ومحيّرة لهذا الكائن الآدمي؛ ومثيرة لفكره، ووُجدانه.

أما الإجابة عن جميع هذه الأسئلة فهي جليلة واضحة في نصوص القرآن الكريم بدءًا من تساؤل الإنسان عن نفسه: (مَنْ أكُون أنَا)؟ فيُجيبَهُ القُرآن الكريم بقوله: (وإذْ قَالَ ربُّك للْملاَئكَةِ إنّي جَاعِلٌ في الأرْضِ خَليفَةً) [13]. وإنّهُ لتشريف ما بعده تشريف؛ وتكريم ما بعد تكريم على سائر العالمين؛ وعلى كافة المخلوقات!

وأمّا سؤال الإنسان عن مصدر خَلْقِهِ وأصله الأول فجاء عنه الجواب هكذا: (إنّ مَثَل عيسَى عنْد الله كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ منْ تُرَاب) [14] ، وفي قول الله تعالى: (هُوَ الذّي خَلَقَكُمْ منْ تُرَابٍ ثُمَّ من نُطفَةٍ ثُمَّ منْ علَقَةٍ) [15].

وأكّد العلم الحديث عامة وعلم البايولُوجيا والطّب خاصة لمن كان في قلبه رَيْبٌ- مَا أقرّه القرآن مُنْذُ أرْبَعَة عشر قرنا ممّا لا يدع مجالا للتّردّد، والشك، والحيرة.

وعن تساؤله عن سبب مجيئه لهذا العالم فقد وردت آيات كثيرة تبيّن لهذا الإنسان المهمة التي بُعِثَ للقيام بها؛ والسهر عليها، والجزاء الذي ينتظره على قدر ما بذل من جهد في الطريق المرسوم له.

---

[12] -سورة العلق الآية: 1،2.

[13] سورة البقرة، الآية:30.

[14] -سورة آل عمران، الآية:59.

[15] -سورةالحج ،الآية: 5.

يقول عزّ من قائل: (إنَّا خَلَقْنَا الإنْسان مِنْ نُطْفَةٍ أمْشاج[16] نبْتَليهِ[17] فجعلْنَاهُ سميعا بَصيرا، إنَّـا هديْنَـاهُ السَّبيلَ إمَّا شَاكِرا و إمَّا كَفُورا) [18].

وربَّما كانت هذه إشارة إلى تكوّن النّطفة من خلية الذّكر وبويضة الأنثى بعد التلقيح. وربَّما كانت هـذه الأخْلاطُ تعني الوراثات الكامنة في النطفة، والتي يُمثّلها ما يُسمّونه علْميًا " الجينات " وهي وحـدات الوراثـة الحاملة للصفات المُميّزة لجنس الإنسان أوّلاً ولصفات الجنين العائلية أخيرا خلقتْه القُـدرة هكـذا مـن نطفـة أمشاج، لا عبثا وجزافا ولا تسلية، ولكنّه خُلِقَ ليُبتلي ويُمتحن. والله سبحانه يعلم ما هـو؟ ومـا اختبـاره؟ وما ثمرة اختباره؟ ولكن المراد أن يظهر ذلك على مسْرح الوجود، وأن تترتب عليه آثاره المقدّرة فـي كيـان الوجود، وأن تتبعه آثاره المقدّرة ويُجزى وفق ما يُظهر من نتائج ابتلائه.

ومن ثمّ جعله سميعا بصيرا أي زوّده بوسائل الإدراك، ليستطيع التّلقي والاستجابة، ليـدرك الأشـياء والقيم ويحكم عليها؛ ويجتاز الابتلاء وفقَ ما يختار.

وإذَنْ فإنّ إرادة الله في امتداد هذا الجنس وتكرّر أفراده بالوسيلة التي قدّرها، وهي خلقَتُه مـن نطفـة أمْشاج.. كانت وراءها حكمة، وكان وراءها قصد، ولم تكن فلتة.. كان وراءها ابتلاء هذا الكـائن واختبـاره، ومن ثمّ وُهب الاستعداد للتلقي، والاستجابة، والمعرفة، والاختيار.. وكان كُلُّ شيءٍ في خلْقِهِ وتزويده بـالمدارك وابتلائه في الحياة بمقدار !

ثمّ زوّده إلى جانب المعرفة، بالقدرة على اختيار الطريق، وبيّن الطريق الواصـل، ثمّ تركه ليختـار أو ليظلّ ويشْرُدَ فيما وراءهُ من طُرُقٍ لا تؤدي إلى الله.

ويشعر الإنسانُ بجديّة الأمر، ودقّته بعد هذه اللّمسات الثلاث؛ ويُدرك أنه مخلوق لغاية؛ وأنه مشـدود إلى محور، وأنّه مَزوّد بالمعرفة فَمُحاسب عليها، وأنّه هنا ليُبتَلى ويجتاز الابتلاء.

فهو في فترة امتحانٍ يقضيها على الأرض، لا فترة لَعب ولهو وإهْمال !ويخرج من هذه الآيات الثلاث القصار بذلك الرصيد من التأهّلات الرفيقة العميقة، كما يخرج منها متقل الظهر بالتّبعـة والجـدّ والوقـار في تصوّر هذه الحياة، وفي الشعور بما وراءها من نتائج الابتلاء !وتُغيّر هذه الآياتُ الـثلاثُ القِصـار من نظرته إلى غاية وُجوده، ومن شعوره بحقيقة وُجوده، ومن أخذه للحياة وقيَمها بوجه عام[19].

وندرك من كل ما سبق أنّ مهمّة " العلم" جليلة عظيمة حيث أنّه يُعرّف الإنسان بالغاية مـن وُجـوده، ومن شعوره بحقيقة وُجوده، وبالرّسالة المتميّزة التي كُلّف بحملها في هذا الوجـود الفسيحـة أرجـاؤه على المؤمن، الضيقة نواحيه على الكافر ! والإنسان لذلك مُخَيّرٌ فيما علم مُسيّرٌ فيما جهل وهو مطالبٌ بالسّـعي إلى خيرهما ومنهيٌّ عن شرّهما.

وأما عن السّماحة في الإصلاح فيشمل جوانب عدة من الحياة الإنسانية، ماضيا، وحاضرا ومسـتقبلا، حتى يرث الله الأرْض ومن عليها.

---

[16] - الأمشاج: الأخلاط.

[17] - نبتليه: نختبره، نُمحصّله، نفتنّه.

[18] - سورة الإنسان الآيتان:2،3.

[19] -في ظلال القرآن ، ج6، ص: 3779- 3780.

وفي هذا المضمار يقول عزّ وجلّ في محكم تنزيله: (وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا)[20].

إنّه إصلاح ذو مفهوم واسع دقيق شامل عميق في القرآن الكريم يظهر دليل ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ فَسَوَّى، والذي قدّر فَهَدَى)[21] فالله هو الذي خلق كل شيء فسوّاه، فأكمل صنعته، وبلغ غاية الكمال، والإتقان، والإصلاح الذي يناسبه ويتناسق مع سواه. والذي قدّر لكل كائن وظيفته وغايته فهداه لما خلقه له، وألهمه غاية وُجُوده، وقدّر له ما يُصلحه مُدّة بقائه، وهداه إليه أيضا... وقد قال عليه الصلاة والسلام: (كلّ مُيَسّرٌ لما خُلِقَ له).

فهذه التّسوية، وهذه الهداية، وهذا الإلهام، وهذا الإصلاح الشامل العميق الدقيق حقيقة كبرى ماثلة في كلّ شيءٍ في هذا الوجود مصداقا لقوله تعالى: (صُنْعَ الله الذي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ)[22] يشهد بها كلّ شيء في رحاب الوُجُود من الكبير إلى الصّغير، ومن الجليل إلى الحقير.. كلّ شيء مسوّى في صنْعَته، كامل في خِلْقته، مُعدّ لأداء وظيفته مقدر له غاية وُجُوده، وهو ميسّر لتحقيق هذه الغاية من أيسر طريق.. وجميع الأشياء مجتمعة كاملة التّناسق، ميسّرة لكي تؤدّي في تجمّعها دورها الجماعيّ، مثلما هي ميسّرة فُرادى لكي تؤدّي دورها الفرديّ.

الذّرّة بمفردها كاملة التّناسق بين كهاربها وبروتوناتها وإلكتروناتها، شأنها شأن المجموعة الشمسية في تناسق شمسها وكواكبها وتوابعها.. وهي تعرف طريقها وتؤدّي مثلها وظيفتها.. والخلية الحية المفردة كاملة الخلقة والاستعداد لأداء وظائفها كلها، شأنها شأن أرقى الخلائق الحية المركّبة المعقدة.

وبين الذّرّة المفردة والمجموعة الشمسية، كما بين الخلية الواحدة وأرقى الكائنات الحية، درجاتٌ من التنظيمات والتركيبات كلّها في مثل هذا الكمال الخلقي، وفي مثل هذا التناسق الجماعي، وفي مثل هذا التدبير والتقدير الذي يحكمها ويصرفها.. لذلك كله قال تعالى: (وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وادْعُوهُ خَوْفًا وطَمَعًا إِنّ رَحْمَةَ الله قَرِيب مِنَ المُحسِنِين)[23]. والكون كلّه هو الشّاهد الحاضر على هذه الحقيقة العميقة.

والآن ننتقل بعد هذه الجولة العقلية الروحية في الكون الكبير مع الكائنات الصّغيرة والكبيرة إلى الحديث عن النفس البشرية وبالتحديد عن هذا الإنسان الذي اختار بمحض إرادته تحمل أعظم مسؤولية على عاتقه في هذه الحياة الدّنيا يقول عزّ وجلّ: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ والجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وأَشْفَقْنَ مِنْهَا وحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّه كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً)[24].

وعلى ذلك فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي خلقه الله على هذه الأرض وأودع فيه استعدادات فطرية للخير، وأخرى للشرّ، ومنحه حرية الاختيار بواسطة القوّة المميّزة الواعية المُدْركة المُوجّهة في ذاته، وهي التي تناط بها التّبعةُ. ورحمة من الله بالإنسان لم يدَعْه لاستعداد فِطْرته الإلهامي، ولا للقوة الواعية[25]

---

[20]- سورة الأعراف الآية:56.

[21] -سورة الأعلى الآيات:1،2،3.

[22] - سورة النمل الآية:88.

[23]- سورة الأعراف الآية:56.

[24] - سورة الأحزاب الآية:72.

[25]- المصدر السابق ج6، ص:3883،3884، 3917.

المالكة للتصرّف، فأعانه بالرّسالات التي تَضعُ له الموازين الثابتة الدّقيقة، وتكشف له عن موحيات الإيمـــان، ودلائل في نفسه وفي الآفاق من حوله، وتجلو عنه غواشي الهوى فيُبْصِر الحقّ فـــي صُورتـــه الصّحيحـــة... وبذلك يتضح له الطريق وضوحا كاشفا لا غبش فيه ولا شبهة فتتصرّف القوّة الواعية حينئـــذ عـــن بصـــيرة وإدراك لحقيقة الاتجاه الذي تختاره وتسير فيه.

والاتجاه الذي يسير فيه النظام الإسلامي يتمحور في: حفظ العقل، وحفظ الدّين؛ وحفظ النّسل، وحفـــظ المال، وإقامة الحكم العادل في الرّعية؛ وحسن استثمار موارد الأمة المختلفة، ظاهرها، وباطنها؛ ومنح حريـــة العمل والمبادرة والتعبير، والتنافس في ميدان التجارة؛ والصناعة، والفلاحة والمهن الحرة؛ وإنشـــاء المبـــاني، والسدود الكبيرة والمتوسطة والصغيرة والعمل على نشرها وتوزيعها والإكثار منها للحفاظ على الثروة المائيـــة من الضياع لاستغلالها والاستفادة منها خلال سنوات الجفاف والقحط، وإقامة شبكة الطرقات الواسعة والعنايـــة بالمواصلات برًا وجوًا لتنقل الأشخاص والبضاعات بسرعة خاطفة وفوائد ذلك لا يخفى على أحدٍ منّا.

وممّا سبق ندرك أنّ مفهوم تجنب الفساد في الأرضِ بعد إصلاحها من لدُن الله سبحانه مفهوم شـــامل دقيق وعميق لنظام الوُجُود كله؛ وأية محاولة لخلخلة أو زعزعة عنصر واحد في هذا الـــوُجُود؛ فـــي نباتـــه أو حيوانه، أو الإنسان، أو البيئة لتحقيق أغراض علمية أو نفعية سينجر عنه دمار ما بعده دمار، وقـــد يصـــل الأمر إلى زلزال عنيف يُصيب الأرض كلها، وقد يمتد ذلك إلى اصطدام المجموعة الشمسية التي نعيش فيـــها بعضها ببعض بسبب ثقب الأزون الناتج عن تلوث مجموعتنا الشمسية.

" ولذلك فعلى هذا الإنسان أن يتوجّه دوما إلى تزكية النفس، وتطهيرها، والرجوع بها إلى جادّة العقـــل والصواب، وهو يَغْتَسِل في نور الله الفائض، ويتطهر في هذا العباب الذي يتدفق حوله مـــن ينـــابيع الوُجُـــود الربّاني الهادي إلى صراط مستقيم" [26].

العبـارة التـي وردت فيـهـا صيغـة: (مِفْعَال) هـــي: (أتمثّلـــهُ مِحْجَامًـــا عـــن الصّغـــائر فـــي غـــير جُبْنٍ).(عيون/4/586).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة: (حجم): الإحجام: ضد الإقدام أحْجَمَ عن الأمـــر: كَـــفَّ أو نَكَـــص هيبةً. وفي الحديث: أن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، أخذ سيفًا يوم أحدٍ فقال: مَنْ يَأخذ هَذَا السّيف بِحقّـــه؟ فأحجم القومُ أي نَكَصُوا وتأخّروا وتهيّبوا أخذه)

ورجل محجام: كثير النكوص.

والحِجام: شيء يُجعل في فم البعير أو خطمه لئلاّ يَعَضّ، وهو بعير محجوم، وقد حجمه يَحْجُمُه حجْما إذا جعل على فمه حجامًا، وذلك إذا هاج.

وإحجام المرأة المولود: أوّل إرْضاعةٍ تُرضِعه، وقد أحجمَتْ له وحجم العظْم يَحجُمُه حجمًا: عرقه. وحجم ثـــديُ المرأةِ يحجمُ حُجُومًا: بدا نُهُودُه، قال الأعشى:

قَدْ حَجَمَ الثّدْيُ عَلَى نَحْرِهَا * في مُشْرِقٍ ذِي بَهْجَةٍ نَاضِرِ [27]

---

[26]- المصدر السابق ج6، ص:3918.

[27]- اللسان مادة (ح ج م) ج3؛ ص: 67.

وهذه اللفظة في التهذيب بالألف في النثر والنظم: قد أحجم الثّديُ على نحْر الجارية.

وفي الحديث: (لا يصف حجْم عظامها)، قال ابن الأثير: أراد لا يلتصق الثوب ببدنها فيحكي النّاتئ والنّاشز من عظامها. ولحمها وجعله واصفا على التشبيه، لأنّه إذا أظهره وبيّنه كان بمنزلة الوصف لها بلسانه.

والحَجْمُ: المصّ، يقال: حجَمَ الصّبيّ ثَديَ أُمّه إذا مصّه.

وثَدْيٌ محْجوم: أي ممصوص؛ والحجّام: المصّاص.

قال ابن الأثير: المِحْجَم، بالكسر، الآلة التي يُجمع دم الحجامة عند المصّ.

والحجْمُ: فعل الحاجم وهو الحجّام؛ واحتجم: طلب الحجامة.

وفي حديث الصّوم: أفطر الحاجم والمحجوم؛ ابن الأثير معناه:

أنّهما تعرّضا للإفطار، أمّا المَحْجوم فالضعف الذي يلحقه من خروج دمه فربّما أعجزه عن الصّوم، وأمّا الحاجم فلا يأمن أن يصل إلى حلقه شيء من الدّم فيبلعه أو من طعْمه.

ومن المجاز: حجم طرْفه عنه: صرَفه، وحجَمتْه الحيّة: نهشتْه وحجِمتْ الفُحُول البعير: عضّتْه[28].

معنى الصيغة كما وردت في النص: (أتمثّلُه مِحْجامًا عنِ الصّغائر في غَيْرِ جُبْنٍ). (عيون/4/586).

إذا تتبعنا معنى كلمة (حجم) في المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية نجدها تدور حوا ثلاث معان؛ أوّلها: المعنى الرئيسي، وثانيها: معنى فرعي؛ وثالثها: معنى مجازي.

فمثال المعنى الأصلي أحْجم عن الأمر: كفّ عنه ونكص هيْبة، أو كما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أخذ سيْفًا يوم أُحدٍ فقال من يأخذ هذا السيْفِ بحقّه؟ فأحْجَم القوم أي نكَصوا وتأخّروا وتهيّبوا أخذه.

ومثال المعنى الفرعي؛ نحو: حجمْتُه عن حاجته: منعته عنها، وإحجامُ المرأة المولود: أوّل إرضاعه، والحجامُ: المِخْلاة التي تُجعل في فم البعير لئلاّ يعضّ وغير ذلك من الدلالات الفرعية التي لا يسمح لنا هنا المقام بذكرها وتعدادها.

ومثال المعنى المجازي نحو: حَجَمَ طرْفَه عنه: صرَفَه؛ وحَجمتْهُ الحيّة: نهشتْهُ.

أمّا كلمة (مِحْجَامًا) الواردة في العبارة فهي مثال المبالغة جاءت على وزن (مِفعال).

وقد وظّف الكاتب هذه الصيغة للدّلالة على المبالغة والتوكيد وهذا لمّا كان يدعو الشباب الجزائري – إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر – إلى طلب المجد والعُلا والسؤدد في شجاعة مع تعقل للوصول إلى المراتب الرّفيعة في جميع الميادين العلمية منها والفكرية والسياسية والاجتماعية مُذلّلا العقبات التي تحول بينه وبين تحقيق غايته المنشودة.

ويُعلِمه بأنّه لا سبيل للوصول إلى تلك المراتب السّامية إلا ببذل المزيد من الجهود الجبارة؛ وبالإرادة التي لا تنثني، ولا بالقلب الجريء الشجاع وإن دعا الكاتب الشباب إلى الرزانة والتعقل والتدبّر في خوض معترك الحياة فإنّه لا يريده أن يكون هيّابا متخوفا من الشدائد والصعاب؛ كما أنه لا ينبغي له أن يُقدم إقْدام

---

(28) – المصدر السابق مادة (ح ج م) ج3، ص: 67-68، أساس البلاغة: ج1،ص: 156.

المتهوّر من غير تفكير ولا تخطيط ولا تريّث ولا تدبّر في عواقب الأعمال ونتائجها فلا يكون كمال المرء بوضع النظارات السوداء السميكة الإطار !ولا بمضغ السبجارة الكبيرة الخشنة طوال اليوم بين الأسنان !

ولا تكون الرّجولة بالجري وراء الألبسة الجميلة الأنيقة لاكتساب احترام الغير ونيل تقديرهم فاللباس لا يرفع من قدر المرء في حقيقته عند الناس إذا كانت أخلاقه متردّية لأنهم سرعان ما يكتشفون سريرته مصداقا لقول الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سُلمى:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِيءٍ منْ خَلِيقَة * وإنْ خَالَهَا تُخْفَى علَى النَّاسِ تعْلَم[29].

وقال الشاعر الآخر:

لَيْسَ الجَمَالُ بأثْوَاب تُزَيِّنُنَا * إنَّ الجَمَالَ جَمَالُ العِلْمِ والأدَبُ[30].

ومن الأمور التافهة التي يسقط فيها الشباب: التسكّع في الأزقة والشوارع والطرقات؛ والإكثار من الجلوس في المقاهي ووضع السّاق على السّاق، ورشق المارّة بالنّظرات الساخرة حينا، والاستفزازية حينا آخر.

ومن سفاسف الأعمال التي يقع فيها كذلك الشباب ظنًّا منه أنّه يحقق ربْحًا سريعًا لعب الميسر وفتح المتجر لبيع القهوة والسّكر بأغلى سعر ثمّ يتعدّى ذلك إلى المتاجرة ليكوّن الثروة من غير جهد ولا كدّ!

ولا تحصل الرفعة، ولا ينال احترام النّاس ذلك الشباب الذي يتفنّن أمام خلق الله في المعاصي والموبقات، وينافس في الرقص والغناء الجواري والمغنيات !

ولم يظفر بالعزة، والكرامة، والشهامة، والحب والتقدير الشباب الذي يحقر هذا، ويشتم هذا، ويسخر من هذا، ويضحك على ذاك، ويغتصب مال هذا، ويرصد المارة في الطرقات ليملأ جيبه بالدّنانير والدّريهمات !

فالظلم ظلمات يوم القيامة أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

وفي الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إنّ دعوة المظلوم ليْس بينها وبين الله حجاب) فدعوة المظلوم تكون مستجابة ويأخذ حقه من الظالم عاجلا أو آجلا.

فإنّ عزف الشباب الجزائريّ عن هذه الصغائر وأمثالها من البدع –لأنها لا تزيده إلا صغارا وحقارة وتفاهة وحمقا– بلغ ما ينشده من مجد وسؤدد، وحافظ على مقوّمات أمته من التشويه والمسخ والتلاشي مصداقا لقول الشاعر محمد العيد آل خليفة:

نَازعَتْنَا يدُ الزَّمَانِ عَلَيْهَا * وتَغَالَى فِي نَهْبِهَا النُّهَّابُ
يَا شَبَابُ اتَّجِهْ إلَى الشَّرْقِ واحْفَظْ * كُلَّ كَنْزٍ لَهُ إلَيْهِ انْتِسَابُ
إنَّمَا الشَّرْقُ نِسْبَةُ العَرَبِ * الأحْرَارِ لَمْ تَنْقَطِعْ لَهَا أسْبَابُ
إنَّمَا الشَّرْقُ للعُرُوبةِ كَهْفٌ * آمَنَ الظِّلِّ لا يصَابُ
إنَّمَا الشَّرْقُ للعُرُوبةِ وكْرٌ * مِنْ بيْنِهَا تَوْمُهُ أشْرَابُ[31]

---

[29]– شرح القصائد العشر، صنعة الخطيب التبريزي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة منشورات دار الآفاق الجديدة–بيروت– ط3/1979، ص: 198.

[30]–..... لم نعثر على قائله.

[31] – ديوان محمد العيد، ص:260.

المبحث الرابع

4-4- صيغة فَعِيل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التعريف بصيغة فَعِيل:

خَالَفَ سيبَوَيْهِ أكثر النحويين في بناء "فَعِيل" فقالوا: إنَّ "فَعِيلا" بناءٌ موضوع للذات والهيئة التي يكون الإنسان عليها لا لأن يَجْرِي مُجْرَى الفِعل فيهَا كقولك: رَجُلٌ كريمٌ وظَرِيف وشَرِيف ونَبِيل إذا كان ذلك كالطبيعة فيه، وإذا كان الأمر هكذا أي إذا لم يكن "فَعِيل" ممّا حُوِّل إليه اسمُ الفَاعل كَظَرِيفٍ وكريم وشريف ونبيل وحليم ... فلا خِلافَ في أنَّه لا ينصب إذْ كَلاَمُنَا في أبنية المبالغة لا في الصفات المشبّهة.

ويبدو وأنَّ صيغة "فَعِيل" هذه كذلك صيغةٌ مُشتركة بين صيغة "فَعِيل" التي ترِدُ للصفةِ المشبَّهةِ باسم الفاعل، وهي صفة تَدُلُّ على الثبوت العام، والملازمة الدَّائمة حينًا، والمتجددة حينًا آخر لصاحبها، كما أنَّها تُشْتَق من مصدر الفعل الثلاثي المتصرف اللازم، وبين صيغة "فَعِيل" التي ترد للمبالغة والكثرة الصريحة في المعنى وتقويته وتوكيده، لكنَّ هذه الصيغة الأخيرة تُحوَّل من صيغة "فَاعِل" التي هي صيغة "اسم الفاعل الأصلي" الذي يُشْتَقُّ من مصدر الفعل الثلاثيّ المتعدي المتصرف للدلالة على المبالغة والكثرة الصريحة في المعنى وتقويته وتوكيده.

وهنا يجب الاعتماد على مزيد من الانتباه المركَّز المتمعِّن بالتوجه إلى الصيغة في ذاتها أولا، ثمّ بالنظر إليها ضمن السياق التعبيري الذي وُظِّفت فيه ثانيا، ثمّ استخدام القرائن اللفظية والمعنوية التي تقيد المسار الدلالي للفظة أو الصيغة.

فهذه العوامل كلها مجتمعة من شأنها أن تُوضّح وتعيّن الوِجْهَة كلها مجتمعة من شأنها أن توضّح وتعيّن الوِجْهَة التي يأخذها المعني هنا في هذا الاتجاه أو ذاك.

وبناء على كل ما سبق فإن صيغة "فَعِيل" صيغة مبالغة قياسية لا سماعية بدليل الشواهد الكثيرة التي وردت لها في الكلام العربي الفصيح؛ ومراجعه اللغوية المختلفة.[1]

---

(2) المفصل لابن يعيش؛ م2؛ ج6/ص:72.

4- 4-صيغة فَعِيل:

العبارة الأولى التي وردت فيها صيغة (فَعِيل): هي: (فَعَلَ ذلك الحُكْمُ الصّادِرُ فِعْلَهُ في نفوسِ القـوْم، وكَانَ وَقْعَهُ فيها أليمًا، وهم أوّل من يَعْلَم أنّه حقٌّ ولكنّهم كانوا يستُرُونه بظواهر كاذبَةٍ). (عيون/1/207).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة "ألم": الألم: الوجع والجمع آلام. وقد أَلِمَ الرّجل يألَمُ أَلَمًا، فهو ألِم. وتألّم والمتُه.والأليمُ: المؤلِم والمُوجع مثل السّميع بمعنى المُسمع، وأنشد ابن برّي لذِي الرُّمّة:

..... * يَصُكُّ خُدُودَها وجَعٌ أَلِيمُ.

والعذاب الأليم: الذي يبلغ إيجاعُه غاية البلوغ، وإذا قلت عذاب أليم فهو بمعنى مؤلم، قال: ومثله رَجُـل وَجِـع وضَرْبٌ وجع أي مُوجع. وتألم فلان من فلان إذا اشتكى وتوجّع منه؛ والتألمُ: التوجّـع؛ والإيـلام: الإيجـاع. وألومة: موضع؛ قال صخر الغيُّ:

القَـائِدُ الخَيْـلَ مِنْ أَلومَـة أو * مِنْ بَطْنِ وادٍ، كأنّهَا العَـجَدُ[2].

وفي التهذيب:

ويَجْلُبُـوا الخَيْلَ مِنْ أُلومَـة أو * مِنْ بَطْنِ عَمْقٍ، كأنّهَا البُـجُدُ[3].

الألم: محرّكة الوجع كالأيْلمَةُ: الحركة والصّوت[4].

معنى الصيغة كما وردت في سياق النص: (فَعَلَ ذلك الحُكْمُ الصّادر فِعْلَه في نفوس القومِ، وكان وقْعَـهُ فِيهَا أليمًا، وهُمْ أوّلُ من يَعْلَمُ أنّهُ حَقٌّ، ولكنَّهُمْ كَانُوا يَسْتُرُونَه بظواهرَ كَاذِبَةٍ). (عيون/1/207).

عند تقصينا لمعنى كلمة (ألم) في المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية الأساسية وجَدْنَاهَـا تشتمـل على معنى رئيسي؛ ومعان فردية معدودة.

فالمعنى الأساسي للكلمة (ألم): توجّع؛ والعذاب الأليم الذي يبلغ إيجاعه غاية البلوغ.

أما المعاني الفرعية القليلة للكلمة فهي: أُلـومة: موضع، والألومـة: اللؤم والخسّة، والأيلمة: الحركـة والصوت.

وبرجوعنا إلى النّص وبتأمّلنا في السياق التعبيري الذي وردت فيه لفظة (ألم) والصّيغة التي وُضعـت فيها وجدناها جاءت على هذه الصّورة (أليمًا) وهي مثال مبالغة على زنة (فَعِيل) يدلّ على قوة الألـم وشـدّته الذي بلغ مَبْلَغَه في نفوس " رجال الدّين " الذين نصبتهم الإدارة الفرنسية من أبناء هذا الوطن لتخريـب الدّيـن وتهديم أسسه المتينة وبعبارة أدق فإن "رجال الدّين" هي تلك الشّرْذمة الخائنـة مـن أبنـاء الجزائـر الذيـن اصطنعتهم الحكومة الجزائرية الفرنسية؛ وتزيّنُوا بزيّ المُتديّنين الغيورين عليه في الظاهر. لكنّ حقيقتَهُم أنّـهم اخْتِيرُوا بدقّة وعناية لخدمة أغراض استعمارية هدّامة خالصة يوم كان الصّراع على أشدّه وكانت المُواجهـة عنيفة بين الإدارة الفرنسية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين حول قضية فصل الدّين عـن الحكومـة. في هذه الفترة ظهر "رجال الدّين " الموظّفون الجواسيس على إخوانهم بمظهر مُناقض للدّين؛ فكشفوا السّـتر، "

---

[2] العَجَدُ: حب العنب أو الزبيب.

(3) البُجْدُ من الناس: الجماعة؛ ومن الخيل: مائة وأكثر.

(4) اللسان مادة (أ ل م) ج1، ص: 187-188؛ والقاموس المحيط م4، ص:75.

عن حقيقتهم المستورة، ووقفوا في إعلان صريح إلى جانب الحكومة الفرنسيّة مؤيّدين لها، خـــاذلين لدينـــهم، وخاذلين لإخوانهم المُدافعين عن حريّة هذا الدّين، ومطالبين بتأييد استعباده، عاملين بكل جُهْدِهم على إبقائه بيـد حكومة تخرّبُهُ بأيديهم، وتشوه حقائقه بألسنتهم وتُلوّث مَحاريبه ومنابره بضلالاتهم، وتَمْسَخُ أحكامه بفتاويـــهم، ومن فتاويهم الخبيثة الماكرة المبيتة المدسوسة المكرّسة لبقاء الاستعمار في الجزائر قولهم للأمـــة الجزائريـــة على المنابر: الإيمانُ الكامل الصّحيح الذي يدخل صاحبه إلى الجنة وينجيه من النّار أن تؤمن بـــالله وملائكتـــه وكتبه ورسله والبوم الآخر والقدر خيره وشرّه؛ ومن قضاء الله وقدره دخول الاستعمار الفرنســـي ومجيئـــه إلى الجزائر؛ لذلك يجب على المؤمن الجزائري الخالص الإيمان التّســـليمُ بقضـــاء الله وقَـــدَرِه والاستســـلام للاستعمار حتى لا يُنْتَقَضَ إيمانُنا ويَفْسُدَ ويبطل، فيغضب الله علينا، ومن يغضب الله عليه فمأواه جهنّم وبئـــس المهادُ ! !؟

وهنا انبرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لتكشف للأمة الجزائرية حقيقة هذه الشُرْذُمة الخائنـــة من أبنائها. فكان هذا العمل من الجمعية بمثابة الضربة القاضية، والصدمة العنيفة جعلت الدّراويش (العلمـــاء) يثورون، ويحتقون، ويزدادون تصلّبًا وتشددًا وعنادًا في موقفهم -ذاك- المعادي للأمة، والشـــعب الجزائـــريّ؛ فأصرّ الدّجالون إلا أن يكونوا مع فرنسا الجبانة التي اختارتهم للخدمة؛ وأجادت الاختيار بعد أن درست القـــوم، وخبرت مطامعهم، وطموحاتهم، فأغرتهم بالمناصب الحكومية مقابل النّصب والتّجسُّـــس والكيـــد لإخوانـــهم، وعلقت لهم الأوسمة والنياشين، ثمّ دربّتهم ورَضّتْهُمْ كما تُروّض الخيول والثيران الإسبانية إلـــى أن صـــاروا رهن الإشارة؛ والاستجابة السريعة عند الحاجة. وكلٌ مُيسّر لِما صُنِع له؟

ولما لاحظت الجمعية الخيانة العُظمى التي غَرِقَت فيها هذه الشُرْذُمَة المشعوذة المبتورة أعلنت للأمـــة الجزائرية رأيها الصريح الواضح والذي مفاده: وأن الصّلاة خلفهم في المساجد التي يؤمّونها- باطلة لســـبب وحيد هو أنّهم جواسيس...؟

فالوظيفة الدينية الإسلامية أصبحت عند الحكومة الفرنسية في الجزائر -بتهافت هؤلاء القوم عليـــها- مشروطة بالجوسسة و"رجال الدّين" هؤلاء أصبحوا بها جواسيس على الشعب الجزائري على حساب دينـــه إلا القليل منهم، ولا حُكم للقليل هنا لأن الإدارة الفرنسية تعتبرهم في حسابها جميعًا جواســـيس عندهـــا بـــدون استثناء، وتطلب منهم -متى شاءت وعند الحاجة- فرادى وجماعات دون تمييز القيام بالخدمـــة والمَهمّـــة التي نُصِّبُوا من أجلها؛ وأية خدمة؛ وأي مهمّة؟ تلك التي تتمثل في تجسّـــس الجزائريـــين علـــى الجزائريـــين ومراقبة حركات وسكنات بعضهم بعضا ونقلها إلى العدوّ المشترك فرنسا التي جاءت إلـــى الجزائـــر لتُفسِد وتُخرّب كل مل أصلحه الدّهر خلال أربعة عشر قرنًا من الزّمان؟" [5].

---

[5] عيون البصائر ص: 206-207.

العبارة الثانية التي وردت فيها صيغة: (فَعِيل) هي: (سلامٌ عليكُمْ بما صبرتُمْ من والدٍ برٍّ بكُمْ شفيقٌ عليكُمْ). (عيون/12/287).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة: (شفق): الشَّفَقُ والشَّفقة: الاسم من الإشفاقِ. والشَّفَق: الخيفة.

شفِقَ شَفَقًا، فهو شفق، والجمع شَفِقُون، قال الشّاعر إسحاق بنْ خلَف، وقيل هو لابن المُعليّ:

تهْوَى حيَاتِي، وأهْوَى موْتَها شَفَقًا * والمَوْتُ أكْرَمُ نزّال على الحُرمِ.

وأشْفَقْتُ عليه وأنا مُشْفِقٌ وشفيق، وإذا قلت: أشفقْت.

قال ابن دريد: شَفَقْتُ وأشْفَقْتُ بمعنى، وأنكره أهل اللغة.

الليث: الشَّفَقُ: الخوف. تقول: أنا مُشْفِق عليك أي خائف.

والشَّفَقُ أيضًا: الشَّفقة وهو أن يكون النّاصح من بلوغ النّصح خائفا على المنصوح. تقول: أشْفَقْتُ عليه أن يناله مكروه.

ابن سيده: وأشفق عليه حذر، وأشفقَ منه جزع، وشفق لغةَ والشَّفيق: النّاصح الحريص على صلاح المنصوح.

وقوله تعالى: (إنَّا كُنَّا في أهلِنَا مشْفِقِينَ)[6]. أي كنّا في أهلنا خائفين لهذا اليوم.

وشفيقٌ: بمعنى مشفق مثل: أليم ووجيع وداعٍ وسميع.

وشَفِقْت من الأمر شَفَقَةً: بمعنى أشفقتُ، وأنشد:

فإنِّي ذُو مُحَافَظَةٍ لقَوْمِي، * إذا شَفِقَتْ عَلَى الرِّزْقِ العِيَالْ

والشَّفَق والشَّفقة: رقّة من نُصْحٍ أو حُبٍّ يؤدّي إلى خوف.

وقوله: كما شَفِقَتْ على الزّاد العيال: أراد بَخِلَت وضنّت، وهو من ذلك لأنَّ البخيل بالشيء مُشْفِق عليه.

والشَّفَق: الرّديء من الأشياء وقلّما يُجْمَع. ويقال: عطاءٌ مُشفّق أي مقلّل، قال الكميت:

ملكٌ أغرّ من الملُوك، تَحلّبَت * للسّائلين يداهُ، غيْرُ مُشفّقِ.

والشَّفَق: بقية ضوء الشمس وحُمرتها في أوّل اللّيل تُرى في المغْرِب إلى صلاة العشاء؛ وقيل: النّهار أيضًا، وعن الزجاج وقد فسّر بهما جميعا قوله تعالى: (فَلاَ أُقْسِمُ بالشَّفَقِ)[7].

وفيه آراء كثيرة مختلفة.

وفي النّوادر: أنا أشفاقٍ من هذا الأمر أي في نُواحٍ منه[8].

---

[6] – سورة الطور الآية: 36.

[7] سورة الانشقاق الآية: 16.

[8] اللسان مادة (ش ف ق) ج7؛ ص:154.

معنى الصيغة كما وردت في سياق النص: (سلامٌ عليكمْ بما صبرتُمْ من والدٍ برٍّ بكمْ شفيقٍ عليكمْ).(عيون/12/287).

عند تتبّعنا لكلمة (شفق) والمعاني التي تتضمنها في المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية المختلفة وجدناها تدل في الأغلب الأعم على معنى الخوف من منصوح أو محبوب أن يلحقه مكروه، أو يصيبه أذى ما خلال خوضه لغمار هذه الحياة التي تزخر بالأهوال والنوائب والمتاعب.

وهناك بعض المعاني الفرعية القليلة التي تدل عليها الكلمة نحو: أشفق عليه بمعنى حَذِر؛ وأشفق منه أي جزع، والشّفيق النّاصح الحريص على صلاح المنصوح.

وإذا انتقلنا إلى الكلمة في النّص الذي وردت فيه نجدها قد وُضعت في هذا الشكل (شفيق) على وزن (فعيل).

وهو بناء من أبنية المبالغة يدلّ على شدّة العناية بالمنصوح وقوة الحرص على إصلاح أحواله المادية والأدبية معًا.

والخطاب في هذا النّص متوجّه به إلى المربّين المعلّمين الذّين حملوا رسالة التربية والتعليم على كاهلهم في المدارس والمعاهد التي كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تشرف عليها إبّان الحقبة الاستعمارية المظلمة في حياة الشّعب الجزائريّ المجيد الصامد.

وتعبير الكاتب بصيغة (شَفيقَ) يرمي به إلى تقوية المعنى، وتوكيد العناية، والحرص على ما يخدم حال المعلّم المتردّية في تلك الفترة العصيبة من حياة قطاع التربية والتعليم، هذا القطاع الحيويّ الحسّاس الذي يُلهب أعصاب الاستعمار.

وقد كان صاحب النّص يلاحظ عن كثب؛ ويدرك بعمق وشفافية أهميّة العمل التربويّ والتعليميّ، وصَعُوبته، ودقّته، وما يستحقّ من الصّبر والتّفاني، والتضحية، والإخلاص في الأخذ والعطاء فيهما، وما يتطلّب من التحضير، والإعداد، والتكوين العلمي والثقافي، وقوة الشخصية والثقة بالنفس والتعطش إلى المزيد من العلم والمعرفة اللذين لا ينضب معينهما أبدا.

ومن المبادئ الأساسية التي أدركت أهميتها الجمعية، والشروط الضرورية في المعلّم أولا، والمتعلم ثانيا: حسن السيرة والأخلاق المُهذّبة، والطّباع المقوّمة، والتفاني لأجل تحصيل واكتساب العلم والمعرفة.

لذلك يستوجب على المربي الذي يريد أن يؤدّي رسالته بنجاح ويسر أن يتحلّى بالخصال الحميدة؛ ومكارم الأخلاق، والآداب النبيلة الفاضلة اقتداء بسيّد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه ربه: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[9] ليغرسها في الأجيال التي كُلّفَ ببناء شخصياتها عملا بقول الشّاعر أحمد شوقي المصريّ:

فَهُوَ الذِي يَبْنِي الطِّبَاعَ قَوِيمَةً * وهو الذي يَبْنِي النُّفُوسَ عُدُولاً

ويُقِيمُ مَنْطِقَ كُلِّ أعْوَجَ مَنْطِقٍ * ويُريه رأيًا في الأُمُورِ أصِيلاً[10].

---

[9] – سورة القلم الآية: 4.

[10] – الشوقيات: أحمد شوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ج1 د.ت.د ط/ص:182.

فإذا قصّر المُربّي المعلّم في تقويم الطّباع، وتهذيب النّفوس، أو كانت سيرته مطعونًا فيها، وأخلاقه مقدوحًا فيها، وكانت أقواله تناقض أفعاله فإنّ هذا كلّه سينعكس على الجيل الذي أشرفَ على تنشئته، وتربيته وتعليمه؛ وكان في النّهاية جيل أعمى غبيٌّ لا نجني منه إلا العنت والكسر والتحطيم واللامبالاة.

وقد لا نفلح بعد ذلك في محاولة إعادته إلى جادة الصّواب لذلك نرى شاعرنا الحكيم أحمد شوقي يقول في هذا الشأن:

وإذَا المُعَلّمُ لَمْ يَكُنْ عَـدْلاً، مَشَـى * رُوحُ العَدَالَةِ فِي الشّبَابِ ضَئِيلاَ
وإذَا المُعَلّمُ ساء لَحْـظَ بَصِيـرةٍ * جاءَت عَلَى يدِهِ البَصائرُ حُـولاَ
وإذَا أتَى الإرْشَادُ مِنْ سَبَبِ الهَوَى * ومِنَ الغُرورِ، فَسَمّهِ التّضْلِيـلا.[11]

حقًّا، إنّها لمسؤولية حسّاسة وثقيلة وخطيرة. ولا ينكر أهميتها إلاّ جاهلٌ، أو معاندٌ، أو مُخادِع، أو ابتزازيٌّ.

أمّا الذي مارسها، أو هو بصدد ممارستها بدءًا من مرحلة دور الحضانة إلى المرحلة الجامعية فهو يعرف جيدا صعوبتها، ومتاعبها، وتكاليفها، وتضحياتها الجسام، والسّهر المتواصل الدّائم لبناء هذا العنصر البشري الذي هو حجر الزاوية في كل تنمية اجتماعية، أو نهضة، أو يقظة علمية، أو فكرية، أو ثقافية أو صناعية. لذلك رأينا الكاتب لا يُخفي اعترافه بالجهود الجبارة التي يبذلها المعلّمون؛ والتضحيات الجسام التي يقومون بها في سبيل إزالة غشاوة الجهل، وتنوير هذا الجيل بنور العلم والمعرفة الذي بمقتضاه وحده سيكون شأن للأمّة الجزائرية بين سائر الأمم التي قطعت أشواطا بعيدة في سلم الرقي الحضاري الذي يكاد لا يصدقه العقل، لذلك فهاهو كاتب النّص يخاطب المعلّمين الجزائريين بقوله: (أبْنَاؤنَا المُعلّمون المُستَحقُّون لأجر الجهاد وشكر العباد، الصّابرون على عنت الزمان، وجحود الإنسان، وكلب السُّلْطَان، المُقْدِمُونَ على كثرة الخوّان، وقلّة الأعوان، جيش الحقّ، وحاصّة[12] الشّقّ، وألسنة الصّدق[13].

إنّ لفظة (أبنائنا) وحدها في النّص تدلّ ما يُكنّه الكاتب من حُبّ ومودّة، وشفقة وعطف لهؤلاء المعلّمين المجاهدين حقا في سبيل هذا الوطن الغالي الحبيب العزيز على كل جزائريّ حر غيور على كل شبر منه؛ وهذا ما يجعلنا نقول بلسان شاعرنا المصري أحمد شوقي:

وَطَنِي لَوْ شُغِلْتُ بالخُلْدِ عَنْهُ * نَازَعَتْنِي إلَيْهِ في الخُلْدِ نَفْسِي
شَهِدَ اللهُ لَمْ يَغِبْ عَنْ جُفُونِي * شَخْصُهُ وَلَمْ يَخْلُ حِسّي[14].

إنّهم أبناؤنا؛ وكل واحد منّا يعلم مدى حرص الآباء على أبنائهم وإشفاقهم عليهم من المكاره. لذلك فهم يعملون جاهدين بكل ما يملكون من الوسائل والإمكانات على إحاطتهم بكامل العناية والرعاية، وتزويدهم بالوصايا الغالية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ليُجنّبوهم مخاطر الحياة، ويقوهم من المهالك والمكائد التي تتصيدهم بعيون لا تسهو، ولا تأخذها سنة خاصة وأنّ أبنائنا يؤدون واجبهم المقدّس في ظروف عصيبة بسبب كثرة وانتشار

---

(11) المصدر السابق ج1،د.ت.د.ط / ص:182-183.

(12) – حاصة: جمع حانص، وحاص الثوب: خاطه وجمع أطرافه بالخيط.

(13) – عيون البصائر /ص:287.

(14) – ذكرى الشاعرين: حافظ إبراهيم، وأحمد شوقي لأحمد عبيد-ص:328.

الأعداء، والخونة، والحاقدين الذين يتربصّون بهم- بشكل دائم- دوائر السوء لرميهم في التهلكة بالخيانة؛ والغدر؛ والخديعة.

وإنّ هؤلاء الخونة الحاقدين مأجورون من الإدارة الفرنسية الجبانة والتي تعلم علم اليقين أن ليس هناك خطر أشدُّ عليها من نور العلم والمعرفة؛ وقد خلق الله النُّور كشّافا للخير، فضّاحًا للشّر، وهي تعلم علم اليقين أيضا أن الجهل ظلام حالك وهو لا يختلف عن سلاح العدوّ في الفعل فهو يفعل بصاحبه ما يفعل العدوّ بعدُوّه أو أكثر. لذلك فإنّ الجهل سلاح فتّاك وعامل رئيسيّ يساعد إلى أبعد الحدود على إبقاء الأمم تحت رحمة الفقر؛ والمرض؛ والتخلّف، والعبودية، والاستغلال. ولكي تبلغ فرنسا الجبانة هذه الغاية الغالية لديها، لا بدّ أن تحيط المعلّم بالأضواء الكاشفة، وتضطهده في كل مكان، وتهدر دمه في كل خطوة يخطوها وتحسب عليه أنفاسه التي يتنفّسها، وترصد عليه حركاته وسكناته !!!

وإنّها لسياسة استعمار، وتخريب، وبطش، وتعذيب، مصحوبة بسياسة التجهيل، والتجويع، والتدمير والمسخ للفكر والرّوح للفرد الجزائريّ الأعزل من كلّ شيء، وسلاحه الوحيد هو إيمانه بالنّصر الآتي لا محالة لأنّه ما ضاع حقّ وراءه طالب، وأنّ الله تعالى قد وعد به المؤمنين المستمسكين بحبل الله المتين، المعتَصِمِينَ بحماه حيث يقول: (إِنْ تَنْصُرُوا الله يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ والذِينَ كَفَرُوا فتعسًا لهم وأضلّ أعْمَالهم)[15].

ويقول: (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وأنتم الأعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مؤْمِنِين)[16].

العبارة الثالثة التي وردت فيها صيغة (فَعِيل): هي: (فَإِنَّ الشياطينَ لا تَنَزَّل إلاّ على كُلّ أفَّاكٍ أَثِيمٍ). (عيون/9/354).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة (أَثِيم): الإثْمُ: الذّنبُ، وقيل: هو أن يعمل ما لا يحلّ له. وفي التنزيل العزيز: (والإثْمَ والبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقّ)[17]. وقوله عزّ وجلّ: (فإنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا استَحَقَّا إِثْمًا)[18]. أي ما أُثِمَ فيه.

وفي حديث سعيد بن زيد: ولو شَهِدتُ على العَاشِرِ لَمْ إيثَمَ، هي لغة لبعض العرب في آثَمَ، وذلك أنّهم يكسّرون حرف المضارعة في نحو نِعلَم وتِعلَم، فلمّا كسروا الهمزة في إِثَمَ انقلبت الهمزة الأصلية ياءً.

وتَأَثَّم الرّجل: تاب من الإثْمِ واستغفر منه، وهو على السّلب كأنّه سلب ذاته الإثم بالتّوبة والاستغفار أوْ رَامَ ذلك بهما.

يقال: تأَثَّمَ فُلان إذا فعل فِعْلاً خرج به من الإثْمِ، كما يقال: تحرّج إذا فعل ما يخرج به عن الحرج.

وأُثِمَ فلان، بالكسر، يأثَمُ إِثْمًا ومأثَمًا أي وقع في الإثْمِ، فهو آثم وأثيم وأثُوم أيضًا. وأَثَّمَهُ الله في كذا يأثِمُه عاقبه بالإثم، وقال الفرّاء: أثمه الله يأثِمُه إثما وأثاما إذا جازاه جزاء الإثم، فالعبد مأثوم أي مجزيٌّ[19]

---

[15] – سورة محمد، الآيتان: 8-9.

[16] – سورة آل عمران، الآية: 139.

[17] – سورة الأعراف، الآية: 33.

[18] – سورة المائدة، الآية: 107.

[19] – اللسان مادة(أ ث م)، ج1، ص: 74-75.

جزاء إثمه، وأنشد الفرّاء لنصيّب الأسود؛ قال ابن بري: وليس بِنصَيِّب الأسود المرواني ولا بِنُصَيِّب الأبيض الهاشميّ:

وهَلْ يَأْثِمَنِّي اللهُ في أنْ ذَكَرْتُهَا * وعَلَّلْتُ أَصْحَابِي بِهَا لَيْلَةَ النَّفْرِ؟

وآثمه بالمدّ: أوقعه في الإثْم؛ وأثَّمَه بالتشديد: قال له: أَثِمْتَ.

وتأثَّم: تحرّج من الإثْمِ وكفّ عنه، وهو على السّلب، كما أن تحرّج على السّلب أيضًا.

قال عُبَيْدُ الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:

تَجَنَّبْتُ هِجْرَانَ الحَبِيبِ تَأَثُّمًا * إلاَّ إنّ هِجْرَانَ الحَبِيبِ هُوَ الإثْمُ.

والإثم عند بعضهم: الخمر، قال الشّاعر:

شَرِبْتُ الإثْمَ حتَّى ضَلَّ عَقْلِي * كَذَلِكَ الإثْمُ تَذْهَبُ بالعُقُول.

قال أبو بكر: وليس الإثم من أسماء الخمر بمعروف. ولم يصحَّ فيه ثَبْتٌ صحيح.

وأَثِمَتِ المَشْيَ تأثمه إثماً: أبطأت؛ وهو معنى قول الأعشى:

جَمَالِيَّةً تَغْتَلِي بالرِّداف * إذَا كَذَبَ الآثِمَاتُ الهَجِيرَا.

يقال: ناقة آثمة ونوق آثمات أي مبطآت. قال ابن بري:

قال ابن خالويه كَذَبَ هَهُنَا خفيفة الذال، وحقها أن تكون مشدّدةً.

قال: ولم تجئ مخففة إلاّ في هذا البيت، قال: والآثِمَات: اللاّتي يُظن أنّهن يَقْوِيْنَ على الهواجر، فإذا أخْلَفْنَه فكأنّهنّ أثِمْنَ.

والإثْمُ بالكسْر: الذّنبُ والخمر والقمار وأن يعمل ما لا يحلُّ.

والإثِيمُ: الكذّاب كالأثوم وكثرة ركوب الإثمِ كالأثيمة[20].

معنى الصيغة كما وردت في سياق النّص: (فإنَّ الشياطينَ لا تَنَزَّل على كُلّ أفَّاكٍ أَثِيمٍ). (عيون/9/354).

عندما رجعنا نُنَقِّبُ في المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية العربية المعتمدة عن معنى كلمة (أَثِمَ)، ومشتقاتها، وصيغها المختلفة الصّور والأشكال. اكتشفنا أنّ معنى اللّفظة يتغير حسب تغيّر صورها، وتبدّل صيغها، واختلاف أشكالها بدءًا من المعنى الرّئيسي لها.

فالمعنى الأساسي لكلمة الإثْمِ هو الذنب والخطيئة أو هو أن يعمل المرء ما لا يحل لهومن المعاني الفرعية للفظة الإثم وهي كثيرة، والتي تتعاقب عليها تبعًا للصّور والصيغ التي تأخذها في سياق الكلام نحو:

تأثَّمَ الرّجل: تاب من الذّنب واستغفر وتحرّجَ، وأثِمَ فلان بالكسر: أوقعه في الإثْمِ، وأثَّمَه الله إذا جازاه جزاء الإثْمِ.

وآثَمَه: أوقعه في الإثْمِ، وأثّمَه؛ قال له: أثِمْتَ، والإثم -عند بعضهم- بالكسر: الذّنب والخمر والقمار، وهذا الاتجاه قد نفاه ابن سيده بقوله: إنّمَا سَمَّاهَا إثْمًا لأنَّ شُربَها إثْمٌ.

---

[20] - المصدر السابق مادة (أ ث م) ج1؛ ص: 75؛ أساس البلاغة ج1، ص:5، القاموس المحيط م4، ص: 72-73.

والأثيم: الكذّاب كالأثوم وهو كثرة رُكُوب الإثم.

وإذا ما عُدْنَا إلى لفظة (الإثم) في سياق النّص الذي وُظّفت فيه، وأنعمنا النّظر في الصّورة التي وردت فيها ألفيناها جاءت على هذه الهيئة: أثيم، والأثيم: كثير الإثم[21] ومتصف به كالطّبع فيه وهو فَعيل من أمثلة المبالغة.

قال الله تعالى: (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ)[22].

والمراد بالإثم هنا ما يعدُّ خطيئةً وفساداً عند أهل العقول والمروءة وفي الأديان المعروفة.

وقد فسّره الفيروز أبادي في القاموس بالكذّاب وهو تسامح، وإنّما الكَذِبُ جُزْئي من جزئيات الأثيم[23].

وهناك من فسّره بالخمر، قال ابن سيده: (وعندي أنّه إنّمَا سمّاهَا إثْمًا لأنّ شُربَها إثْمٌ،وقال أبو بكر: وليس الإثم من أسماء الخمر بمعروف ولم يصحّ فيه ثبت صحيح)[24].

ولفظة " أثيم " مرتبطة في المعنى بما قبلها في العبارة، خاصة، بكلمة "أفّاك" التي هي الأخرى صيغة مبالغة أيضًا وهي من الإفك الذي هو كثرة الكذب، والبراعة في البهتان، والافتراء الذي يبدو لأوّل وهلة في صورة نظيفة لا سيّما عند الجهلة من العامة وسَوَاد النّاس.

وقد مرّت معنا هذه الكلمة في صيغة (فَعّال) وعَرَضْنَا لها بشيء من الشرح والتحليل الكافيين ولذلك فلا حاجة لإعادة الحديث عنها هنا.

يقول أحد المُفسّرين المعاصرين في معرض تفسيره وتحليله للفظة أثيم: (وهو أثيم .. يَرتكب المعاصي حتّى يحقّ عليه الوصفُ الثابت "أثيم" بدون تحديد لنوع الآثام التي يرتكبها، فاتجاه التعبير إلى إثبات الصفة، وإلصاقها بالنّفس كالطّبع المقيم)[25].

ومن اجترأ الكذب على الله أو على نبيّه أو على المؤمنين؛ وأصرّ عليه، وألحّ دون تحرّج أو توبة فقد كان أثيما ومن ثمّ فالشّيطان قد استحوذ عليه فأنساه ذكر الله، واستغفاره، وخشيته؛ واستولى على قلبه حتّى مَرَدَ على المعصية والفسوق فانطمس وأظلم حتّى أصبح كناقة الشّاعر الجاهل يخبط في كل اتجاه خبط عشواء، ويرتكب من الذنوب والمعاصي والآثام ما لا عين رأت؛ ولا أذن سَمِعت في حقّه سبحانه وتعالى؛ وحق عباده في غير مبالاة ولا اكتراث.

ومن هذه الخطايا والكبائر الشنيعة التي تفنّن فيها هؤلاء المشعوذون الآثمون إبّان الاستعمار الفرنسي إقامتهم لأعراس الشيطان، والحفلات، والولائم الموسمية على أضرحة الموتى المبنية على شكل قباب مغروسة هنا وهناك في مختلف أنحاء القطر الجزائريّ، ولا سيّما النّاحية الغربية من البلاد كوهران؛ ومُعَسكر، وتلمسان، ومغنية، ومليانة، وغليزان، والأصنام سابقا.. وما جاورها طولا، وعرضا، سُفلا؛ وعُلوا.

---

[21] – تفسير التحرير والتنوير ج29؛ ص:74.

[22] – سورة الدّخان. الآيتان: 43-44.

[23] – المصدر السابق، ج29، ص:74.

[24] – اللسان مادة (أ.ث.م) ج1، ص:75.

[25] – تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص:331.

ويرتكب ما يرتكب فيها من فواحش ومنكرات ويجري ما يجري فيها من إضاعة أموال، واستباحة حُرُمَاتٍ؛ وينسج فيها ما ينسج من كيد، ومكر، واستحلال محرّمات بكلّ دقّة وإحكام ووقاحة لا نظير لها.

ويجد الخائض في هذه الأعراس الشّيطانية -التي تقام في كل سنة في النّصف الثّاني من فصل الرّبيع؛ والنّصف الأوّل من فصل الخريف- نفسه متورّطا في الدّيْن، دَيْن الأموال فإذا ثقل عليه هذا الدّيْن وشدّد الدّائن عليه الخناق، عندئذ يضطر المدين إلى بيع قطع أراضيه ودوابّه لتسديد دُيونه التي استدانها من غيره ليشارك بها في إقامة الزردة على أعراس الشّيطان وليمسح ماء وجهه أمام زعماء الشعوذة والتدجيل، وعبيد الاستعمار الفرنسي، وجنود إبليس !

ومن يا ترى يتقدم لشراء قطع الأراضي الخصبة، وهذه الأنعام والجنّات التي تجري من تحتها الأنهار ! ! !؟ إنّه شيطان الاستعمار وبالتحديد " الكولون"[26] الذي يساعده في ذلك شيطان الجنّ، جنّ الكهان الذين يزعمون – لِقُربهم من الله- الإطلاع على الغيوب المستورة، وكشف الأخبار المستقبلية المخفية على غيرهم، يساعدونه على نشر الخرافات، والأوهام، والأباطيل والضلالات في أوساط الشّعب الجزائريّ الذي سمُّوا له الأشياء كلها باسم الدّين؛ وهي في حقيقتها تنقُضُ الدّين وتهدمُه وتعدمه من أساسه. قال تعالى في محكم تنزيله: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عنّي فإنّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعلَّهم يَرْشُدُونَ)[27]. صدق الله العظيم الذي فصّل لعباده كلّ شيء، وبيّنه واضحا جليّا، هُدًى ورحمة للمؤمنين المبصرين الذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا فلا خوف عليهم في الدّنيا والآخرة ولا هم يحزنون.

العبارة الرابعة التي وردت فيها صيغة (فَعِيل): هي (فأرادَت الحُكُومَةُ أنْ تُؤَيِّدَ قُوَّة القَهْرِ بقوَّة السِّحْرِ، فكَانَ عَبْدُ الحيِّ السَّاحِرَ العَلِيمَ، وآية ذلك أنَّهُ زَارَ كُلَّ واحِدٍ مِنْ مَشَايِخِ الطُّرُقِ في داره، وأقَامَ عِنْدَهُ اللَّيالي والأيَّامَ). (عيون/13/620).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة (علم): لا نريد هنا أن نخوض في تفاصيل وجزئيات ودقائق المعنى اللغوي، والاشتقاقي لكلمة (علم) لسبب وحيد هو أنّه سبق وأن عرضنا له بشيء من التفصيل والإحاطة في الفصل الرّابع من صيغ (فَعَّال).

وعَليم، فَعيل: من أبنية المبالغة. ويجوز أن يقال للإنسان الذي علّمه الله علمًا من العلوم عَليم كما قال يوسف للملك: (إنّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ)[28]. وقال الله عزّ وجلّ: (إنَّمَا يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ)[29]. والعلم:نقيض الجهل.

قال ابن جنّي: (لَمَّا كَانَ العِلْمُ قَدْ يَكُونُ الوَصْف به بعْدَ المُزَاوَلَةِ لهُ وطولُ الملابَسَةِ كأنَّه غريزة، ولم يَكُنْ على أوّل دُخُوله فيه، ولو كان كذلك لَكَانَ مُتَعَلِّمًا لا عَالِمًا، فلمَّا خرج بالغريزة إلى باب فَعُلَ صارَ عَالِمٌ في المعنى كَعَلِيمٍ، فكسَّرَ تكسيرُهُ، ثمّ حمَلُوا عليه ضدّه فقالوا جُهَلاَء كعُلَمَاء، وصارَ عُلَمَاء كَحُلَمَاء[30]

---

[26] – الكولون: كلمة فرنسية معناها المَدَنيُّون الفرنسيون الذي جيء بهم لتعمير الجزائر !؟

[27] – سورة البقرة، الآية:186.

[28] – سور يوسف، الآية:55.

[29] – سور فاطر، الآية:28.

[30] – اللسان مادة (ع ل م)، ج9، ص: 370–373.

لأنَّ العِلْمَ مظلمةٌ لصاحبه، وعلى ذلك جاء عنهم فاحش وفُحَشَاء لمَّا كان الفُحْشُ من ضروب الجهْل ونقيضًا للحِلْم[31].

معنى الصيغة كما وردت في سياق النّص: (فأرَادَت الحُكُومَةُ أنْ تُؤَيِّدَ قُوَّة القَهْرِ بقوَّة السِّحْرِ، فكَانَ عَبْدُ الحيِّ السَّاحِرَ العَلِيمَ، وآية ذلك أنَّهُ زَارَ كُلَّ واحِدٍ مِنْ مَشَايِخِ الطُّرُقِ في داره، وأقَامَ عِنْدَهُ اللَّيالي والأيَّام). (عيون/620/13).

وإذا تأمّلنا الدلالات التي تأخذها مادة (علم) ألفيناها عديدة ومتنوّعة، وقد أشرنا إلى هذه الدلالات في الفصل الرّابع عند معرض الحديث عن صيغة (فَعَّال) ونحب هنا أن نقصر الكلام على المعنى الأصلي العام لمادة (علم)، فالعلم: نقيض الجهل وعَلِمَ عِلْمًا وعَلْمَ هُوَ نَفْسَهُ، ورَجُلٌ عَالِمٌ وعَلِيم، فَعيل: من أبنية المبالغة، وعلّمه يَعْلُمه ويَعْلِمُه عِلْمًا: وسَمَه.

وعَلاَّم وعلاّمة إذا بالغت في وصفه بالعلم أي عَالِمٌ جِدًّا، والهاء للمبالغ في الأخيرة.

وأمّا صيغة الكلمة كما وردت في النّص فهي: (العَلِيم) على زنة (فَعيل)؛ وهو بناء من أبنية المبالغة يدلّ على كثرة العلم، والتّمكن منه؛ والرّسوخ فيه.

أمّا استخدامها هنا فجاء في وصف رجل يدعى: (عبد الحي) الكتاني الذي لمع نجمه، وذاع صيتُهُ إبّان الحقبة الاستعمارية الفرنسية في أقطار المغرب العربي؛ وأية شهرة؛ وأيّ ذيوع؟ إنّه ذيوع، ولمعان في خدمة الاستعمار ودمار الأمة الجزائرية العربية المسلمة !

ومن المصادفات العجيبة أن تجتمع في الرّجل خصوصيات نادرة أهّلته للخدمة التي نُدِبَ إليها هي: أنّه رجل شريف أوّلاً؛ وهو عريق في الشهرة ثانيا؛ وطُرُقِيٌّ مُحنّك ثالثا؛ وعَالِمٌ في الفقه؛ وتأويل القرآن والجدل فيها؛ وفي فروعها جميعا رابعا !؟

أمّا النّزعة التي كانت غالبة عليه أكثر من غيرها فهي النّزعة الطرقية التي كانت لا تحتاج في مشوارها؛ وإقبالها؛ وإدْبَارها إلى إقامة أيّ دليل؛ أو الاستناد على تعليل بقدر ما تعتمد على اللّمسات الخفيفة؛ والهمسات الخافتة؛ والشّطحات المتقنة؟

وأنّ هذا السّاحر العليم المحنك بالتجارب، والمثقل بالخبرات يُدْرِكُ بنباهته متى تُوظّف كلّ خصوصية من هذه الخصوصيات؛ ولأي ميدان تصلح كلّ واحدة؛ ولأي ظروف تليق؛ ومتى تستعمل كلّها دفعة واحدة لتكون بمثابة القنبلة الهيدروجينية التي تعمي وتصم وتشلّ الحاضرين لتجعلهم يدركون الحقائق والأشياء ذلك الإدراك المقلوب !وهو ما يريده السّاحر العليمُ !.

لذلك فهذه العناصر عنده تشبه تماما المركبات الكيماوية التي تُصنَعُ بها المواد المختلفة التي يحتاج إليها النّاس في فصل من فصول السّنة دون غيره؟

فهناك من هذه الفصول المسرحية ما يحتاج إلى كمية كبيرة من الماء البارد لإطفاء النّيران التي يُتوقّع اشتعالها وتأجّجها هنا وهناك في أنحاء مختلفة من القطر الجزائريّ ولذلك يتطلب من العليم الخبير أن يهيّئ كميات هائلة من المياه للمواجهة، مواجهة الحالات الطارئة؛ وفي الوقت المناسب وإلاّ...؟

---

[31] – المصدر السابق مادة (ع ل م) ج9، ص:373.

وفصل آخر من هذه الفصول يتطلّب مزيدًا من الحرارة؛ وإيقاد فتيل الفتنة لتَشْتيتِ الصّفـــوف، وزرع البلبلة والاضطراب والشّكوك لإثارة المعارك؛ والنّزاعات، والخلافات الحادة لأجل ذلك كله فإنّ مخبر الكيميـاء العجيب الذي يُسَيِّره هَارُوتُ ومَارُوتُ[32] ينبغي أن ينشط أكثر من أيّ وقت ليُحضّر أكبر عدد من المتفجـرات التي تأتي على الأخضر واليابس وخاصة منها الألغام الموقوتة ذات الفعالية العُظْمى، وذات التسـديد الجيـد حتّى لا تخطئ أهدافها المبرمجة ليدْخُل بذلك الفرح والسرور على قلب (قمير)[33] التي لا تتوانى فـي تقديـم الأوسمة والنّياشينِ للمُشكّكينَ المُحَكّكينَ.

قُلْنَا إن هناك مضمارا آخر ينشط فيه هذا (السّاحر العليم) أكثر من غيره وهو مضمار النّزعة العرقيـة والذي لا يُنَازَعُ فيه، ولا يكبو له جوادٌ؛ وهو أيضًا المضمار المفضّل الذي يحبه فيه الاسـتعمار الفرنسـي أن يشطح، ويمرح، ويبرهن بالخُزَعْبِلات والبدع، والأوهام، والخرافات، والأباطيل، والضلالات فـي مجـال الأعراس، والولائم، والحفلات، وإقامة المهرجانات الدّولية عبر الدّوائر والولايـات مـن القطـر الجزائـريّ الحبيب العزيز بحضور جمهور غفير من العامة والشخصيات !

هذا كلّه لا بدّ أن يقام –بطبيعة الحال– حول الحجارة البيضاء المركومة المصفوفة بجانب مـزرعة من المزارع خاصة مزارع المعمّرين (الكولون) بل المدمّرين لكيان الوطن والأمّة الجزائرية، الـهادمين لكـلّ مقوّماتها الشّخصية، والماسخين لهويّة هذا الشّعب المسلم. وهذه الحجارة البيضاء هو ولـيّ مـن أولياء الله الصّالحين في حَقِيقَتِهِ الوهمية أو الخرافية !وهو جدير بالتّقرب إليه بجميع وسائل القربى كالتمسح به والتـبرّك له، وخدمته بالحراسة الدّائمة، وذبح القرابين والتضحية بالأموال، والأنفس، والأولاد، والعقل والرّوح، والدّيـن، والوطن من أجل إرضاء هذا الوليّ أو ذاك ! ! !

وكان الرّجل (السّاحر العليم) أيضًا يدفع بعامة الشّعب وسواده إلى بذل المزيد من التضحيـة بطرقـه ووسائله السّحرية فهو مخدر منوّم، وهو شريف عريق في الشهرة، وهو ساحر عليـم..وَ..وَ.. ! لا سيّمـا وهو يُطبّق مركباته الكيماوية على شعب يعمّه الجهل، وتسوده الأمية، ويعشّش فيه الفقر، والجوع، والمـرض، والتخلف، ناهيك عن التقليل، والتدمير، والحرق، وانتهاك الحرمات، ونـهب الأمـلاك والـثروات، وتشـريد الشيوخ، والنساء، والأطفال، وزرع الرّعب والخوف في قلوبهم؛ والهلع والاضطراب في نفوسهم.

وهاهي واحدة من آلاف المجازر الدّموية التي تشهد على الأفعال الشنيعة التي ارتكبها يد الاسـتعمار الأثيمة في حق هذا الشّعب البريء في شهري ماي من سنة **1945** يعبّر فيها شاعرنا المجاهد الفذ محمد العيـد آل خليفة عن مرارة إحساسه بالمأساة الأليمة التي يكشف فيها الاستعمار عـن نواياه الخبيثـة المبيتـة إزاء الشّعوب المستضعفة التي ذنبها الوحيد هو أنّها تطالب بحقها في الحرية والاستقلال وبناء دولة فتية عصرية:

فَظَـائِعُ مَـاي كَذَّبَتْ كُلَّ مَزْعَـمٍ * لَـهُمْ ورَمَـتْ مَا رَوَّجُـوهُ بإفْـلاَسِ
دِيَـارٌ مِـنَ السُّكَانِ تُخْلَى نِكَايَةً * وعَسْـفًا وأحياء تُسَـاقُ لأرْمَـاسِ
وشِيـبٌ وشُبَّـانٌ يُسَـامُونَ ذِلَّـةً * بأنْـوَاعِ مَـكْرٍ لاَ تُـحَـدُّ بِمِقْيَـاسِ[34]

---

[32] – هاروت وماروت: ملكان كانا ببابل وقصتهما معروفة عند اليهود.

[33] – قمير: هنا هي فرنسا المُحنّكة في المكر والكيد والخُبْث والدّسّ.

[34] – ديوان محمد العيد محمد علي خليفة، ص: 259–260.

وغِيدٌ مِنَ البِيضِ الحِسَانِ أوَانِسٌ * تُهَانُ عَلَى أيْدِي أرَاذِلَ أنْكَاسِ
ويُسْلَبْنَ مِنْ حِلْيٍ لَهُنَّ مُرَصَّعٍ * بِكُلِّ كَرِيمٍ مِن جُمَانٍ وألْمَاسِ
ويُنْكَبْنَ فِي عِرْضٍ لَهُنَّ مُطَهَّرٍ * مَصُونِ الحَوَاشِي طيِّبِ العَرْفِ كالآسِ [35]

وهذا البشير الإبراهيمي يصوّر المأساة نفسها فيقول:

(يا يَوْمَ !.. لله دِمَاءٌ بَرِيئَةٌ أريقَت فيك، ولله أعراضٌ انتُهِكَتْ فيكَ، ولله أموال محترمة استبيحت فيكَ، ولله يتامى فَقَدُوا العائل الكافي فيك، ولله أيامَى فقدْنَ بُعُلَتَهُن فيك...)[36].

وقد حارب ابن باديس رجال الطرقية لسببين:

أولهما: لتعاونهم مع (الاستعمار)[37] الفرنسي ضد وطنهم وهي خيانة عظمى.

وثانيهما: لكثرة البدع والخرافات التي ألصقوها بالدّين الإسلامي الحنيف وحشوًا بها أدمغة العامة وسمّموا بها أفكارهم ووجْدانهم الدّينيّ.

يقول ابن باديس تحت عنوان " حَارَبَ الشِهَابُ الطّرُقية"؟

(حَارَبْنَا الطرقية لِمَا عرفنا فيها –عِلم الله– من بلاءٍ على الأمّة من الدّاخل والخارج فعملنا على كشفها وهدمها وتحمّلنا في ذلك من صعاب، وقد بلغنا غايتنا والحمد لله، وقد عزمنا على أن نترك أمرها للأمّة التي تتولّى القضاء عليها ثمّ نمدّ يدنا لمن كان على نية من نسبته إليها لنعمل معًا في ميادين الحياة على شريطة واحدة هي: ألاّ يكونوا آلةً مسخّرة في يدِ نواحٍ اعتادت تسخيرهم. فكل طرقي مستقل في نفسه عن التسخير فنحن نمدّ يدنا له للعمل في الصّالح العام وله عقليته لا يسمع منا فيها كلمةً، وكل طرقي أو غير طرقي يكون أذْنًا سمّاعة، وآلة مسخرة فلا هوادة بيننا وبينه حتّى يتوب إلى الله.

وهذا الشيخ البشير الإبراهيمي يصوّر لنا موقف ابن باديس من الطرقية كالآتي: (كان من نتائج الدّراسات المتكرّرة للمجتمع الجزائريّ بيني وبين ابن باديس منذ اجتماعنا في المدينة المنوّرة أنّ البلاء المُنْصبَّ على هذا الشّعب المسكين آت من جهتين متعاونتين عليه وبعبارة أوضح من (استعمارين) مشتركين يمتصان دمه ويتعرقان لحمه، ويفسدان عليه دينه ودُنياه:

1–(استعمار) روحاني يُمثله مشائخُ الطرق المؤثرون في الشّعب المُتغلغلون في جميع أوساطه المتجرون باسم الدّين المتعاونون مع (الاستعمار) عن رضى وطواعية وقد طال أمد هذا (الاستعمار) الأخير وثقُلت وطْأته على الشّعب حتّى أصبح يتألّم ولا يبوح بالشكوى أو الانتقاد خوفا من الله بزعمه.

ومن هذه النّصوص من كتابات الشيخ البشير الإبراهيمي وابن باديس يتضح لنا موقف هذا الأخير من رجال طرق الصّوفية ماداموا آلة مسخرة في يد (الاستعمار) يوّجههم كيفما يشاء لمحاربة المناضلين والحركات الإسلامية السلفية وماداموا يُحْدِثُونَ البدع المنافية للدّين)[38].

---

[35] – المرجع السابق ديوان محمد العيد، ص:259–260.

[36] – عيون البصائر،ص:371–372.

[37] – (الاستعمار)وضعناها بين قوسين لعدم موافقتنا على استعمالها في هذا المقام لأن هذا المصطلح يدل على التعمير والبناء، وفرنسا استدمار وتهديم ماديّ ومعنويّ.

[38] – الشيخ عبد الحميد بن باديس د/ تركي رابح، ص:236–237.

العبارة الخامسة التي وردت فيها صيغة (فَعِيل): هي: (وأشهدُ، لقد خُلِقْتُ رَقِيقَ الإحْسَاسِ، سَلِيم دواعِيَ الصَّدْر، سريع الاستجابة إلى التسامح والإعفاء، رحيما بالبائسين). (عيون/15/669).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة: (رحم): الرّحمة: الرّقة والتّعطُّف، والمرحمة مثله، وترحّمت عليه أي قلت: رحمة الله عليه. ورحِمَهُ رُحْمًا ورُحْمًا ورحْمَة ورحَمَة، حكى الأخيرة سيبويه.

وقوله تعالى: (هُدًى ورَحْمَةً لقَومٍ يُؤمنون)[39]. أي فَصلْنَاهُ هاديًا وذا رحمة.

والرّحموت: من الرّحمة. وفي المثل: رهْبُوتٌ خير من رحمُوتٍ أي لأن تُرْهَب خير من أن ترْحَم، لم يستعمل على هذه الصيغة إلا مُزَوَّجًا.

وترحم عليه: دعا له بالرحمة. واسترحمه: سأله الرحمة، ورجل مرحوم ومرحم: شدد للمبالغة.

والله الرحمن الرحيم: بنيت الصفة الأولى على فعلان لأن معناه الكثرة، وذلك لأن رحمته وسعت كل شيء (وهو أرحم الراحمين)[40]،[41]. أو هما وصفان مشتقان من رحم؛ وفي تفسير القر طبي عن ابن الأنباري عن المبرد: أن الرحمان اسم عبراني نقل إلى العربية قال وأصله بالخاء المعجمة (أي فأبدلت خاؤه حاء مهملة عند أكثر العرب كشأن التغيير في التعريب وأنشد على ذلك قول جرير يخاطب الأخطل:

أو تتركن إلى القسيس هجرتكم * ومسحكم صلبكم رخمان قربانا.

وفي رواية إلى القسين.

ولم يأت المبرد بحجة على ما زعمه، لم لا يكون الرحمان عربيا كما كان عبرانيا فإن العربية والعبرانية أختان وربما كانت العربية الأصلية أقدم من العبرانية؛ ولعل الذي جرأه على إدعاء أن الرحمان اسم عبراني. ما حكاه القرآن عن المشركين في قوله: " قالوا وما الرحمان"[42]. ويقتضي أن العرب لم يكونوا يعلمون هذا الاسم لله تعالى؛ وبعض عرب اليمن يقولون رخم رخمة[43] بالمعجمة.

فأما الرحيم فإنما ذكر بعد الرحمن لأن الرحمن مقصور على الله عز وجل، والرحيم قد يكون لغيره، قال الفارسي:

إنما قيل: بسم الله الرحمن الرحيم بعد استغراق الرحمن معنى الرحمة لتخصيص المؤمنين به في قوله تعالى: (وكان بالمؤمنين رحيما)[44] كما قال: (اقرأ باسم ربك الذي خلق)..[45] ثم قال: (خلق الإنسان من علق)[46] [47].

---

[39] – سورة النحل،الآية:64.

[40] – سورة الأنبياء، الآية: 75.

[41] – اللسان مادة (ر ح م) ج5، ص:173.

[42] – سورة الفرقان، الآية: 60.

[43] – الجامع لأحكام القران لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي؛ م1، ج1، دار إحياء التراث العربي– بيروت–لبنان/ط2 سنة 1957، ص:104.

[44] – سورة الأحزاب، الآية:43.

[45] – سورة العلق، الآية:1.

[46] – سورة العلق، الآية:2.

[47] – اللسان مادة (ر ح م)، ج5، ص: 174.

فخَصَّ بعد أن عمّ لما في الإنسان من وجُوه الصّناعة ووجوه الحكمة، ونحوه كثير.

الجوهريُّ: الرّحمن والرّحيم اسمان مشتقّان من الرّحمة، ونظيرهما في اللغة نديـــم وندمـــان، وهمـــا بمعنى، ويجوز تكرير الاسمين إذا اختلف اشتقاقهما على جهة التوكيد كما يقال فلان جاد مجد، إلا أن الرحمـــن اسم مختص لله تعالى لا يجوز أن يُسمَّى به غيره ولا يُوصف، ألا ترى أنّه قال: (قُـــلْ ادْعُـــوا الله أو ادعـــوا الرّحمن)[48] ؟ فعادل به الاسم الذي لا يشركه فيه غيره، وهما من أبنية المبالغة، ورحمن أبلـــغ مـــن رحيـــم، والرّحيم يُوصف به غير الله تعالى فيقال رجل رحيم، ولا يقال رَحْمَنٌ[49].

والرّحيم قد يكون بمعنى المرحوم، قال عَمْدَسُ بن عقيل:

فأمَّا إذا عضَّتْ بِكَ الحَرْبُ عَضَّةً * فإنَّكَ مَعْطُوفٌ عَلَيْكَ رَحيمُ.

فـــ"الرّحمن" خاصّ الاسم عامُّ الفعل؛ و"الرّحيم" عامّ الاسم خاصّ الفعل

والرّحمة في بني آدم عند العرب: رقّة القلب وعطفه.

ورحمة الله: عطفُه وإحسانَهُ ورِزْقُه.

والرّحمُ: رَحِمَ الأنثى، وهي مؤنثة.

ابن سيده: الرّحمُ والرّحْمُ بيت منبَت الولد ووعاؤه في البطن.

قال عُبَيْد:

أعَـــاقِرٌ كـــذَاتِ رَحـــمٍ * أمْ غَـــانِمٌ كَمَـــنْ يَخِيـــبُ[50]؟

قال ابن الأثير: ذو الرّحم هم الأقارب، ويقع على كل من يَجْمَعُ بينك وبينه نَسَبٌ.

وفي الحديث: (ثلاث يَنْقُصُ بِهِنَّ العَبدُ في الدُّنيا ويُدرِكُ بِهِنَّ في الآخرة ما هو أعظمُ من ذلك: الرُّحْـــمُ والحياء وعي اللّسان)، الرّحْم، بالضمّ: الرّحمة، يقال رَحِمَ رُحْمًا، ويريد بالنّقصان ما ينال المرء بقسوة القلـــب ووقاحة الوجه وبسطةُ اللّسان التي هي أضداد تلك الخصال من الزّيادة في الدّنيا.

والرّحوم: الناقة التي تشتكي رَحِمَهَا بالنّتاج، وقد رَحُمت بالضمّ، رحامةً ورَحِمَت بالكسْر، رحْمًا.

واسْترحمَتْه: استعطفته، وتراحموا: تعاطفوا.

وبينهما رَحِمَ ورُحْمٌ: قرابة دم ونسب. قال الهُذليُّ:

ولَمْ يَـــكُ فَظًّا قَاطِعًا لقَرَابَـــة * ولكِـــنْ وَصُولاً للقَرَابَة ذا رُحْمِ[51].

[48]– سورة الإسراء، الآية: 110.

[49] – المصدر السابق، مادة (ر ح م)، ج5، ص: 175.

[50] – الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، م1/ج1، ص: 105.

[51] – اللسان مادة (ر ح م)، ج5، ص، 175؛ أساس البلاغة، ج1، ص: 329–330.

معنى الصيغة كما وردت في سياق النّص: (وأشهَدُ، لقد خُلِقْتُ رَقِيقَ الإحْسَاسِ، سَلِيمَ دَوَاعِيَ الصَّـدْر، سريعَ الاستجابة إلى التسامح والإعفاء، رحيما بالبائسين). (عيون/15/669).

عند تتبعنا لمعاني مادة (رحم) في المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية الأساسيـــة ألفيناهـــا لم تخـــرج في غالب أحوالها وتقلب تصريفاتها عن معاني العطف والرّقق بالمرحوم؛ والإحسان إليه؛ واللّطف به، ودفـــع الضر عنه، وإعانته على التصدّي للمتاعب والمشاق.

" واسم الرّحمة موضوع في اللغة العربية لرقّة الخاطر وانعطافه فهي من الكيفيات النفســانية لأنّــها انفعــال، ولتلك الكيفية اندفاع يحمل صَاحبها على أفعال وُجُودية بِقَدْر استطاعته وعلى قدْر قوّة انفعاله.

فأصل الرّحمة من مقولة الانفعال وآثارها من مقولة الفعل، فإذا وُصف موصوف بالرّحمة كان معنـــاه حصول الانفعال المذكور في نفسه، وإذا أخْبِرَ عنه بأنّه رَحِمَ غيره فهو على معنى صَدَرَ عنه أثَرٌ مـــن آثـــار الرّحمة؛ إذ لا تكون تعْدِيَة فِعْل رَحِمَ إلى المرحوم على هذا المعنى فليس لماهيّة الرّحمـــة جُزئيـــاتٌ وُجُوديـــة ولكنّها جزئيات من آثارها.

وأمّا الرّحيم فذهب سيبويه إلى أنّه من أمثلة المبالغة وهو باقٍ على دلالته علـــى التعـــدي. وصـــاحب الكشاف والجُمْهُور لم يُثبتوا في أمثلة المبالغة وزن فَعِيل، فالرّحيم عندهم صفة مشبّهة مثل مريـــض وســـقيم، والمبالغة حاصلة فيه على كلا الاعتبارين. والحقّ ما ذهب إليه سيبويه "[52].

وبالعودة إلى العبارة؛ وبتأمل الصّيغة التي وُضعت فيها كلمة (رحـــم) نجدهـــا وردت بـــهذا الشـــكل: (رحيمًا) على زنة فَعِيل؛ وهو بناء من أبنية المبالغة الذي يدل في هـــذا الســـياق علـــى كـــثرة صـــــــدور الرّفـــق،" واللّطف، والإحسان، والإعانة للبائسين المحتاجين وهي صفة ربّانية يمنحها تعالى لعباده المؤمنيـــن ويفيضها عليهم؛ وهم بدورهم ينشرونها على مخلوقاته جميعًا"[53].

والكاتب في هذه العبارة يخبرنا عن نفسه التي تأثّرت أيّما تأثّر لحادثة فاس التي ذهب ضحيتها نخبة من خـــيرة شباب الجزائر، وبرجل فذٍّ من رجال العمل المنّظم داخل جمعية العلماء، وهو حادث مُريعٌ مفـــاده ســـقوط دار يسكن فيها الطلبة الجزائريون الذين يطلبون العلم بمدينة فاس بالمغرب الأقصى الشّقيق فماتوا جميعا، ومـــات معهم فاضل جزائري مكلف بالنيابة عن جمعية العلماء في تفقد أحوال الطلبة المعاشية.

وقد وقعت هذه الحادثة المروّعة على شيخنا الإبراهيمي موقع الصّاعقة فشلّته عن النشاط، والكتابـــة، والعمل، ومتابعة الأخبار حتّى أصبح كالجثة الهامدة لا يقوى على تفكير ولا تدبير.

فهو يقول عن هذه الحالة التي ألمّت به: (بقيت على تلك الحالة التي لم أعْهَدْهَا من نفسي ولم يعـــهدها الملابسون لي منّي؛ حتّى سَمِعْتُ خَبَر إحسان الأخوين الكريمين: الحاج عمر السّبتي، والحاج محمد السّـــبتي، وتكرُّمهما بدار كاملة المرافق على الطلبة الجزائريين في طلب العلم بفاس.

ويظل الله –عزّ وجلّ– رؤوفًا بعباده الرّحماء كما جاء عنه صلى الله عليه وسلّم: (الرَّاحِمُون يَرْحَمُـــهُمْ الرّحمَن) [54].

---

[52] – تفسير التحرير والتنوير ج1، ص:169-171.

[53] – صفوة التفاسير/ تفسير القرآن الكريم لمحمد علي الصابوني/ دار القرآن الكريم بيروت– لبنان. ط4/ سنة 1981 / م1؛ ص:529.

[54] – عيون البصائر، ص: 671.

ويسمع الإبراهيمي بهذا العمل الجليل الصّادر عن هذين الرّجلين الكريمين؛ فيتناقص حُزنُه، ويتسلّل الاطمئنان إلى قلبه، وتنطلق نفسه من عقالها، ويسلّ يراعه، ويُطلقُها عَطِرة بالشّكر والثناء والتقدير إلى كلّ الذين ساهموا من قريب أو من بعيد في تخفيف هذا المصاب الجلل الذي فجع الأمّة الجزائرية في أعزّ ما تملك من أبنائها؛ وفلذة كبدها؛ فَيَنْبَري معبّرًا عن العرفان بالجميل قائلا: (أنا باسم جمعية العلماء وباسم الأمّة الجزائرية أتقدّم إلى المغرب وساكنيه، من مليكه الهمام، إلى عُلَمائه الأعلاَم، إلى مُحْسِنيه الكرام، إلى أحزابه وهيئاته وجمعياته، بإحسان عن إحسانهم، وثناء على اهتمامهم، تحملها هذه الكلمات التي معناها عرفان الجميل، وإنّ عرفان الجميل لألذّ وأشهى إلى النفوس الكريمة، من كل مفروح... وعذرًا أيّها الإخوان- إذا جئنا بعدكم، فإنّنا رأينا غيوث اهتمامكم لم تزل متوالية، وكلمات شعرائكم وكُتّابِكُم لم تَزَل مُتواصلة.

ومن عادة الشاكر المثنيّ أن تكون كلمته هي الأخيرة)[55].

ومصداقا لما قال الشّاعر القديم:

إذَا أنْتَ أكْرَمْتَ الكَرِيمَ مَلَكْتَه * وإنْ أنْتَ أكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا[56]

فالشّعب الجزائريّ إذن شعب أبيّ كريم؛ فمن أكرمه ملكه، واستولى على وُجْدانه؛ واستبدّ بعقله وقلبه؛ وهو أيضًا شعب عزيز لا يرضى بالظلم والذّل والهوان مهما كلّفه ذلك من أرواح وجهد وأموال.

ومن هنا نتيقن بأن الإبراهيمي حسنةٌ من حسنات هذا الشعب العظيم؛ كان رجلا كريما رحيما حقا بالبائسين؛ واليتامى والمعوزين، والمنكوبين؛ والمحرومين، ومصداق ذلك كله أقواله وأفعاله وتأثراته لكل ما يصيب الجزائر وأبنائها خاصة، والأمّة العربية والإسلامية وشعوبها عامة من عبودية وغُبْنٍ واستغلال؛ ومن قهر، وتسلط، وإذلال، وقد صدق الشّاعر الجاهلي العربي القائل:

لسَانُ الفَتَى نِصْفٌ؛ ونِصْفُ فُؤَادُه * فَلَم يَبْقَ إلاّ صُورَةُ اللّحمِ والدّمِ[57]

---

[55] – المصدر السابق، ص:672.

[56] – المتنبي: دراسة هامة، جورج غريب، دار الثقافة بيروت-لبنان، ط 1983، ص:121.

[57] – شرح المعلقات السبع، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، ضبطه وكتب مقدمته وتراجمه وتعليقاته محمد علي حمد الله، نشر وتوزيع المكتبة الأموية بدمشق، المطبعة التعاونية سنة 1963. د.ط/ ص: 197.

المبحث الخامس

4-5- صيغة فَعِل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التعريف بصيغة فَعِل:

عارض كثير من النحويين والصرفيين **سيبويه** الذي يعد هذه الصيغة بناء من أبنية المبالغة القياسية التي تعمل فيما بعدها.

وردُّوا بذلك بعض الأمثلة والشّواهد الشّعرية التي أوْرَدها ليستدل بها على عَمَل وانقياس صيغة " فَعِلَ" وقالوا: إنّها أمثلة مصنوعة من قبل بعض الشّعراء كما هو الشّأن في هذا البيت الذي يقول فيه:

حَذِرٌ أُمُورًا مَا تُخَافُ وآمِنٌ * مَا لَيْسَ مُنْجِيَهُ مِنَ الأَقْدَارِ.

فقد روي عن المازني أنّ اللاّحِقِيّ قال: أنّ **سيبويهِ** سأله: هل تُعَدِّي العَرَبُ فَعِلاً؟ قال: فَوَضَعْتُ له هذا البيت ونسَبْتُه إلى العرب، وأثْبَتَهُ هو في كتابه.

ومن الشواهد التي رُفِضَت في هذا الباب أيضًا ممّا استدل به **سيبويه** قول عمرو بن أحمر:

أوْ مِسْحَلٌ شَنِجٌ عِضَادَةَ سَمْحَجٍ * بِسَرَاتِهِ نَدَبٌ لَهَا وَكُلُوم.

فقد رَدُّوا هذا الشّاهد لاعتبارات عديدة منها أنّ صيغة المبالغة "شَنِجٌ عِضَادَةٌ" ليست كذلك، لأنّ صيغة "شَنِجَ" مشتقّة من فعل لازم وبالتالي لا ينصب ما بعده ومنها أنّ المعمول "عِضَادَة" المنصوب ليس باسم صحيح، وإنّما هو ظرف مكان والظرف يكفي لنصبه رائحة الفعل فقط؛ ومنها أنّ هذه الصيغة وُضِعَت للذات والهيئة التي يكون عليها الإنسان لا لأن تَجْرِيَ مُجْرى الفعل فيها كقولك: رَجُلٌ حَذِرٌ وفَرِحٌ ويَقِظٌ وفَطِنٌ؛ فهي لذلك كالطبيعة في معنى الموصوف بتلك الصفة وبالتالي هي صفة مشبهة ولا يمكن لذلك أن تُدْرَج ضمن أبنية وأوزان المبالغة لأن كلامنا منصبٌّ على صيغ المبالغة لا على الصفة المشبهة.

غير أنّ **سيبويه** ومؤيديه يرون أنّ الشّواهد التي وصلتهم من كلام العرب من الشّعر والنّثر كافية وقوية وثبتها صحيح لا يتطرق إليه الشك لإدراج هذه الصيغة ضمن أبنية المبالغة القياسية المشهورة.

وقد ذكر أبو حيّان أنّ الصيغ الخمسة السّالفة الذكر جميعها ينقاس اشتقاقها من مصدر كلّ فعل ثلاثي متعد نحو: ضَرَبَ، يجوز لك أن تقول: ضَرَّابٌ، ومِضْرَابٌ، وضَرُوبٌ، وضَرِيبٌ، وضَرِبٌ بغير استثناء صيغة "فَعِل"[1].

---

[1] المفصل م2 /ج6/ ص:71-73، أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك ج3، ص:21، النحو الوافي ج3، ص:281-288.

4-5-صيغة فَعِل:

العبارة الأولى التي وردت فيها صيغة: (فَعِل) هي: (ولَوْ أنَّ الاستِعْمَار كَانَ فَقِيهًا في سُنَنِ الله في الأمم والطّبائع لأنْصَفَ الأمَمَ مِنْ نَفْسِه فاستَرَاحَ وأرَاحَ، ولَعَلِمَ أنَّ عَيْنَ المَظْلُومِ كعَيْنِ الاستعمار، كِلْتَاهُمَا يقظة) .(عيون/5/23).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة (يقظ): اليقظة: نقيض النّوم، والفعل استيقظ، والنّعت: يَقظانُ، والتأنيث يَقضى ونسوة ورجال أيقاظ.

وقد تكرّر في الحديث ذكر اليَقظة والاستيقاظ وهو الانتباه من النّوم؛ وأيقظته من نومه أي نبّهته فتيقّظ، وهو يقظان.

ورجل يقظ ويَقُظٌ: كلاهما على النّسب أي متيقّظ حذر، والجمع أيقاظ، وأمّا **سيبويه** فقال: لا يُكسَر يَقِظ لقلة فَعُل في الصفات، وإذا قلّ بناء الشيء قلّ تصرّفه في التكسير، وإنّما أيقاظ عنده جمع يقظ لأنّ فَعِلاً في الصفات أكثر من فَعُل. والاسم: اليَقَظَة؛ قال عمر بن عبد العزيز:

ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَعِيشُ شَقِيًّا * جيفَةَ اللّيلِ غَافِلِ اليَقَظَهْ
فإذَا كَانَ ذَا حَيَاءٍ ودِينٍ * رَاقَبَ الله واتَّقَى الحَفَظَهْ
إنَّمَا النَّاس سَائِرٌ ومُقِيمٌ * والذي سَارَ لِلْمُقِيمِ عِظَهْ[2].

ابن السّكيت في باب فَعُلَ وفَعِلَ: رجل يَقَظٌ ويَقِظٌ إذا كان كثير التيقظ؛ فيه معرفة وفِطنة، ومثله عَجُل وعَجِل وطَمُع وطَمِع وفَطُن وفَطِن[3].

ورجل يَقظان كيَقِظٍ، والأنثى يَقْظَى، والجمع يَقَاظٌ، وتيقّظ فلان للأمر إذا تنبّه، وقد يَقّظته. ويقال: يَقِظَ فلان يَقِظُ يَقَظًا ويقظة، فهو يقظان.

اللّيثُ: يقال للذي يثير التراب قد يقّظه وأيقظه إذا فرّقه واستيقظ الخلْخال والحلْي: صوّت كما يقال: نَلم الخلخال إذا انقطع صوته من امتلاء السّاق، قال طُرَيْحٌ:

نَامَتْ خَلاَخِلُهَا وَجَالَ وِشَاحُهَا * وجَرَى الوِشَاحُ عَلَى كَثِيبٍ أَهْيَلِ
فاستَيْقَظَتْ مِنْه قَلاَئِدُهَا التِي * عُقِدَتْ عَلَى جِيدِ الغَزَالِ الأَكْحَلِ.

ويَقَظة ويَقْظَان: اسمان.

ويَقَظَة اسم رجل وهو أبو مخزوم يَقَظَة بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فَهْر، قال الشّاعر في يقظة أبي مخزوم:[4]

جَاءَتْ قُرَيْشٌ تَعُودُني زُمَرًا * وقَدْ وَعَى أجْرَهَا لَهَا الحَفَظَه
ولَمْ يَعُدْنِي سَهْمٌ ولاَ جُمَحٌ * وعَادَنِي الغِرُّ مِنْ بَنِي يَقَظَه
لاَ يَبْرَحُ العِزُّ فِيهِم أَبَدًا، * حتَّى تَزُولَ الجِبَالُ مِنْ قَرَظَه[5].

---

[2] – اللسان مادة (ي ق ظ) ج15، ص:453-454.

[3] – إصلاح المنطق لابن السّكيت ج1، ص:99.

[4] – تفسير التحرير والتنوير ج15، ص:280.

[5]– اللسان مادة(ي ق ظ)، ج15، ص: 454.

ومن المجاز: رَجل يقظَانُ الفِكْر ومتيقّظ ويَقِظ ويَقُظ.

وهو يستيقظُ إلى صوته. قال الفرزدق:

يستَيقِظُون إلَى نُهَـاقِ حَمِيرِهِـمْ * وتَنَـامُ أعيُنُـهُمْ عَـنِ الأوتَـارِ

وأيقَظَ التراب ويقَّظَه: أثاره. وقال الحماسيّ:

إذَا نَحْنُ سِرْنا بَيْنَ شَرْقٍ ومَغْرِب * تَحَـرَّكَ يَقْظَـانُ التُّـرابِ ونَائمُـه[6].

معنى الصيغة كما وردت في سياق النّص:(ولَوْ أنَّ الاستِعْمَار كَانَ فَقِيهًا في سُنَنِ الله في الأمم و الطّبائع لأنْصَفَ الأمَمَ مِنْ نَفْسِه فاستَرَاحَ وأرَاحَ، ولَعَلِـمَ أنَّ عَيْـنَ المَظْلُـومِ كعَيْـنِ الاسـتعمار، كِلْتَاهُمَـا يقظـة) .(عيون/5/23).

عند تتبّعنا معاني كلمة (يقظ) ومشتقاتها في المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية الأساسية المختلفة نجدها في الغالب تدور حول معاني التنبّه من النّوم، والغفلة إلى التفطّن إلى أمرٍ هامّ بعد سَهْوٍ، أو غفلة، أو ذهول.

ويأتي الإيقاظ بمعنى الإثارة في المجاز في النحو: أيْقَظْتُ الغُبَار إذا أثرتُه؛ وبمعنى تفـريق الشـيء في نحو: أيقظ التُّراب: إذا فرّقَهُ.

وبمعنى التصويت في نحو: استيقظَ الخَلْخَال والحَلْيُ أي صوّتَ. وأمَّا الصّيغة التي وردت فيها الكلمـة في النّص فهي: يَقِظَة على وزْنِ فَعِلَة وهو مثال من أمثلة المبالغة الذي يدلّ على كثرة التّيقظ الذي فيه معرفـة، وفطْنة، وشدّة انتباه فيه قوّة حذَر، وحيطة، وسابق استعداد لأمر طارئ مفاجئ متوقع الحدوث في أيـة لحظـة تمر بالأمّة الجزائرية التي يجثم عليها كابوس الاستعمار الغادر.

وتبدو هذه اليقظة الدّائمة الواعية بِخُطط الاستعمار عند الأمّة الجزائرية في عدّة أمور منـها: أن هـذا الاستعمار الوافد جاء كما تجيء الأمراض الوافدة تحمل الموت وأسباب الموت.

وأوّل ما استهدفه في مشروعه، ومخطّطاته التوسّعية البعيدة المرامي هو هذه المقوّمـات الشّـخصية الرّاسخة الأصول؛ النّامية الفروع. وهو لم يهجُم عليها ليقتلعها من جذورها بصورة علانيـة مكشـوفة إنّمـا استخدم لمحوها أسلوب الدّهاء، والمكر، والدّس؛ فتعهّد في الظّاهر باحترامها والمحافظة عليها كما قطعَ قادتُـه وأئمّته العُهُود على أنفسهم وعلى دولتهم لَيَكُنَّ الحامين للمَوْجُود المشهود من عقائد ومعابد وعوائـد. لكنّـهم عَمِلُوا في الباطن على محْوها بطريقة تدريجية لئلاّ تَتَنَبّه الأمّة إلى هذا الفعل الماكر الشّنيع.

وتبدو يقظة أبناء هذا الوطن من المثقفين المناضلين الأحرار في التفطن إلى أنّ الاستعمار يعمـل في الخفاء جاهدا لتنحية الأحكام الإسلامية واستبدالها بقوانين وضعية من عنده تتـلاءم ومصالحـه وأهدافـه المبيّتة؛ وأنّه يعبث بحرمة المعابد؛ ويقيم الكنائس في المدن والقرى الجزائرية؛ وأنّه يحـارب الإيمـان بنشـر الإلحاد، ويمحو الفضائل بحماية الرّذائل ورعايتها، ويسخّر الأموال الطّائلة لأجل نموها ونشرها هنـا وهنـاك في ربوع البلاد الطّاهرة المحتشمة كفتحه الحانات للشباب ليتعاطى فيه شرب الخمور، وإنشاء بيوت الدّعـارة والزّنى، المتوفرة على اللّهو، والمجون، والرّقص بالغانيات المختلفة الجنسيات، وغير ذلك من أنواع الرّذائـل التي يهدم بها أسس المجتمع الجزائري النظيف.

---

[6] – أساس البلاغة ج2، ص: 563.

كما تبدو يقظة هذه الأمّة أيضًا في تنبّهها إلى شبح الأمية الذي أخذ يستفحل، ويسود رُبُوع هذا الوطن العزيز المُفدّى بعمل الاستعمار الدّائب على سيادة ظلام الجهل، وإبعاد المواطن الجزائري عن نور العلم.

لأنّ الاستدمار متيقّن بأن الجهل يفعل بصاحبه ما يفعل العدوّ بعدوه ومن ثمّ فالاستعمار والجهل صديقان حميمان، وعدوّان لذوذان يتعاونان على تكسير إرادة التحرر لدى الشّعوب المتطلّعة إلى الحرية والأمن والبناء.

فالمواطن الجاهل يضرُّ نفسه قبل أن يضرّ غيره دون أن يدري ثمّ بعد ذلك يُؤْذي كلّ من يلقاه في طريقه؛ ولا ينجو من بطشه أحد بما في ذلك أفراد عائلته، وأقاربه، وأبناء وطنه. ويحضرني في هذا المقام نصّ قصير لابن المقفّع يتحدث فيه عن الشّخص الجاهل الذي يبلغ أمدًا بعيدًا من الأقارب والأصهار والجيران والأصدقاء وغيرهم يقول ابن المقفع في هذا النّص: (لاَ يُؤْمِنَنَّك[7] شرّ الجاهل قَرَابَةٌ، ولا جِوَارٌ، ولا إلْفٌ[8]، فإنّ أخْوَفَ ما يَكونُ لحَريقِ النّار أقربُ ما يَكُونُ مِنْهَا إنْ جَاوَرَكَ أنْصَبَكَ[9]، وإنْ نَاسَبَك جَنَى عَلَيْكَ، وإنْ أَلِفَك حَمَلَ عَلَيْكَ مَالاَ تُطِيقُ، وإنْ عَاشَرَكَ آذَاكَ. وأخَافَك، مَعَ أنّهُ عِنْدَ الجُوعِ سَبُعٌ ضَارٍ، وعِنْدَ الشّبَعِ مَلِكٌ فَظٌّ[10]، وعِنْدَ الموافقَة في الدّين قَائدٌ إلى جهنّم، فأنْتَ بالهَرَبِ مِنْهُ أحقُّ بالهَرَبِ من سمّ الأساوِدِ[11] والحريقِ المَخُوفِ، والدَّيْنِ الفَادِحِ[12]، والدّاء، العياء)[13][14]

وعين (الاستعمار) كذلك يَقِظَةٌ تعرف جيدا آثار الجهل على الفرد والجماعة؛ وتدرك أيضًا جيدًا أنّ الأمّية سلاح فتاك يفوق فتْكُه أسلحة الدّمار الحديثة التي لها قدرة الإتيان على الأخضر واليابس، لذلك يرْصد لها الاستعمار أموالاً معتبرة، ويلبس لكل حالة لبوسها فينشر التعليم الفرنسي بفتح المدارس الفرنسية؛ واستجلاب المعلمين ليكونوا خير عوْنٍ للجنديّ الفرنسي المرتزق في الثكنة، والمعركة.؟ هؤلاء المعلمون يُخَرّبون عقول الناشئة الجزائرية بزرع أفكار غريبة، وتعليم لغة أجنبية تحمل ما تحمل من عقائد وعوائد، وتاريخ؛ وأمجاد رومانية صليبية إلحادية تكون آثارها معاداة أبناء الجزائر المسلمة للغتهم وتاريخهم ودينهم وعاداتهم وتقاليد أجدادهم، وفضائلهم الإسلامية الخالدة على مرّ الزّمان، وتعاقب الأجيال.

أمّا الجندي فهو الذي يقوم بدور التأديب؛ والتمشيط؛ والترهيب؛ وسلخ جلد المواطن الجزائريّ الحر الذي تسوّل له نفسه بالاحتجاج على فرنسا؛ أو توسوس له بالخروج عن النّهج المرسوم له؛ وكأنّي بفرنسا تقول بلسان الحال للمواطن الجزائري: قد جئتك بدستور جديد مفاده: (وأنّ هذا طريقي مستقيما فاتبعوه أيها الجزائريون جميعا فمن انحرف عنه فمأواه جهنّم وبئس المصير)؟ ومهما يكن من أمر فإن عين الشّعب الجزائري –دائما– يَقِظَة لِمَا تُنْسِجُه أصابع الاستعمار الملطخة بدماء الأبرياء؛ المتلذذة بالآثام والجرائم هي

---

[7] – لا يُؤْمِنَنّك: لا يُنَجّيك.

[8] – إلْفٌ: صداقة وصحبة.

[9] – أنصبك: أتْعبك.

[10] – فظّ: غليظ، قاس.

[11] – الأساود: جمع مفرده أسود وهو نوع من الحيّات خبيث جدًا.

[12] – الفادح: الثقيل؛ المرهق.

[13] – العياء: الذي لا يرجى شفاؤه.

[14] – الأدب الكبير والأدب الصغير؛ أبو محمد عبد الله المعروف بابن المقفع / دار الجيل– بيروت–لبنان، ص: 167–177.

وقادتها؛ وأئمتها، ووُعَّاظها، ومشعوذو السياسة في الظلام الحالك من عزْم على القضاء على اللغة العربية، والبيان العربي؛ لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة المطَهرة، لغة الوحي الخالد، والقيم الأخلاقية السلمية الثَّابتة، والشّريعة اليسيرة السمحة.

إنَّ الإدارة الفرنسية الاستعمارية تُصِرُّ على استبدال اللغة العربية في جزائر الأحرار بهذه البلبلة، والعُجمة، والرطانة التي لا ينسجم معها تعبير؛ ولا يستقيم بها بيان؛ ولا تعبر عن روح الأمّة ووُجْدانها، ولا تاريخها، ولا أمجادها، ولا فضائلها العربية الإسلامية الضاربة في عمق التاريخ الإنساني الطّويل؛ وكذا لا تعبر عن عوائدها، ولا دينها، ولا ضميرها الحيّ الرّافض لكل أنواع الظلم والاستغلال للأمم، والشّعوب والجماعات الإنسانية على اختلاف جنسها وعِرقها، ولا تعبّر عن شعورها الفيّاض بالرّحمة، والحب، والأخوة والإنصاف، والعدالة الذي يختلف جملة وتفصيلا عن ضمير فرنسا الماديّة الإلحادية المتشبّع بالقسوة والوقاحة، والخبث، والمكر، والدهاء، والأنانية، والغدر والخيانة، والولوع بسفك دماء الأبرياء المستضعفين وإعدام الثّوار الأحرار إعداما جماعيا في الجزائر الحرة الأبية.

وإنّ ضمير هذه الأمّة يَقِظ متنبّه متصدّ، وصامدٌ يرقب –عن كثب– كلّ التحركات؛ ويُحصي على فرنسا المُحِبَّة للدّمار، والخراب، والأنهار الجارية من الدّماء كلّ الطرق والأساليب الجهنّمية التي تصطنعها ولا سيما عندما تُحْرَج بالاحتجاجات عن المعاملات التي يُعامل بها الإسلام في داره وتعامل بها العربية في موْطنها وكذلك حينما تَسْأل عن أسباب العبث بحرمة المساجد، وأوقافها؛ والأحكام الإسلامية وعدم العمل بها إلى آخر القائمة.

فإذَا أُحْرِجَت الإدارة الفرنسية بهذه المطالب، والتظلمات والبيانات خلال الاجتماعات العامة بالجزائر أو في باريس لجأت إلى استعمال أساليب التحايل والكيد، والمكر، والخداع. الذي يبدو أول ما يبدو في المماطلة حينًا، والسّكوت، والتهميش، والتعمية، والتظاهر بالانشغال بقضايا أخرى، والعمل على تضخيمها لتجعلها مسائل جوهرية حسّاسة تشغل بها الرأي العام الجزائريّ حينًا آخر. وهيهات هيهات أن ينشغل الشّعب الجزائري عن مطالبه الحقيقية الجوهرية الحسّاسة لأنها تعتبر النّفس الذي يتنفّسه، والجوّ الذي يمرح فيه، والماء الذي يشربه، والتّراب الأسود والرّمل الأصفر الذي يُوسّده، والفضاء الذي يحلّق فيه والأصوات التي يُعبّر بها عن أفكاره ومشاعره، ويُخَاطبُ بها ربّه، ويتصل بواسطتها بأبناء جِلْدَتِه وأبنائه وأحفاده، ويُحْيي بها عادته، وتقاليده، وأعرافه التي يستمر بها وُجُوده.

من أجل هذا الوُجُود الجزائريّ المتميّز الفريد قرّر الشّعب أن يدفع الثّمن غاليا؛ وعقد العزم أن تحيا الجزائر عزيزة مكرّمة مهما كانت التضحيات فداء للوطن، وتحريرًا للأرض المُغتصبة، هذه الأرض التي روّت تربتها دماء مليون ونصف مليون شهيد من الرّجال الذي صدقوا الله ما عهدوا، وما بدّلوا حتّى ظفروا بالشهادة التي بها لقوا ربّهم هاتفين به: الله أكبر ...الله أكبر ...

العبارة الثانية التي وردت فيها صيغة (فعل): هي: (وإن الأمة أصبحت يقظة حذرة من هذه المناورات متفطنة لمراميها، لا تؤخذ في دينها بالخدع). (عيون/7/29).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة (حذر): الحذر والحذر: الخيفة حذره يحذره حذرا وحتذره، الأخيرة عن ابن الأعرابي، وأنشد:

قلت لقوم خرجوا هذاليل[15] * احتذروا لا يلقكم طماليل [16]

ورجل حذر وحذر وحاذورة وحذريان: متيقظ شديد الحذر والفزع، متحرز، وحاذر: متأهب معد كأنه يحذر أن يفاجأ، والجمع حذرون وحذارى.

الجوهري: الحذر والحذر: التحرز، وأنشد **سيبويه** في تعديه.

حذر أمورا لا تخاف، وآمن * ما ليس منجيه من الأقدار.

وهذا نادر لأن النعت إذا جاء على فعل لا يتعدى إلى مفعول.

والتحذير: التخويف، والحذار: المحاذرة.

وفي التنزيل: (وإنا لجميع حاذرون)[17] وقرئ حذرون و حذرون أيضا بضم الذال، حكاه الأخفش، ومعنى حاذرون متأهبون، ومعنى حذرون خائفون، وقيل: معنى حذرون معدون.

" والحادر بالدال غير المعجمة: السمين القوي. قال:

أحب الصبي السوء من أجل أمه * وابغضه من بغضها وهو حاذر

الحادر: القوي الشديد أو الشجاع الباسل، أي إن مدار حب الولد على حب أمه، لا على حسن أوصافه وضمير "أبغضه" عائد على الصبي بدون وصفه، لكن هذه شيمة المنهمك في حب النساء.

وتقول: حذار يا فلان أي أحذر؛ وأنشد لأبي النجم:

حذار من أرماحنا حذار ! * أو تجعلوا دونكم وبار

ويقال: حذار مثل قطام أي احذر، وقد جاء في الشعر حذار،

وأنشد اللحياني:

حذار حذار من فوارس دارم، * أبا خالد !من قبل أن تتندما

فنون الأخيرة ولم يكن ينبغي له ذلك غير أن الشاعر أراد أن يتم به الجزء.

وحكى اللحياني: حذارك، بكسر الراء، وحذرى صيغة مبنية من الحذر وهي اسم حكاها **سيبويه**.

وأبو حذر: كنية الحرباء.

والحذرية والحذرياء: الأرض الخشنة.

واحذأر الرجل: غضب فاحرنفش وتقبض. والإحذار: الإنذار.

والحذاريات: المنذورون، ونفش الديك حذريته أي عفريته[18].

---

[15] – هذاليل: جمع مفرده هذلول: وهي السرعة والخفة.

[16] – طماليل: اللص الفاسق.

[17] – سورة الشعراء، الآية: 56.

[18] – اللسان مادة (ح ذ ر)، ج3، ص: 92.

وأبو مَحْذُورَة: مؤذن النّبي صلّى الله عليه وسلّم، وهو أوْسُ بن مِعْيَر. أحَدُ بَنِي جُمَحٍ، وابن حُـــذَار: حَكَـــمُ بن أَسَدٍ، وهو أحد بَنِي سَعْدِ بن ثعلبة بن ذودان يقول في الأعشى:

وإذَا طَلَبْتَ المَجْدَ أيْنَ محلُّهُ، * فاعْمِدْ لِبَيْتِ رَبِيعَةَ بَنْ حُذار

قال الأزهري: وحذار اسم أبي ربيعة بن حُذَار قاضي العرب في الجاهلية وهو من بني أسد بـــن خُزَيْمَـــة[19] وصبّحتهم المَحْذُورة، وهي الخيل المُغيرة أو الصّيحة. قال الأعشى:

قَوْمٌ بُيُوتُهُم أمْـــنٌ لِجَارِهِـــم * يَوْمًا إذَا ضَمَّتِ المحْذُورَةَ الفَزَعَا.

و المحْذُورَة: الفزع والدّاهية التي تُحْذَرُ والحربُ[20]".

معنى الصّيغة كما وردت في سياق النّص: (وإنَّ الأمّة أصبَحَتْ يَقِظَةً حذرةً من هذه المُنَاوَرَاتِ مُتَفطّنة لمراميها، لا تؤْخَذ في دينها بالخِدَع). (عيون/7/29).

وزبدة القول التي نستخلصها في هذا الموضع من خلال تقصّينا لمعاني مادة (ح ذ ر) واشتقاقها المختلفة في المعاجم والقواميس اللغوية المحيطة؛ وكذا المصادر الأدبية المعتمدة؛ تبيّن لنا أنّها لم تخـــرج في الغالب عن معاني الخوف، والتيقظ؛ والتحرّز؛ وأخذ الأهبة والاستعداد وكلّها -كمـــا تـــرى- ألفـــاظ ذات دلالات متقاربة.

ويندر أن تخرج الكلمة عن هذه الدلالات إلا في بعض الأعلام الأسماء والأعلام، واشتقاقات الفعـــل؛ مثل أبو حَذَر: كُنية عن الحِرْبَاء، والحِذْرِيّة والحِذْرِيَّاء: الأرض الخشنة، وأبو مَحْذُورَة: مؤذن النبي صلـــى الله عليه وسلّم؛ واحذأرَّ الرّجل: غضبَ فاحْرَنْفش وتقبّض. وبالعودة إلى النّص الـــذي وردت فيـــه اللّفظـــــة؛ وبتأملنا في الشّكل الذي وُضعتْ فيه وهو: (حذِرَة) يمكن أن نَخْلص إلى القول إنّه بناء مـــن أبنيـــة المبالغـــة على زنة (فَعِلَة) والتاء للتأنيث في آخر الكلمة وهي خبر منصوب للفعل أصبَحَتْ.

قال الأزهري: وحِذْرِيَانُ وحَذِرٌ وحَذَرٌ والجمع حَذِرُونَ وحَذَارَى أي متيقظ شديد الحَذَر.

ودليل هذا أيضًا قوله جلّ شأنه: ((وإنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُون)[21].

"وهذا حثّ من فرعون لأهل المدائن على أن يكونوا حذرين على أبلغ وجه إذ جعل نفســـه مـــعهم في ذلك بقوله: (لَجَمِيعٌ) وذلك عن وجوب الاقتداء به في سياسة المملكة؛ أي إنَّ كُلُّنا حَذِرُونَ، ف(جميع) وقـــع في مبتدأ وخبره (حَذِرُونَ)؛ والجملة خبر (إنَّ)، وجميع بمعنى (كلّ) كقوله تعالى : (إلَيْه مَرْجِعُكُـــمْ جَمِيعًـــا) في سورة يونس و(حذِرُونَ) قرأه الجمهور بدون ألفٍ بعد الحَاء فهو جمع حَذِرٍ وهو من أمثلة المبالغـــة عنـــد سيبويه والمُحققين وقرأه حمزة وعاصم والكسائي وابن ذكوان عن ابن عامر وخلفٍ بألفٍ بعد الحـــاء جمـــع (حاذِر) بصيغة اسم الفاعل.

والمعنى أنّ الحذر من شيمة فرعون وعادته فكذلك يجب أن تكون الأمّـــة معـــه في ذلـــك، أي إنّـــا من عادتنا التيقظ للحوادث والحذَرُ مما عسى أن يكون لها من سيئ العواقب[22].

---

[19] – المصدر السّابق مادة (ح ذ ر) ج3، ص:92-93.

[20] – القاموس المحيط مادة (ح ذ ر) م2، ص:6، أساس البلاغة ج2، ص:161.

[21] – سورة الشّعراء، الآية: 56.

[22] – تفسير التحرير والتنوير، ج19، ص: 131.

وهذا أصل عظيم من أصول السياسة وهو سدّ ذرائع الفساد. لذلك يقول علماء الشريعة: إنّ نظرَ وُلاة الأمور في مصالح الأمّة أوسع من نظر القُضاة، فالحذر أوسع من حفظ الحقوق وهو خوف من وقوع شيء ضار يُمْكن وقوعه، والتّرصّد لمنع وُقوعه..."[23].

وحينما نعود إلى النّص لنتقصّى المعاني والمرامي البعيدة التي وُظِّفت لها صيغة المبالغة (حذرة) الواردة في قول الكاتب: (وإنّ الأمّة أصبحتْ حَذِرَة من هذه المناورات) لنقول: وأيّة مناورات هذه التي تتطلّب غاية الحذر، ومنتهى التيقظ، والترصّد الشديد للحيْلولة دون وقوع شيء فيه أذى كثير، وضرر يُحتمل وقوعه في أية لحظة من قبل الأعداء والخونة لهذا الشّعب الذي فرض عليه الحذر فرضًا، كما فرضت عليه اليقظة الدّائمة ليْلا ونهارًا لأنّ أي غفلة أو أي نوم سيكلّفه ثمنًا غاليًا لا يقدّر بأية تضحيات ولا ندم؛ وهذا بسبب مناورات الحكومة الجزائرية الفرنسية التي تستعمل مع الشّعب القوّة تارة؛ وتلجأ إلى الحيلة والمكر والخديعة تارة أخرى وهذا كلّه تفعله فرنسا الإنسانية والعدالة والسّلام والأخوّة لأجل تضييق الخناق على التعليم العربي في الجزائر، وقتْلِه...، ويمكن الآن أن نطرح هذا السّؤال على أنفسنا لنقول: لماذا يُستهدف التعليم العربيّ والعربية بالذات؟

إنّ الإدارة الفرنسية الحكومية تفعل ذلك لأغراض ومرامي تدركها فرنسا تمام الإدراك؛ كما بَاتَ يدركها كل جزائري غيور على وطنه ومقوّماته الأساسية الجوهرية الثابتة.

فالتعليم العربيّ يعني الثقافة العربية، ويعني التاريخ العربي الإسلامي العريق المجيد، ويعني كذلك الجنس العربي، ويعني أيضًا الفنون، والعوائد، والقيم، والفضائل، والتقاليد والأعراف العربية الأصيلة المتجدرة في أعماق الأمّة الجزائرية، والدّين الإسلامي الحنيف الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم مبشّرًا ونذيرًا؛ وداعيا إلى الله، وسراجًا منيرًا. والذي تنوي الحكومة الجزائرية الفرنسية نية جازمة القضاء عليه جملة وتفصيلا في الجزائر الحرة العربية المسلمة.

وأمّا العربية فهي لغة الدّين الإسلامي الرّسمية في الجزائر، بها نزل القرآن الكريم؛ وبالتالي فهي لغة الوحي السّماوي، وبها يُتلى، ويُفهم، ويُفسّر، وتُستنبط الأحكام الشّرعية، والتعبدية، والأخلاقية، وأحكام المعاملات الأسرية والاجتماعية والدّولية، وبها يُحفظ وينتقل من جيل إلى جيل إلى أبد الآبدين.

لأجل ذلك كله قال (الاستعمار): يجب أن تحارب العربية في الجزائر -ولأمد طويل حتّى بعد الاستقلال- باعتبارها لغة أجنبية فيها، والعمل على تعويضها بلهجات محلية أو لغات أجنبية أعجمية ليست لها أية علاقة بالقرآن والدّين الإسلامي -تماما كما فعل الاستعمار الإنجليزي في تركيا المسلمة- لتتغير نظرة الفرد الجزائري مستقبلا إلى الكون والحياة والإنسان وبذلك نصل به إلى هدفنا المنشود... إلى الإلحاد، والمسخ، والتشويه؛ وإلى المادية الصّليبية التي يُصبح فيها الإنسان الجزائري عبارة عن غرائز وشهوات، ونزوات لا فرق بينه وبين البهائم والقردة والخنازير والكلاب؟ لتصبح الجزائر بعد ذلك قطعة وجزءًا لا يتجزأ من فرنسا وقد ردّ العلاّمة ابن باديس -رحمه الله- على هذه الأماني الواهية من فرنسا التي جاءت لتُحضّر أبناء الجزائر قائلا:

---

[23] - المصدر السابق ج19، ص:132.

(... ثمّ إنّ هذه الأمّة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت بل هي بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها، وفي أخلاقها، وفي عنصرها وفي دينها لا تريد أن تندمج ولها وطن محدود معيّن، هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة والذي يُشرف على إدارته العُليا الوالي العام المعيّن من قبل الدّولة الفرنسية)[24].

فالأمّة الجزائرية المسلمة يجب أن تكون كيّسة فطنة أكثر من أي وقت مضى لأنّ فرنسا شيطان خنّاس دائم التيقظ، ويتميز بسرعة الحركة والتنقّل والطيران من مضمار إلى مضمار. ومن تفوقها في الدّهاء والمكر أنّها لا ترسل إلينا إلا الشّياطين الذين يمتازون بالحُنْكَةِ والتّجْرِبَة في الميدان مثلما أرسلت (الشوطانيّ)[25] الذي خرج على الأمّة الجزائرية بذلك القرار الشّيطاني ليضرب به الصحافة العربية التي اعتبرها لغة أجنبية في وطنها- يقصد اللغة العربية-.

وهاهي النوادي الإسلامية التي تأوي إليها طائفة من شباب الأمّة لا تجد الجمعية وسيلة لتبليغه دعوة الدّين والعلم إلا في تلك النوادي... تُستهدف بالدّاهية النكراء، والطّامة العشواء، والقرارات الغريبة التي تمنع المشروبات المباحة في النوادي وهي حلقة من السلسلة الموضوعة لتطويق التعليم العربي وإفقار النوادي من روّادها، حتّى لا يبقى هناك شيء يجذبهم إليها، ويحببهم فيها، لتجد هذه النوادي نفسها في نهاية الأمر في عجز مادي بجعلها تستسلم تلقائيا للأمر الواقع ... المعاناة، واليأس، والغلق، ومن ثمّ يتوقف التعليم والثقافة بها، ونسيانها إلى الأبد؟

هذه قصّة قصيرة جدًا من قصّة طويلة عريضة متشعبة متفرّعة للإدارة الجزائرية الفرنسية مع اللغة العربية، والنّوادي الإسلامية في الجزائر الصّامدة الصّلبة.

وللحكومة الفرنسية قصّة أخرى مع الدّين الإسلاميّ، والمساجد، وأوقافها أقلّ ما يقال فيها: إنّها تعمل ليلا نهارا، وتدبّر الحيل والمكائد في الظلام للهيمنة الشّاملة على الدّين الإسلامي؛ والسيطرة على المساجد، والاستيلاء على الأوقاف التي تنتعش منها المساجد، ويحصّل منها أيضًا القائمون على خدمتها وصيانتها أجورهم المتواضعة والتي لا تكاد تسد رمق جوع ولا تطفئ ظمأ عطشان.

إنّ الأمّة الجزائرية المسلمة يتطلب منها أن تكون أكثر يقظة، وأشدّ تحرّزًا، وأدقّ ترصّد أكثر من أي وقت مضى لأنّ فرنسا الاستعمارية مصمّمة من جانبها أيضًا أكثر من أيّ وقت مضى على ابتلاع أوقاف المسلمين في الجزائر، والاستحواذ على مساجدهم لتحوّلها إلى كنائس، ومتاحف، ومستودعات، وقاعات لمختلف الرّياضات، وإسطبلات، وديار للدّعارة والزّنى ! ! !؟

وقد شرّع في تنفيذ هذا القرار بالاستيلاء على العديد منها وفرنسا لا تدخر أي جهد، ولا تتحرّج إذا ما وقع أي احتجاج من الأمّة الجزائرية، أو سئلت في ذلك؛ من اللجوء إلى المناورات واستخدام التحايل، وضرب المكائد، وأساليب المخادعة والمكر، وسياسة خلط الأوراق بالعمد إلى الإكثار من تأسيس الجمعيات الدّينية

---

[24] – مجلة الشّهاب لعبد الحميد ابن باديس ج1، م12، ص: 45؛ 5 محرّم سنة 1355هـ الموافق لأبريل 1936م.

[25] – شوطان أحد رؤساء الوزارات الفرنسية وهو أحد أقطاب الاستعمار وهو الذي أصدر قانونا بمرسوم يصرّح باعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر.

من الموظفين الرّسميين والأشخاص الحكوميين، الذين لا تثق بهم الأمّة، ولا تطمئن إليهم –البتة– لا في دينها ولا في دنياها.

تفعل الإدارة الفرنسية ذلك لكي يختلط الحابل بالنابل، ويلتبس الحقّ بالباطل، وتضيع المطالب الحقيقية الجوهرية وسط المطالب الهامشية المفتعلة التي يصطنعها الاستعمار وعملاؤه، وأعوانه من الموظّفين الرّسميين وشبه الرّسميين والأشخاص الحكوميين بإيعاز من الحكومة التي تدق جرس الإنذار، وتعلن حالة الطوارئ ويؤذن لهذه الجمعيات والهيئات الدّينية للدّخول في خلافات مُصْطنعة محبوكة ومبيّتة حول مسائل جدّ تافهة، وسخافات مقصودة يترفّع عنها حتّى الصّبيان الصّغار لتغدو هنا ذات أهمية، وذات شأن يشتد حولها الجدال وتحتدم حولها الخصومات ويصل الصّراع إلى أوجّه.

وتكون النتيجة جعجعة ولا طحين، ومخاضًا كبيرا لولادة فأر صغير ! ! ! وقد يتساءل المرء في نهاية المطاف عن سبب هذه المعارك المحتدمة هنا وهناك في مختلف أنحاء الوطن؛ وهذه الأصوات المتعالية من هذه الجمعيات فلا يستطيع أن يخرج بشيء ذي بال.

إنّ هذه الأوضاع الدرامية التي تعيشها البلاد، وهذه المسرحيات التي تؤلفها الحكومة، وتكل أمر تمثيلها إلى أشخاص معروفين دربّتهم، وخبرتهم، وظفروا بثقتها جعلت الأمّة الجزائرية المسلمة تعيش مزيدا من الحذر، والتيقظ، والترصّد؛ ومشاهدة كل تمثيلية بتركيز وإمعان ومن ثمّ دراستها، وتحليلها، والتعمّق في جوانبها وأبعادها المختلفة لأنّ الأمّة باتت كما يقول الإبراهيمي: (لا تثق بشيء مما تمسُّهُ يدُ الحكومة من كلّ ماله علاقة بالدّين، ولا سبب لسُوء الظن بالحكومة، وارتفاع الثقة بها إلاّ الحكومة نفسها، سياستها الدينية المضطربة وتدخلها فيما لا يَعنيها من شؤون الدّين، وإصرارها على العناد في الحقّ، وتحدّيها لشعور الأمّة، باختيارها من الحلول أبعدها عن رضا الأمّة، وفي الأخير بفرضها على الأمّة طائفة لا تبالي بمصلحة الأمّة كأن الأمّة بعلمائها وعُقلائها ودهمائها كلّها سفيهة، ولا رشيد إلاّ هذه الفئة من المُرتَزِقَة الانتفاعيين)[26].

وكأنني بالأمّة الجزائرية المسلمة تتكلّم بلسان نبيها محمد صلّى الله عليه وسلّم حين يحذر أمته من الوقوع في الفخ بقوله: (لاَ يُلْدَغ المُؤْمِن مِنْ جُحْرٍ مرتَيْنِ). لترفع شعارها مع العدوّ : أنزعوا تفتكم بالكفرة الفجرة الماكرين المخادعين إنّهم لا عهد لهم ؛ ولا أمان؛ ولا أيْمَان؛ ولا اطمئنان ومن يتولّهم فإنّه منهم وهو بالتالي يُعامل بمثل ما يُعامَلون به من قبل الأمّة؟

العبارة الثالثة التي وردت فيها صيغة: (فَعِل) هي: (فإنّنا نتَنَازَل مُخْلصينَ فَرِحِينَ لِكُلِّ جَمَاعَةٍ حرة من إخواننا المسلمين) .(عيون/4/149).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة (فرح): الفرح: نقيض الحزن؛ فرحَ فرحًا، ورجلٌ فَرِحٌ وفَرَحٌ ومفروح، عن ابن جِنّيّ، وفرْحَانُ من قومٍ فَرَاحَى وفَرْحَى وامرأة فَرِحَة وفَرْحَى وفرْحَانَة؛ قال ابن سيده: ولا أحقّهُ.

والمفراحُ الذي يَفْرَحُ كُلَّمَا سرّه الدّهر، وهو الكثيرُ الفرَح، وقد أفْرَحَه وفرّحه[27].

---

[26] – عيون البصائر ص: 29.

[27] – اللسان مادة(ف ر ح)، ج10، ص: 211.

والفُرْحَة والفَرْحة: المسرّة؛ وفَرِحَ به: سُرَّ.

وأفرَحه الشيء والدَّيْنُ أثقَله، والمُفْرِحُ: المثقَلُ بالدَّيْنِ وأنشد أبو عبيدة لبَيْهَس العُذَرِيّ:

إذَا أنْتَ أكْثَرْتَ الأخِلاَّء صَادَفَتْ * بِهِمْ حَاجَةً بَعْضَ الذي أنْتَ مَانِعُ

إذَا أنْتَ لَمْ تَبْرَحْ تُؤَدِّي أمَانَـــةً * وتَحْمِلُ أُخْرَى، أفْرَحَتْكَ الوَدَائِعُ.

ورجُل مُفرَح: مُحتَاج مَغلوب، وقيل: فقير لا مال له.

وفي الحديث أنّ النبي صلى الله عليه وسلّم قال: (لاَ يُتْرَكُ في الإسْلاَمِ مُفْرَحٌ)

قال أبو عبيد: المُفْرَحُ الذي أفْرَحه الدَّيْن والغُرْمُ أي أثقله ولا يجد قضاءه.

ورُوِيَ عن الأصمعيّ: يُقال ما يسُرُّني به مُفْرَحٌ ولا يجوز مَفْروح،

قال: وهذا عنده ممّا تَلْحَنُ فيه العامّة.

والتفريح مثل الإفراح. قال ابن الأثير: وأفْرَحه إذَا غمَّه، وحقيقته أزلتُ عنه الفَرَح كأشْكَيْتُه إذا أزلْتَ شكواه، والمثقل بالحُقُوقِ مَغْمُومٌ مكروب إلى أن يخْرُج عنها.

وروى ابن الأعرابي: أفْرَحَني الشيء سرّني وغمّني.

والفُرحانَة: الكمْأة البيضاء، عن كراع، قال ابن سيده: روَيْناه قَرْحان، بالقاف، والمُفرّحُ: دواءٌ معروف[28].

معنى الصيغة كما وردت في سياق النّص: (فإنّنا نتَنَازَل مُخْلصينَ فَرِحِينَ لْكُلِّ جَمَاعَةٍ حرة من إخواننا المسلمين) .(عيون/4/149).

عند تتبعنا لمعنى كلمة (فرح) في المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية المُعتمدة لاحظنا أنّ للكلمة معنيين أوّلهما معنى أساسي مفاده أنّ الفرح: هو نقيض الحزن، والفُرْحة والفَرْحة هي المسرّة، وفرح به أي سُرّ. وهو من الفرح بمعنى السّرور[29].

وثانيهما معنى فرعي يتنوع بتنوع صيغ واشتقاقات الكلمة مثل: أفرحه الشيء والدَّيْن: أثقله، والمُفْرَح: المُثقَل بالدَّيْن، ورجل مُفْرَح: مُحتاج مغلوب، وأفرحه إذَا غمّه، والفُرحانة: الكَمْأة البيضاء، والمُفَرِّح: داء معروف إلى غير ذلك من المعاني والدلالات الفرعية التي ليس لها هنا مجال الإفاضة فيها والإلمام بأحوالها؛ وتفاصيلها، ودقائقها.

وبالرّجوع إلى النّص الذي وردت فيه كلمة فرح، وبالتأمل فيها وفي النسيج العام الذي استخدمت فيه نجدها قد وُضعت في هذا الشكل (فَرِحِينَ) أي المفرطين في الفرح، ووزنها (فَعِل)؛ وهو مثال مبالغة يدل على شدّة الفرح وبلوغه منتهاه مع الإشارة هنا إلى تعليل الفرح وذكر دواعيه وأسبابه الموضوعية المشروعة.

وكما هو جليّ يحق لجمعية العلماء المسلمين وعلى رأسها كاتب العبارة المذكورة أعلاه، وللأمّة الجزائرية أن يفرحوا وأن يزداد فَرَحُهُمْ ويتصاعد ذلك لأنّ الأمر يتعلّق بموضوع فصل الدّين عن الحكومة التي طالما لفّت ودارت وراوغت وتذرّعت بمختلف الوسائل والأساليب والمبرّرات الواهية لتظل متحكّمة بزمامه تسيّره، وتُدير شُؤونه كما تهوى طبقا لمصالحها الاستعمارية العدوانية، والتوسعية باصطناع رجل مسيحيّ تكلّفه بإدارة وتسيير جميع شؤون الإسلام والمسلمين في الأمّة الجزائرية المسلمة ! ! !

---

[28] – المصدر السابق، مادة (ف ر ح)ج10؛ ص:212.

[29] – الجامع لأحكام القرآن / المجلد 2/ ج4/ ص: 275.

لذلك فإن الجمعية تعلن للحكومة قائلة: إنّنا إذا علمنا إخلاص الحكومة في الفصل، وسُلُوكها السّبيل القويم فيه فإنّنا نتنازل طائعين مخلصين فَرِحين وذلك بشروط معينة محدّدة مُسْبَقًا منها أن هذا التنازل يجب أن يكون لجماعة مسلمة حرّةٍ؛ حرّةٍ في الإشراف والتسيير والتدبير لجميع شؤون الدّين الإسلامي في الجزائر، ويجب ألاّ تكون هذه الجماعة المسلمة الحرّة ممّن ينخدعون بسهولة لمكائد الحكومة، ولا ممّن يمكن للحكومة أن تُلْهيهم بالقشور عن اللّباب؛ ولا ممّن يُمكِنها أن تصطادهم بالمطامع؛ والمناصب؛ والأوسمة، والرّتب، والمرتّبات البرّاقة المُسيلة للّعاب، ولا ممّن يمكنها أن تصُدهم بالترهيب والتهديد والتعذيب عن رسالتهم النبيلة المقدّسة.

فإذا تأكّد ذلك كلّه للجمعية -التي تعمل الحكومة جاهدة على إبعادها والحيلولة بينها وبين الإشراف على شؤون الإسلام والمسلمين في الجزائر- تنازلت وهي في منتهى الفرح والسّرور لكل جماعة مسلمة حرّة مقتدرة مُخلصة من أبناء ربوع الجزائر.

(والفرح-في الغالب- يطلق على السّرور كما في قوله تعالى: ((وفَرِحُوا بها))[30] ويطلق على البطر والازدهاء، وهو الفرح المفرط المذموم، ومن هذا النّوع قوله تعالى: ((وفَرِحُوا بالحياة الدُّنْيَا))[31]، وهو التمحض للفرح، والفرح المَنْهي عنه هو المُفرط منه أو الذي تمحّض للتعلق بمتاع الدّنيا ولذّات النّفس به، لأنّ الانكباب على ذلك يُميتُ من النّفس الاهتمام بالأعمال الصّالحة والمنافسة لاكتسابها فينحدر به التوغّل في الإقبال على اللّذات إلى حضيض الإعراض عن الكمال النّفساني والاهتمام بالآداب الدّينية، والأعمال الصّالحة، والنّهوض بالأعباء والمسؤوليات الثّقيلة التي يتطلبها البناء المتواصل لصرح الحضارات الشّامخة العتيدة.

(وأحْسَبُ أن الفرح إذا لم يعلق به شيء دلّ على أنّه صار سجيّة الموصوف فصار مرادا به العُجْبُ والبطَرُ، وقد نهى الله تعالى هن هذا النوع من الفرح في قوله: (أنّ الله لا يُحِبُّ الفَرِحِينَ)[32] أي المفرطين في الفرح، فـ((الفَرِحينَ)) صيغة مبالغة على وزن (فَعِل) مع الإشارة إلى تعليل النهي، لأنّ صيغة (فَعِل) مثال للمبالغة، فالجملة علّة للتي قَبْلَها، والمبالغة في الفرح تقتضي شدّة الإقبال على ما يُفْرَح به وهي تستلزم الإعراض عن الجدّ والواجب في ذلك)[33].

والجدير بالذكر أن شدّة الإقبال على الفرح الذي تدعو له وتؤكد عليه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين -والذي سيعمر قلبها، ويهزّ وُجدانها- ليس هو من قبيل فَرَحِ الزّهو المنبعث من الاعتزاز بالمال، والاحتفال بالثّراء، والتعلق بالكنوز، والابتهاج بالمُلْكِ والسُّلْطَان، والجاه والنّسب والشّرف، والاستحواذ والغنيمة... وغيرها من المكاسب الدّنياوية الزّائلة الفانية.

---

[30] - سورة يونس، الآية:22.

[31] - سورة الرّعد، الآية: 26.

[32] - سورة القصص، الآية: 76.

[33] - تفسير التحرير والتنوير ج20، ص:178.

(وإنّما هو فرح بعودة ذلك المناخ الإسلامي، وسيادة الثقافة العربية الإسلامية: قرآنا وسنّة، إجماعا وقياسا، سيرة نبوية وفقها، لغة عربية نحوها وصرفها وبيانها وأدبها، تراثا عربيا: تاريخا وأمجادا وعادات وتقاليد وفنونا.

وبعودة العمل على استقرار العقيدة الإسلامية في نفوس الناشئة بدءًا من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورُسُلِه، والقضاء خيره وشرّه إلى توضيح مفاهيم إسلامية عديدة أخرى مثل: التوكّل والتواكل، وتحصيل الرّزق، والقضاء والقدر، والأسباب والمسبّبات وغيرها.

إلى عودة الحريّة الفسيحة أرجاؤها والتي تسمح للعلماء بتوضيح مفهوم العبادة الدّقيق الصّحيح بمعناه الواسع الشّامل ومقاصدها وغاياتها في منظور الإسلام.

وفسح المجال واسعا أمام سيادة الأخلاق الإسلامية الربّانية في ضمير أبناء الجزائر ليشبُّوا على الخلال الكريمة والشّمائل الزّكية الحميدة التي تبني الأمم بها نفسها وتقيم على أساسها حضارتها.

وُصُولا إلى إقامة النّظام الإسلامي بالمفهوم العام والشّامل، لجميع جوانب الحياة المختلفة، ومفهوم الحكم في الإسلام وخصائصه)[34]. مع عدم إغفال مفهوم الحضارة الواسع المتشعّب وعناصرها، ومفهوم المدنية، وعلاقة الثقافة بكل من الحضارة والمدنية المرتبطة كلّها بمنجزات الحضارة الإسلامية في مجال العلوم المختلفة كالطب والصيدلة والمستشفيات والكيمياء والرياضيات، وما يتفرّع عنها: كعلم الحساب، والجبر، وحساب المثلثات، وعلم الهندسة وعلم الفلك والفيزياء والنبات والزراعة والحيوان والحشرات وعلم تقويم البلدان (الجغرافيا) وعلم المكتبات. وكل ما تعلق بشؤون الإنسان الدنياوية بدءًا من صنع الإبرة والموقد الطيني وصولا إلى صناعة الطائرات والمركّبات الفضائية والكمبيوتر والإنسان الآلي الذي يساعد على فتح الآفاق العلمية والمعرفية والإنتاجية الرحبة أمام الإنسان المُسلم الذي لا تزداد علاقته بربّه إلا بواسطة الرّسوخ في العلم والتّضلّع فيه يقول تعالى في محكم تنزيله: (إنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِه العُلَمَاء)[35] لذلك نجد الإسلام يَحُثّ أتباعه على العمل للدنيا كما يحثهم على العمل للآخرة في مصداق قوله صلّى الله عليه وسلّم: (اعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا؛ واعْمل لآخِرَتِك كأنّكَ تَمُوتُ غَدًا).

هذا هو الفرح المشروع الذي تهتز له مشاعر الجمعية والمسلمين كافة، وهذه هي المسرّة التي يختلج بها صدرها، وهذه هي البهجة التي ينفعل بها وُجدانها، ويطمئن بها قلبها ألا بذكر الله تطمئن القلوب، وتسكن الأرواح، وترتاح الضمائر، ولا تبالي بعد ذلك إن تقلد المسؤولية على المسلمين زيدٌ أو عمرو مادامت النيّة الصّادقة المخلصة متوفرة للنهوض بعبء هذه الأمانة الثقيلة التي عزفت الجبال عن حملها وولّت؛ وحملَها الإنسانُ الذي زوّده الله بقوّة الإرادة والعزْم؛ كما زوّده بملكة التفكير والتدبير والنظر في عواقب الأمور بربط الماضي بالحاضر والأسباب بالمسببات وما ينجم له بناء على ذلك في المستقبل القريب والبعيد واضعًا نصب

---

[34] – نضرات في الثقافة الإسلامية تأليف: عز الدّين الخطيب، عبد الرّحيم مريّش، خالد الحشّاش، عزمي عطية، فتح الله تفاحة، صالح أحمد الخطيب، ممدوح العقيل مطبعة المؤسسة للفنون المطبعية وحدة الرّغاية 1988/ دار الشّهاب للطباعة والنشر عمار قرفي باتنة الجزائر، ص:387/393.

[35] – سورة فاطر، الآية:28.

عينيه دائما قول ربه: (ونَفْسٍ ومَا سوَّاهَا فألْهَمَهَا فُجُورَهَا وتَقْوَاهَا قَد أفْلَحَ من زَكَّاهَا وقد خَابَ من دسَّـــاهَا)[36] نعيما على نعيم في الدّنيا والآخرة أو شقاء في شقاء عاقبته خُسْران الدّنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[36] ـ سورة الشمس، الآية: 7-10.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث السادس

4-6- صيغ أخرى سماعية

صيغ المبالغة السّماعية:

وقد سُمِعَت ألفاظ للمبالغة غير تلك الخمسة القياسية المشهورة التي سبق ذكرها منها: (فعّيل) -بكسر الفاء وتشديد العين مكسورة نحو: سِكّير، وخِمّير، وشرّيب؛ و(مِفْعيل) -بكسر فسكون- كمِعْطير، و(فُعَلَة) -بضم الفاء وفتح العين- كهُمَزَة ولُمَزَة، و(فَاعُول)- كفَارُوق، و(فُعَال) بضم الفاء وتخفيف العين أو تشديدها، كطُوَال وكُبَار، و(فَعُولَة) -بفتح الفاء وضم العين- كملُولَة، و(فَعَّالَة) -بفتح الفاء وتشديد العين- كعَلاّمَة ونَسَّابَة،و(فَاعِلَة) -بفتحة ممدودة وكسر العين- كرَاوِية وخَائِنَة، و(فُعَّالَة) -بضم الفاء وتشديد العين مفتوحة- كبُقَّاقة للكثير الكلام؛ و(مِفْعَالَة) بكسر الميم وتسكين الفاء وفتح العين واللاّم -كمِجْزَامَة، و(فُعَّل) بضمّ الفاء وتشديد العين مفتوحة مع تسكين الياء - كزُمَّيّل وسُكَّيت؛ و(مِفْعَل) بكسر الميم وسكون الفاء كمِدْعَس ومِطْعَن؛ و(فَعَال) -بفتح الفاء والعين بغير تشديد- كصَنَاعٍ وحَصَانٍ؛ للعَفِيفَة؛ و(فِعَال) -بكسر الفاء وفتح العين مخففة- كهِجَان. وغير ذلك من هذه الألفاظ التي لا يمكن حصرها في هذا المقام.

إضافة إلى ما سبق تُوجد هناك أنواع أخرى من الألفاظ قد وردت على إحدى تلك الأوزان الخمسة القياسية غير أنّ الفعل المستعمل لها مزيد من الثلاثي نحو: دَرّاك، ومِعْوَاز ومِهْوَان؛ ومِعْطَاءٌ؛ ونَذيرٌ؛ وبَشِيرٌ؛ وزَهُوقٌ؛ ومِطْرَاقٌ؛ وسَآرٌ؛ ومِتْلاَفٌ، ومِمْلاَقٌ؛ ومِغْلاَقٌ؛ وأفعالها الشّائعة الاستعمال هي: أدْرَكَ؛ وأعَانَ؛ وأهَانَ؛ وأعْطَى؛ وأنْذَرَ؛ وبَشَّرَ؛ وأزْهَقَ؛ وأطْرَقَ؛ وأسْأَرَ بمعنى ترك في الكأس بقية؛ وأتْلَفَ؛ وأخْلَفَ؛ وأفَادَ؛ وأحْسَنَ؛ وأمْلَقَ؛ وأغْلَقَ.

ووَاجبنا نحن في الوقت الرّاهن هو أن نَحفَظَ هذه الصّيغ والألفاظ إلى أن يحين أوانها؛ وتشتد الحاجة إليها، وتستدعي الضرورة العصرية للنظر فيها لتقرّ شيوعها وتداولها ثمّ إدراجها ضمن أبنية المبالغة القياسية كما حدث لصيغة "فِعِّيل" بكسر الفاء وتشديد العين مكسورة حينما نظر فيها المجمع اللغوي بالقاهرة وأقرّ استعمالها ووَافق على جعلها من صيغ المبالغة القياسية في الوقت الحاضر[1]

---

[1] المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج2، ص: 243،أدب الكاتب، ص:330، شرح الشّافية ج2،ص:178-180، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ج3،ص:219.

4-6 – صيغ أخرى سماعية:

العبارة الأولى التي وردت فيها صيغة: سماعية (فعّيل) بكسر الفاء والعين وبتشديد الأخيرة (لمْ يخْـرُجْ عن هذا المعنى حتّى هجرة الأنبياء والصّديقين كإبراهيم ولُوطٍ هاجرًا من بابِل إلى كنْعَان). (عيون/9/535).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة(صدق): الصّدق: نقيض الكذب، صَـدَقَ يَصْـدُقُ صَدْقًـا وصِدْقًـا وتَصْدَاقًا. وصَدَقَهُ: قَبِلَ قوله. وصَدَقَه الحديث: أنْبَأَهُ بالصّدق، قال الأعشى:

فَصَـدَقْتُهـا وكذَبْتُهـا، * والمَـرْءُ يَنْفَعُـهُ كِذَابُـهْ

ورجل صِدِّيقٌ وامرأة صِدِّيقٌ: وُصِفَ بالمصدر، وصَدْقٌ صَادِقٌ كقولهم شِعْرٌ شَاعِرٌ، يريدون المبالغة والإشارة.

الليث: كل من صدق بكل أمر الله لا يتخالجه في شيء منه شك وصدق النبي صلى الله عليه وسلم، فهو صديق، والصديق: المبالغ في الصدق.

والصداقة والمصادقة: المخالة، وصدقه النصيحة والإخاء: أمحضه.

والصدق: الثبت اللقاء، والجمع صدق، وقد صدق اللقاء صدقا.

قال حسان بن ثابت:

صلى الإله على ابن عمرو إنه * صدق اللقاء، وصدق ذلك أوفق

والصدق، بالفتح: الصلب من الرماح وغيرها، ورمح صدق مستو؛ وكذلك سيف صدق، قال أبو قيس بن الأسلت السلمي:

صدق حسام وادق حـده * ومحنـاء أسمـر قـراع.

روى ابن بري عن ابن درستويه قال: ليس الصدق من الصلابة في شئ، ولكن أهل اللغة أخذوه عن قول النابغة:

في حالك اللون صدق غير ذي أود

وإنما الصدق الجامع الأوصاف المحمودة، والرمح يوصف بالطول واللين والصلابة ونحو ذلك قال الخليل:الصدق الكامل من كل شيء.

قال ابن درستويه: ولو كان الصدق الصلب لقيل: حجر صدق وحديد صدق، وقال: ذلك لا يقال.

وصدقات الأنعام: أحد أثمان فرائضها التي ذكرها الله تعالى في الكتاب وليس مقام الحديث عنها هنا.

والصدقة: ما تصدقت به عن الفقراء؛ أو أعطيته في ذات الله للفقراء والمتصدق: الذي يعطي الصدقة.

والصدقة والصدقة، بالضم وتسكين الدال والصدقة والصداق والصداق: مهر المرأة، وجمعها في أدنى العدد أصدقة، والكثر صدق.

وقال ابن دريد في قوله تعالى: (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة)[2].

النحلة في كلام العرب: الواجب، يقول: لا تنكحها إلا بشيء واجب لها[3].

---

[2] – سورة النّساء الآية: 4.

[3] – اللسان مادة (ص د ق)، ج7، ص: 307-309.

وليس ينبغي لأحد بعد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أن ينْكِح امرأة إلا بصَدَاق واجب.

وفي حديث عمر، رضي الله عنه (لا تُغَالُوا في الصَّدُقَاتِ) هي جمع صَدُقَة، وهو مهر المرأة.

والصَّيْدَق، على مثال الصَّيْرَفُ: النّجم الصّغير اللاصق بالوسطى من بنات نعش الكبرى، عن كراع، وقال شمّر: الصَّيْدَق الأمين، وأنشد قول أميّة:

فيها النُّجُومُ تُطيعُ غَيْرَ مُرَاحَة * ما قَالَ صَيْدَقُها الأمينُ الأرْشَدُ[4]

معنى الصيغة كما وردت في سياق النّص:(لمْ يَخْرُج عن هذا المعنى حتّى هجرة الأنبياء والصّديقين كإبراهيم ولُوطٍ هَاجَرَا من بَابِلَ إلى كنْعَان). (عيون/9/535).

إنّ المتتبع في تمعّن وتركيز لكلمة (صدق) في المعجم اللغوية والمصادر الأدبية المعتمدة يكتشف بسهولة ويسر أن للّفظة معنيين: أحدهما رئيسي، والآخر فرعي فالأول يتلخص في أنّ الصّدْق: نقيض الكذب، وصَدَقَه: قَبِلَ قوله، وصَدَقَه الحديث: أنبَأه بالصّدق.

ومعنى آخر فرعيّ تتجاذبه معانٍ جزئية كثيرة متنوعة منها ما يخضع للمقام والسّياق الذي تتموقع فيه اللفظة في كل مرّة، ومنها ما يخضع للصّيغة وأنواع الاشتقاقات التي عليها الكلمة مثل: المصادقة بمعنى المُخالة، والصّديقُ أي المُصادقُ لك: والصّدُقُ بالفتح: الكامل من كل شيء، والمتصدّق أي الذي يُعْطي الصّدقة؛ة فلان صُدَيّقي أي أخصُّ أصْدِقَائي وإنّما يُصغّر على جهة المدح.

وبالعودة إلى النّص، وبقليل من الإمعان المتأني في الصّورة التي وُضعت في هذا الشكل: الصّدّيقين على زنة: فِعّلين بكسر الفاء والعين وتشديد هذه الأخيرة، كذلك فهو مثال من أمثلة المبالغة السّماعية المزيّدة بالشواهد القرآنية. وقد وردت الكلمة في آيات قرآنية عديدة باشتقاقات متنوعة كثيرة ومن بينها الصّيغة السّالفة الذكر ومنها قوله تعالى: (واذكُرْ في الكِتَابِ إدْرَاهِيمَ إنّه كان صِدّيقًا نبيًا)[5]

الصّديقُ هنا: من أبنية المبالغة ونظيره الضّحّيك والنّطّيق والمراد فَرْطُ صِدقه وكثرة ما صَدَّق به من غيوب الله وآياته وكُتُبه ورُسُله وكان الرّجْحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرُّسُل أي كان مصدّقا بجميع الأنبياء وكُتُبهم وكان نبيًا في نفسه كقوله تعالى: (بلْ جَاءَ بالحَقّ وصَدّقَ المُرْسَلِينَ)[6] أو كان بليغًا في الصّدق لأنّ ملاك أمر النبوّة الصّدق ومُصَدّق الله بآياته ومعجزاته حريّ أن يكون كذلك؛ وهذه جملة وقعت اعتراضا بين المُبْدل منه وبدله أعني إبراهيم[7].

وقوله تعالى: (ومَنْ يُطِعْ اللهَ والرّسُولَ فأُولَئِكَ مع الذينَ أنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ من النّبِيئِينَ والصّدّيقِينَ والشّهَدَاءِ والصّالِحينَ وحَسُنَ أولَئِكَ رَفِيقًا)[8][9].

---

[4] – تفسير القرآن العظيمتأليف: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي؛ وأشرف على طبعها وتصحيحها لجنة من العلماء، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت– لبنان. ج2، ص: 202.

[5] – سورة مريم، الآية: 41.

[6] – سورة الصّافات، الآية: 37.

[7] – تفسير الكشاف عن حقائق عوامل التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام محمد بن عمر الزمخشري/ ترتيب وضبط وتصحيح مصطفى حسين أحمد/ الناشر: دار الكتاب العربي– بيروت– لبنان/ط3 سنة 1987/ج3، ص: 18.

[8] – سورة النّساء، الآية: 69.

[9] – الجامع لأحكام القرآن/ م3/ ج5، ص: 272.

والصدّيق فِعّيل، المبالغ في الصّدق أو في التصديق، والصدّيق هو الذي يُحقق بِفعله ما يقوله بلسانه؛ وقيل: هم فُضَلاَء أتباع الأنبياء الذي يسبقونهم إلى التصديق كأبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه[10].

ومثل قوله تعالى: (وأُمُّهُ صِدِّيقَة كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ)[11].

والصّدّيقَة في هذه الآية- صيغة مبالغة- مثل شرّيب ومِسّيك؛ مبالغة في الشُرب والمَسكِ ولَقَبِ امرئ القيس بالمَلَكِ الضّلّيل لأنّه لم يهتد إلى ما يسترجع به مُلْك أبيه.

والأصل في هذه الصّيغة أن تكون مشتقة من المجرّد الثلاثي، فالمعنى المبالغة في وصفها بالصّدق، أي صدَقَ وعْدُ ربها، وهو ميثاق وعْد ربها، وهو ميثاق الإيمان وصَدَقُ وعد الناس.

كما وُصف إسماعيل -عليه السلام- بذلك في قوله تعالى: (واذْكُرْ في الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ)[12]. وقد وُصف يُوسُف بالصّدّيق، لأنّه صَدَقَ وعْدَ ربّه في الكفّ عن المحرّمات مع توفّر أسبابها. وقيل. أريد هنا وَصفُها بالمبالغة في التصديق لقوله تعالى: (وصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا)[13]، كما لُقِّبَ أبو بكر الصّدّيق لأنّه أوّل من صَدَّقَ رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- كما في قوله تعالى: (والذي جَاءَ بِالصِّدْقِ وصَدَّقَ به)[14]، فيكون مشتقًا من المزيد[15].

وبعد هذا التطواف حول أصل الكلمة واشتقاقها ومعناها اللغوي وكذلك معناها ضمن السياق الذي وردت فيه لا نُحِبُّ أن نخوض كثيرا في الحديث عن الهجرة، ومعانيها القريبة والبعيدة، وأسبابها وعواملها وأغراضها وبواعثها، ومداخلها ومخارجها، وسوابقها ولواحقها، ومقدماتها ونتائجها لأن ذلك يقتضي منّا وقفات ووقفات وقد لا نستوفي الموضوع حقّه.

« وإذا ما عُدْنَا إلى التاريخ لِنَستَقْرئه ففي موضوع الهجرة نجده يُنْبِئنا عن بدايتها منذ نبيّنا إبراهيم ولُوط- عليهما صلوات الله وسلامه- اللذين هاجرَا من بابل إلى كنعان ولم يَرْجِعَا من بابل إلى كَنْعَانَ.

وأمّا تعريف الهجرة فهو ببساطة انتقال جسماني ومادي- من بلد إلى بلدٍ- وأمّا عن أسبابها وعواملها -بإيجاز شديد- فهي هروب من الباطل والمبطلين، ونجاة بالنفس أو بالعقيدة أو بهما معًا، فهي في خلاصتها انهزام يعتذرُ بالضعف إلى أن يجد القوّة، وفرار بعزيز يُخاف عليه إلى حيث يُؤمَنُ عليه » [16].

كما لا نحب الحديث عن هجرة غير الفقراء المغمورين الذي تُبنى بهم الحضارات، وتزدهر القيم، وتنتصر العقائد، وتسود المبادئ، والأفكار، والنظم السياسية، والفلسفية على أكتافهم ثمّ ينسب ذلك كله إلى غيرهم من الحكّام، والملوك، ورجال السياسة، والقادة، والأمراء وأصحاب الجاه والسلطان الذين يوجّهون الأوامر لهؤلاء الفقراء الكادحين المحرومين من قصورهم العاجية حيث راحة البال والاطمئنان والاستجمام والعيش الرغيد.

---

(10) – المصدر السابق/ المجلّد 3/ ج5/ ص:272.

(11) – سورة المائدة، الآية: 75.

(12) – سورة مريم، الآية: 54.

(13) – سورة التحريم، الآية:12.

(14) – سورة الزمر، الآية: 33.

(15) – التحرير والتنوير ج6؛ ص: 286.

(16) – عيون البصائر، ص: 535.

وخير شاهد على ذلك قوله جلّ شأنه: (للفقراء المُهاجرين الذين أُخْرِجوا من ديارهمْ وأموالهم يبْتَغُون فَضْلاً من الله ورضْوانًا، وينْصُرون اللهَ ورَسُولَه، أولَئك هُمْ الصّادِقُون)[17].

" وهي صورة صادقة تبْرُزُ فيها أهمّ الملامح المميّزة للمهاجرين. أخْرِجوا إخْراجًا من ديارهمْ وأموالهمْ. أكرههم على الخروج الأذى والاضطهاد والتنكيرُ من قرابتهم وعشيرتهم في مكة. لا لذنب إلاّ أن يقولوا: ربُّنا الله... "

وقد خرجوا تاركين ديارهم وأموالهم « يبْتَغُون فَضْلاً من الله ورضْوَانًا » اعتمادُهم على الله في فضله ورضوانه؛ لا ملجأ لهم سواه، ولا جانب لهم إلاّ حِماه.. وهم مع أنّهم مُطَارَدُونَ قليلون « ينْصُرون اللهَ ورسوله » .. بقلوبهم وسيوفهم في أحرج الساعات وأضيق الأوقات. « أولئك هم الصادقون » .. الذين قالوا كلمة الإيمان بألسنتهم، وصدقوها بعملهم ولذلك سماهم الله أو أطلق عليهم وصف الصديقين. وكانوا صادقين -حقا- مع الله في أنهم اتبعوه، وصادقين مع الحق في أنهم كانوا صورة منه تدب على الأرض ويراها الناس[18].

<u>العبارة الثانية التي وردت فيها صيغة سماعية:</u> (فاعلة) (....، وعبد الحي محدث بمعنى آخر فهو « راوية» بكل ما لهذه الكلمة من معنى. تتصل أسانيده بالجن والحن[19] ورتن الهندي)[20].
(عيون/12/622).

<u>المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة (روى):</u> وروى الحديث والشعر يرويه راوية تراه، وفي حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ترووا شعر حجية بن المضرب فإنه يعين على البر، وقد رواني إياه، ورجل راو؛ وقال الفرزدق:

أما كان، في معدان والقيل، شاغل * لعنبسة الراوي علي القصائد !؟

ويقال روى فلان فلانا شعرا إذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه.

والروي: حرف القافية، قال الشاعر:

- لو قد حداهن أبو الجودي
- برجز مسحنقر الروي،
- مستويات كنوى البرني

ويقال: قصيدتان على روي واحد، قال الأخفش: الروي الحرف الذي تبني عليه القصيدة ويلزم في كل بيت منها في موضع واحد نحو قول الشاعر:

إذا قل مال المرء قل صديقه * وأومأت إليه بالعيوب الأصابع

قال: فالعين حرف الروي وهو لازم في كل بيت، قال المتأمل لقوله: هذا غير مقنع في حرف الروي[21]،

---

[17] – سورة الحشر، الآية: 8.

[18] – تفسير في ظلال القرآن ج6، ص: 3526.

[19] – الحن: سفلة الجن وضعفاؤهم، وقيل: حي من الجن؛ وقيل: كلاب من الجن.

[20] – رتن الهندي: شيخ دجال ظهر على رأسه المائة السادسة وادعى أنه يروي عن النبي مباشرة وأنه حضر زفاف فاطمة الزهراء..

[21] – اللسان مادة(ر و ى)، ج5، ص: 382-383.

ألا ترى أنّ قول الأعشى:

رَحَلَتْ سُمَيَّةُ غُدْوَةً أَجْمَالَهَـا * غَضْبَى عَلَيْكَ فَمَا تَقُول بَدَالَهَا

تجد فيه أربعة أحرف لوازم غير مختلفة المواضع، وهي الألف قبل اللاّم ثمّ اللاّم والهاء والألف فيما بعد، قال: فليت شعري إذا أخذ المبتدي في معرفة الرّويّ بقول الأخفش هكذا مجرّدًا كيف يصحّ له؟ ونحن مع المذهب الأخير الذي يدعو إلى البحث والتحقق المتأنّي في الأشياء قبل الحسم فيها بسرعة وارتجال وعدم يقين.

والرّويّة في الأمر: أن تَنْظُرَ ولا تعْجَلْ.

ورَاوية كذلك إذا كَثُرَتْ روايته، والهاء للمبالغة في صفته بالرّواية.

وقيل: جمع راوية أي الذين يزوّرُون الكذِبَ أو تكثر رواياتهم والرَّوُّ الخِصْبِ.

والرِّيَّا: الرّيحُ الطّيبة؛ قال:

* تَطَلَّعُ رِيَّاهَا مِنْ الكَفِرَاتِ.

الكَفِرَات: الجبال العالية العظام، ويقال للمرأة: إنّها لطيّبةُ الرِّيَّا إذا كانت عطرة الجِرْم. وريًّا كلّ شيء: طيبُ رائحته.

ومنه قول امرئ القيس يصف جارية:"

إذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ المسْكَ منْهُمَا * نَسيمَ الصَّبا جَاءَتْ بريَّا القَرَنْفُلِ.

وقال المتلمس يصف جارية:

فَلَوْ أنَّ مَحْمُومًا بِخَيْبَرَ مُدْنَفًـا * تَنَشَّـقَ رِيَّاهَا، لأَقْلَـعَ صَالِبُـهْ.

والرَّويُّ: سحابة عظيمة القطر شديدة الوقع مثل السَّقْيِ.

وعَيْنٌ ريَّة: كثيرة الماء، قال الأعشى:

فأَوْرَدَهَا عَيْنًا من السَّيفِ رِيَّةً، * بِهِ بُرْءٌ مِثْلُ الفَسِيل المُكَمَّـمِ.[22]

معنى الصيغة كما وردت في سياق النّص:(وعبدُ الحَيّ مُحدِّثٌ بمعْنًى آخر، فهو« رَاوِيَةٌ » بكل ما لهذه الكلمة من معنى تتّصل أسَانيدُهُ بالجِنّ والحِنّ ورتَنِ الهِنْدِيّ) .(عيون/12/622).

وبتقصّينا لمعاني كلمة (روى) في المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية الأساسية تبيّن لنا أن للكلمة معنى رئيسيا، ومعاني أخرى فرعية تولّدت -بمرور الزمن- عن الكلمة الأصل.

فالمعنى الأصلي عند ذكر كلمة رَوَى يَرْوِي رواية، الحديث: نقله وذكره فهو راوٍ؛ وجمعه رواة ورَاوُونَ.

وأمّا المعاني الأخرى الفرعية وهي عديدة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصْر قولهم: رَوَى الحبلَ: فَتَلَه؛ والرّحْل: شدَّهُ على البعير بالرّواء، والقومَ: استقى لهم.

ورَوِيَ رِيًّا ورِوًى من الماء: شَرِبَ وشبِعَ فهو رَيَّان إلى غير ذلك من المعاني الفرعية التي أفاضت فيها معاجم اللغة.

---

[22] - المصدر السابق مادة (ر و ى) ج5، ص: 383-384.

وبعودتنا إلى النّص الذي وردت فيه كلمة روى، وبالتّمعّن في الشكل الذي وضعت فيه نجده هكذا: « رَاوِيَةٌ » على زنة (فَاعِلَة)؛ وهو بناء من أبنية المبالغة السّماعية، ويدلّ على من كثرت روايته، واتسعت؛ وتشعّبت.

والهاء للمبالغة في وصف الراوي بالرّواية، وتستعمل هذه الصّيغة بهذه الصّورة لجنس المذكر والمؤنث على حدّ سواء.

وأمّا المعنى العام الواسع الذي يريده كاتب النّص هنا عند توظيفه لهذه اللفظة على هذه الصورة فهي السّخرية المُرّة، والتّهكّم الذكيّ، والتشنيع، والتشهير بشخصية (عبد الحي) الذي كان عميلا أمينا للاستعمار الفرنسي في أقطار المغرب والجزائر وتونس.

لذلك فلا يغرنّك كون الرّجل « رَاوِيَة » من طراز فريد، محدّثًا، لأنّ المُحَدّث يُفترض فيه أن يكون سلفيّ العقيدة، ملتزما بالوقوف عند حدود الكتاب والسّنة، وأن يتمتع بالاستقلال في الاستدلال لِمَا يؤخذ ويُترك من مسائل الدّين.

بيد أنّ (عبد الحي) هذا ليس من رُواة الشّعر، والأدب، وأيّام العرب، وبُطونهم، ولا من رواة الحديث والكتاب عن طريق علم الرّواية والدّراية وإنّما هو « رَاوِيَة » دجّال لأنّه أفنى عمره في نصرة الطرقية وضلالات الطرقيين، ومحدثاتهم بالقول والفعل والسّكوت، وأنّه خَصم لذوذ للسلفيين، وحرب عوان على السلفية. وهل يُرْجى ممّن نشأ في أحضان طرقية من هذا النّوع، وفتحَ عينه على ما فيها من مالٍ، وجاه وشهوات ميسّرة، ومخايل من الملك –أن يكون سلفيًّا حتّى ولو سلْسل الدّنيا كلّها بمسلسلاته « الرّوائيّة » ! ! !؟ ويبدو أن الرّجل قد حصّل علمه الغزير الفارغ عن طريق الإجازات التي كان يمنَحُها شيوخ الطرقية السّذج لتلاميذهم وأتباعهم ممّن ينهجون نهجهم ويقتفون أثرهم ليكونوا بذلك شرّ خلْف لشر سلف ! ! !؟

أمّا عن الطريقة التي كانت تُمنح بها الإجازات فكان بعد أن يلمح الشيخ استعدادا كاملا في تلميذه؛ وقدرة فائقة في إتقان الصّنعة، ومهارة بارعة في تأديةِ الشّطحة، عندئذ يفجأه بالبشرى بقوله لتلميذه الساهر: إنّني قد أجزتك بكلّ مؤلفاتي، ومرْوياتي، وكلّ مالي من مقروء ومسموع من كلّ ما تضمّنَه ثَبَتِي...ألخ.

" إنّ الرّواية الحقيقية عند السّلف الصّالح ترجع كلّها إلى قاعدتي الجرْح والتعديل اللذين هُمَا أساس الاطمئنان إلى الرّاوي."

وأمّا عن معنى الجَرْح عند المُحدّثين: « فهو الطّعن في راوي الحديث بما يَسْلبُ أو يُخلّ بعدالته أو ضبطه » وأمّا التعديل: « فهو عكسه؛ وهو تزكية الراوي والحكم عليه بأنّه عدل أو ضابط » [23] وللْجَرْحِ والتعديل شروط وآداب وقواعد ورجال، ولهؤلاء الرّجال مراتب ودرجات فيهما ممّا يطول الحديث فيه ويتشعّب وقد أُفْرِدَت لهذا الموضوع بحوث ومؤلفات مستقلة أفاضت فيه الحديث عند القدماء والمحدثين من علمائنا أهل الاختصاص.

---

[23] - منهج النّقد في علوم الحديث/ تأليف الدكتور نور الدّين عتر/ دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر – دمشق–سورية/ ط3/1981،ص:92.

ولو فرضنا أنّ (عبد الحيّ) هذا « الراوية »عُرِضَ على أحمد بن حنبل أو علي يحي بن مَعين وأبو حاتم، والنّسائي، وابن القطان،ويحي القطان، وابن حيّان من المعروفين بالإسراف في الجرح والتشدّد فيه، أو على من جاء بعدهم من نُقاد رِجال الرّواية الذين كانوا يُجَرِّحُونَ بِلَحْظَةٍ، ويُسْقِطُونَ العدالة بغمزة في عقيدة، أو تبزة في سيرة، أو بغير ذلك ممّا يُعدُّ في جنب الرّجل حسنات وقرُبات- فماذا نراهم يقولون فيه؟ وبماذا يحكمون عليه؟ خصوصا إذا تعاملوا معه بقاعدة: (الجرحُ لا يُقْبَلُ إلاّ مُفَسَّرًا)[24] أي مبين السبب فسيجدون أسبابا وفيرة، وأيّ أسباب هذه التي قلّبت حقائق الدّين والشّرع رأسا على عقب، واستغلّتهما استغلالا سيئا بشِعًا، وانحرفت بهما عن سواء السّبيل؛ فسكنت الكراهية والحقد قلبَيه -بدل الحبّ والمودّة- على الأحرار من السلفيين وترصّد أذاهم في الأنفس والأموال والمصالح.

إنّ (عبد الحيّ) ونظائره ممّن لا يحتاج المرء إلى التحقيق من شخصياتهم ومبادئهم، وخصالهم، وعقيدتهم، وورعهم، وصدقهم إلى آخر القائمة لأنّهم معروفون لدى النّاس جميعًا بمكرهم، ودهائهم، وخُبْثِهم، وموالاتهم، للاستعمار الفرنسي الذي جاء ليدمّر جميع مقوّمات الشّعب الجزائري المسلم، وجاء لينهب، ويسلب منه كلّ خيراته الظاهرة منها والباطنة؛ وجاء أيضًا ليكرّس هيمنته واستعباده بوسائل الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى على الأمّة الجزائرية التي لم تقترف أيّ ذنب في حق الأمّة الفرنسية.

لذلك كلّه نجد الإبراهيمي يقول في شخص (عبد الحيّ) الذي تجاوزت شهرته الآفاق: (عَرَفَ النّاس وعرفْنا عِرْفَان اليقين وعلمنا حتّى ما نُسائل عالِمًا، أنّ هذا الرّجل مازال منذ كان الاستعمار في المغرب – لا كانَ- آلة صمّاء في يده يُديره كما شاء، ويُريده كما شاء، يُحرّكه للفِتْنَة فيتحرّك، ويدعوه إلى تفريق الصّفوف فيستَجيبُ، ويندُبُه إلى التضريب [25] والتخريب فيجده أطوع من بنانه ويُريد منه أن يكون حُمَّى تُنْهِك، فيكون طاعونا يُهْلِك، وأن يكون له لسانٌ، فيكون لسانًا وأُذنا وعينا ويدًا ورِجْلاً ومقراضًا للقطع، وفأسًا للقلْع ومِعْوَلاً للصّدْع، وما يشاء الاستعمار إخماد حركةٍ إلا كانت على يَدَيْه البركة، وما يشاء التّشغيب[26] على العاملين للصّلاح، والمُطالبين بالإصلاح إلاّ رَماهم منه بالدّاهية النكراء والصّيْلَم[27] الصّلعاء، وما يُعجزه الاضطلاع بعِبْءٍ؛ أو الاطّلاع على خَبَءٍ إلاّ وجده فيه البُغية والضالة، وما يشاء التشكيك في رأي جميع، أو التشتيت لشمْل مجموع، إلاّ وجد فيه المشكّك المُحكّك[28] والخادم الهادم)[29].

إنّ هذه المهام الثّقيلة الخفيفة؛ العسيرة اليسيرة، الخافضة الرافعة، هي التي جعلت المدعو (عبد الحيّ) « راوية » -بكلّ ما تحمله هذه الكلمة من مضامين مضحكة مبكية- يصول ويجول فيها في المحافل الحكومية، والولائم والحفلات، ومؤتمرات الزوايا التي يعقدها هنا وهناك، وجعلته بصفة دائمة ضيفًا نازلا على شيوخ الطرقية يُقيم في ديارهم الليالي والأيام يَرْوي الأخبار، وينقد الرّجال، ويعلمهم الكتاب

---

[24] – المرجع السابق؛ ص:97.

[25] – التضريب: من ضرّب بينهم: أغرى وحرّض بعضهم على بعض بالفتنة والنميمة والوشاية وغيرها.

[26] – التّشغيب: تهييجُ الشّرّ بين القوم.

[27] – الصّيْلَم: الأمر الشّديد، الدّاهية.

[28] – المُحكّك: هو الذي يُشتقى برأيه كما تشتقي الإبل بالجِذْل (وهو أصل الشّجرة) الذي تحتك إليه؛ وفيه أي في معناه أقوال وآراء وتفسيرات اخترنا منها ما رأيناه أقرب إلى السّياق الذي وردت فيه اللّفظة.

[29] – عيون البصائر ص: 618-626.

والحكمة التي يُكلّفه الاستعمار بتلقينهم إيّاها، ويذكرهم بالواجبات والمهام التي ينهضون بها في كل ظرف ليعود إلى (قمير) بالصيد الوفير، والسّهم النّافذ، والخبر اليقين ليحْظى عندها بأعلى النيّاشين، والمكان الرّفيع، والشكر الجزيل !

العبارة الثالثة التي وردت فيها صيغة سماعية: (فُعلة) (فإذا اطْمَأنّ بعض أصدقائنا وإخواننا من عُلماء الزّيتونة إلى بقاء ما كان على ما كان فلْيعْلمُوا أنّ وراءنا من الزّمن سائقًا عنيفًا حُطمةً، يستحِثّ البطاء ولا يغض من أعنّة العِجَال، وأن بين أيْدينا ودائعَ شبابٍ مُتطلّعٍ إلى الكمال). (عيون/4/630).

المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمة (حطم): الحَطْم: الكسرُ في أيّ وجْه كان، وقيل: هو كسر الشيء اليابس خاصّة كالعظم ونحوه.

حَطمهُ يَحْطِمُهُ حطْمًا أي كسره، وحطّمهُ فانحطمَ وتحطّم.

وصعْدَة حِطَمٌ كما قالوا كِسَرٌ كأنّهم جعلوا كلّ قطعة منها حِطْمَة، قال ساعدة بنُ جؤيّة:

مَاذَا هُنَالِكَ مِنْ أسْوَانَ مُكْتَئِبٍ * وسَاهِفٍ في صَعْدَةٍ حَطِمَ.

والحَطيمُ: ما بقي من نبات عامٍ أوّل ليُبْسه وتحطّمه.

عن اللّحياني.

والحَطْمَة والحُطْمَة والحَاطُوم: السّنة الشديدة لأنّها تَحْطِمُ كلّ شيء. قال ذو الخِرَقِ الطُّهَوِيّ:

من حَطْمَةٍ أقْبَلَتْ حَتَّتْ لنا وَرَقًا * نُمَارِسُ العُودَ، حتّى يَنْبُتَ الوَرَق.

الأزهريّ: فرسٌ حَطِمٌ إذا هُزل وأسنّ فضعُف.

وفي حديث عائشة، رضي الله عنها، أنّها قالت: بعْدَما حطَمْتُمُوهُ تعني النبي صلى الله عليه وسلّم يُقال: حَطَمَ فُلانًا أهلُهُ إذا كَبِرَ فيهم كأنّهم بما حَمّلوه من أثقالهم صيّرُوه شيْخًا مَحْطُومًا.

وحُطام الدّنيا: كل ما فيها من مال يفنى ولا يبقى.

ورجُلٌ حُطمة: كثير الأكل؛ وإبل حُطمةٌ وغنم حُطمة: كثيرة تحْطم الأرض بخفافها وأظلافها وتحطم شجرها وبقلها فتأكلُهُ.

ونارٌ حُطمة: شديدة؛ وفي التنزيل: (كلاّ لَيُنْبَذَنّ في الحُطَمَةِ)[30] اسم من أسماء النّار، لأنّها تَحْطم ما تلقى، وقيل الحُطَمَة: باب من أبواب جهنّم، وكلّ ذلك من الحطْم الذي هو الكسر والدّق. وفي الحديث: أنّ هَرِمَ بن حيّانَ غضب على رجُل فجعل يتحطّمُ عليه غيظًا أي يتلظى ويتوقّد، مأخوذا من الحُطمة وهي النّار التي تَحْطم كلّ شيءٍ وتجعله حُطَامًا أي متحطّمًا مُتكسّرًا.

وفي المثل: شرُّ الرّعاء الحُطمة؛ ابن الأثير: هو العنيف برعاية الإبل في السّوْقِ والإيراد والإصدار.

والحُطمة: من أبنية المبالغة وهو الذي يكْثر منه الحطْم، ومنه سُميّت النار الحُطمة لأنّها تحْطِمُ كلّ شيء.

وحَطَمَتْ حَطَمًا: هزلت؛ وماء حاطوم: مُمْرِيء[31].

---

[30] – سورة الهمزة، الآية:4.

[31] – اللسان مادة(ح ط م) ج3، ص: 226-227.

والحُطميّة: دُرُوع تُنْسَبُ إلى رجل كان يعملها، وكان لعلي رضي الله عنه، دِرْعٌ يقال لـــها الحُطميّـــة. وفي حديث زواج فاطمة، رضي الله عنها: (أنّه قال لِعَلِيّ أيْنَ درْعك الحُطميّة؟) هي التي تحْطم الســـــيوف أي تكسّرها.

ابن سيدة: وبنو حطمة بطن.

ومن المجاز: أصابتهم حَطْمَة أي أزمة.

وراعٍ حُطَمٌ وحُطَمَةٌ: كأنّه يَحْطِمُ المال لعُنْفه في السَّوْقِ[32].

معنى الصيغة كما وردت في سياق النّص:(فإذا اطْمَأنّ بعض أصدقائنا وإخواننا من عُلمـــاء الزّيتونـــة إلى بقاء ما كان على ما كان فلْيَعْلمُوا أنّ وراءنا منَ الزّمن سائقًا عنيفًا حُطمةً، يستّحِثّ البِطاء ولا يغـــــض من أعنّة العِجَال، وأن بين أيْدينا ودائعَ شباب مُتَطلّع إلى الكمال). (عيون/4/630).

حينما نتتبع معاني مادة: حطم في المعاجم اللغوية والمصادر الأدبية المختلفة نكتشف أن للكلمة معنيين رئيسيين أحدهما معنى أصلي أساسي لا يفارق مادة الكلمة في أحوالها وتغيراتها، واشتقاقها بدءًا من الاســـم إلى المصدر وُصولا إلى الأفعال المشتقة منها نحو الحطْم: الكسر في أيّ وجه كان، وحَطَمَه يَحْطِمُـــه حطْمـــا أي كسرَه، والحُطمة والحطام: ما تحطّمَ من ذلك.

وثانيهما؛ معنى فرعيّ، لكنّه ذو علاقة وثيقة بالمعنى الأصلي وإنْ بدا في ظاهره أنّه معنى مـــستقل عن المعنى الأوّل؛ والدّليل على ذلك كلمة الحَطيم التي معناها ما بقي من نبات عام أوّل ليُبْسِـــه وتحطّمـــه أي تحطّمه وتكسّره وتدُقه ليصير حُطَامًا في آخر المطاف. غير أننا لا نريد هنا أن نجعل من ذلك قـــاعدة عامـــة تصدق على جميع مفردات اللغة كما ذهب إلى ذلك ابن جني في كتابه المشهور في باب عقدَهُ للاشتقاق الكبـــير وكذلك ابن فارس ومعهما الثعالبي صاحب فقه اللغة وسنن العرب في كلامهما حيث جعلوا مجـــرّد الاشـــتراك في أصلين فقط من الأصول الثلاثة دليلا على الاشتراك في معنى عام لبعض الكلمات فيقرّر أنّ المعنى العـــام للتفرقة –مثلا– يكـــون بصوتـــي « الفـــاء » و « الـــرّاء » والمعنـــى العـــام للقطـــع يكـــون « بالقـــاف والطّـــــاء » إلى غير ذلك من تخيّلات وتأمّلات تشبه أحلام اليقظة عند رجل اشتدّ ولَعُه وإعجابـــه باللغـــة العربية فتصوّر فيها ما ليس فيها، وأضفى عليها من مظاهر السّحر مالا يصحّ في الأذهان ولا تتّصف به لغـــة من لغات البشر[33].

« وحُطمَة، بوزن فُعَلة صيغة تدل على كثرة صدور الفعل المُصاغ منه، وأنّه صار عـــادة لصاحبـــه كقولهم: ضُحَكَة لكثير الضحك، ولُعنة لَكَثير اللّعن، وهمزة لُمَزَة لكثير الهمز واللّمز.

وأصلها: أنّ صيغة فُعَلَ بضمٍّ ففتحٍ ترد للمبالغة في فاعِل كما صرّح به الرّضيُّ في شرح الكافية يقـــال: رجُل حُطَمٌ إذا كان قليل الرّحمة للماشية؛ أي الدّواب.

ومنه قولهم: خُتع (بخاء معجمة ومثناة فوقية) وهو الدّليل الماهر بالدلالة على الطريق فـــإذا أُريـــدت زيادة المبالغة في الوصف أُلْحقَ به الهاء كما أُلحقت في: علاّمة ورجّالة، فيقولون: رجُل حُطمةٌ وضُحَكَـــةٌ[34]

---

[32] – المصدر السابق مادة (ح ط م) ج3، ص:227–228، أساس البلاغة ج1، ص: 182.

[33] – من أسرار اللغة تأليف إبراهيم أنيس/ مكتبة الأنجلو المصرية– القاهرة–مصر، ط1985/7، ص: 67.

[34] – تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص: 536.

ومنه هُمزةٌ، وبتلك المبالغة الثانية يفيد أنّ ذلك تفاقم منه حتّى صار له عادة قد ضرى بـــها كمـــا جـــاء فـــي الكشاف.

وقد قالوا: إنّ عُيَبَة مُساوٍ لعيّابةٍ، فمن الأمثلة ما سُمع فيه الوصف بصيغتي فُعَلَ وفُعَلةٍ نحـــو: حُطَـــمٌ وحُطمة بدون هاء وبهاء، ومن الأمثلة ما سُمع فيه فُعلة دون فُعَل نحو: رجُلٌ ضُحكة، ومن الأمثلة مـــا سُـــمع فيه فُعُلٌ دون فُعلةٍ وذلك في الشّتم مع حرف النّداء نحو: يا غُدَرُ، ويا فُسَقٌ؛ ويا خُبَثٌ، ويا لُكَعٌ.

قال المرادي في شرح التّسهيل قال: بعضهم ولم يُسْمع غيرها ولا يقاسُ عليها، وعن سيبويه أنّه أجـــاز القياس عليها في النّداء.

قلت: وعلى قول سيبويه بَنَى الحريريّ قوله في المقامة السابعة والثلاثين « صَهْ يَا عَقَقٌ يا مَـــنْ هـــو الشّجا والشّرق » [35].

وعن معنى صيغة: حُطمة ضمن سياق النّص فإنّ الكاتب قد وظّفها في مقـــام دعـــوة عُلمـــاء جـــامع الزيتونة عن التخلي عن الأساليب التقليدية في تسيير إدارة الجامع؛ وتسيير شؤونه المختلفة أوّلا؛ وإلى تجديـــد المنهاج العلميّ في التدريس والتعليم، والبحث العلمي الأكاديمي الرسمي ثانيا.

إنّ هذه الدّعوة الجريئة كان منبعها إمام النّهضة العلمية الحديثة في الشمال الإفريقـــي الشـــيخ محمـــد الطاهر بن عاشور المتبحّر في العلوم الإسلامية؛ والمتميز بالاستقلال في الاستدلال وسعة الاطلاع، والـــدقة في تناول المسائل العلمية، والجدة في طريقة المعالجة والتحليل، والبراعة في التخريج والاستنباط، والصّـــدق في محاولة النّهوض بطرق التعليم ومناهج البحث في العلوم، والتخلص، من الأنمـــاط العتيقـــة فـــي التســـيير والتنظيم الإداري. وقد وجد إمام النّهضة العلمية الحديثة معارضة شديدة يتزعّمها مشـــايخ وعلمـــاء البـــامع. وشعار هؤلاء هو إبقاء ما كان على ما كان حفاظا على المنصب والوظيف المرموق لكلّ واحدٍ منـــهم داخـــل الجماعة المكلّفة بإدارة شؤون الجامع المختلفة.

أنّ التغيير في التسيير الإداري، وطرق التدريس ومناهج التعليم بجامع الزيتونة سيؤدي –حـــــتمًا– إلى تحريك الساكن وإسكان المتحرّك، وسيؤدي أيضًا –لا محالة– إلى زحزحة أعضاء الجماعة الـــتقليديين من الكراسي –التي هي في نظرهم مصالح نفعية عاجلة بحتة، وليست مبادئ– والاســـتغناء عنـــهم. وأخـــيرا حصر المسؤولية في رجُل واحد كفء نزيه ملتزم يشعر وأنّ المسؤولية –حقيقة– تكليف وليست تشريفًا، وأنّـــها مشقة ومعاناة لذيذة في سبيل تحقيق هدف نبيل سامٍ.

إنّ هذا التغيير الذي يطمح إليه الشيخ محمد الطّاهر بن عاشور يهدف إلى إصلاح الجـــامع جـــملة، وإلى إصلاح التعليم به، وإصلاح تسيير شؤون إدارته، وإلى الاستفادة من المناهج العلميـــة الحديثـــة– قـــدْر الإمكان– وهي مناهج قطع بها أصحابها اليوم أشواطا بعيدة جدًا في ميدان التقـــدم بـــبرامج التعليـــم ومنـــاهج التدريس؛ وطرق البحث العلمي الجاد الميتي على عناصر: الملاحظـــة، والاســـتقراء، والتجربـــة الميدانيـــة المخْبرية المحسوسة التي تنبثق عنها الأحكام والقوانين العلمية الصّحيحة الصّارمة الثابتة التي لا تقبل أي جـــدل نظري أو تخمين يفتقر إلى الدّليل والبرهان اللذين هما أساسُ صحّة أي إدعّاء أو دعوى تُعرض على النّاس.

---

[35] – المصدر السابق، ج30، ص: 537.

وإنّ كل من يَغضّ الطَرف، أو يتجاهل هذه السّرعة المُذهلة التي يسير بها غيرنا ممّن غزوا الفضاء، وزاروا أعماق البحار، وحققوا اكْتِفَاءً غذائيا محترما لأنفسهم، فلا يعني هذا أنّ الزمن سيرحَمُنَا- نحن لمتقاعسين الثرثارين- لأنّ السائق عنيف جدا بإبله يضرب بشدة وقوة مفرطة، ليستحث المتباطئين لمتقاعسين النائمين، وليزيد في سرعة المستعجلين؛ ولا يبالي -بعد ذلك- بالمتكسّرين المتحطمين المتساقطين مام هذه العواصف الهوجاء التي لا تبقي ولا تذر؛ والتي جاءت لتقلب المبادئ والقيم، والمناهج ومَعَالِمَ الأشياء لعتيقة البالية رأسًا على عقب، وبالتالي فمن لم يساير هذه الروح العلمية السارية في صميم الأشياء، الظواهر، ومناهجها، وأصولها فإنّه سيكون حطاما مفتّتًا تذروه الرياح، ولا بقاء له في هذا العالم الجديد لمتحضر لأنّ البقاء فيه للأقوى والأصلح والأجدر بالقدرة على التسيير والتحكم في شؤونه المختلفة، وكذا تحكم في مصائر هذه الشعوب، والأمم الهزيلة العاجزة التي لا تزال تتمتّع بالقابلية (للاستعمار) وترحّب قدومه في كل آن.

وقد اختار علماء جامع الزيتونة مبدأ -إبقاء ما كان على مَا كان- وبالفعل فقد بقي كل شيء على حاله -عدا هذه المحاولات الجادة التي قام بها الشيخ محمد الطاهر بن عاشور حينما تولى رئاسة الجامع- وها نحن يوم نعيش المأساة بجميع أشكالها، وألوانها وكوارثها الثقافية، والعلمية، والاجتماعية، والاقتصادية والسياسية أننا جعلنا الوظائف الدينية، والشرعية، والسياسية ذات صبغة وراثية -من أعلى الهرم الاجتماعي إلى أسفله- توارثها الأبناء عن الآباء، والأجداد في بعض المجتمعات العربية، وفئة عن فئة، أو حزب عن حزب، معين ي بعض المجتمعات الأخرى، بجدارة، وبغير جدارة، هذا غير مهم على الإطلاق.

فالكفاءة والنزاهة، والالتزام شِعَارات جوفاء نرفعها ليستمر النائمون في سُباتهم العميق، ثمّ نترك عمل بها لغيرنا من الأمم التي تزوّدنا باللّقمة الرديئة والغذاء الغث مقابل الكرامة، والحرية، والهويّة، العقيدة، والثقافة الأصيلة !؟

إنّ الأهمّ عندنا -نحن العرب (المسلمين) اليوم- هي الوظيفة -وما أشأم الوظيفة على العلْم- كما يقول لإبراهيمي، تلك الوظيفة التي ضيّعت مواهب شابة، وأطفأت عبقريات جمّة وحطمت قواقل من عظماء العلم المعرفة كانوا -لولاها- مصدر خير كثير، ونعمة سابغة على الأمّة العربية.

والذي نفسي بيده ما جعلنا في ذيل القافلة اليوم محطمين منكسرين ذليلين سوى التكالب والتهافت على الكراسي المتحركة بنا يسارا ويمينا؟ وهو ما جعلنا أيضا نقدّم رجْلا وتؤخر أخرى. ونراوح مكاننا. لا ندري في أي اتجاه نسير؛ وأي طريق نتبع، وإلى أي مصير سنصير رغم أن الوحي السّماوي والهدي ربّاني بين أيدينا وقد دلّنا -منذ أربعة عشر قرنا- على الطريق الذي نسلكه، والسبيل الذي نتّبعه؛ وحذّرنا ن الانحراف عنه قيد أنْمُلة في هذه المسيرة الشاقة الطويلة التي نسعى فيها جاهدين إلى عبور الجسر ي سلام، وأمان، واطمئنان، مصداقا لقوله تعالى في محكم تنزيله: (وأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِه ذلكُم وصّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقُون)[36].

---

[36] – سورة الأنعام، الآية: 153.

وإذا أردنا أن يلتئم جرحُنا ويجْبَر كسرُنا وألاّ نكون حُطمة في الدّنيا؛ ووقوداً للحُطمة في الآخرة علينا أن نعتنق الإسلام عن طريق الاقتناع العقلي المحْض أوّلا؛ والاعتقاد القلبي الخالص ثانيا؛ وأن نتخلى كُلّيّة عن إسلام القِناع لأنّ مثلما هو هناك إسلام الاقتناع –وهو قليل جدّا عندنا– نحن العرب اليوم–، هناك أيضًا إسلام القناع وهو المتفشي فينا؟ وكل مآسينا الخطيرة المهلكة هي من صنع أيدينا قبل أن تأتينا من غيرنا، وصلاح أحوالنا جميعا تتبع من صلاح أنفسنا؛ وتغيير واقعنا المزري المُحزن المأساوي ينبع أيضًا من تغيير ما بأنفسنا من انحراف، وفساد، وضيق النّظر؛ وأنانية مقيتة، وإقصاء للآخر؛ وبراعة في الهروب من المسؤولية اللاّصقة بأعناقنا؛ ومهارة في الانتقاد اللاذع، والتسرع في إصدار الأحكام المجّانية الحاقدة من أجل تسجيل المنافس في القائمة السّوداء لإحالته على التقاعد المسبق لأوانه لأنّه لا يسير في الخط !؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخـــــاتمـــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخـــاتمـــة

إنّ المبالغة في الكلام وفي التعبير الإنسانيّ –عموما– قديمة عند العرب منذ العصر الجـــاهلي؛ وقـد لجأوا إليها، واستخدموها في تعبيرهم اليومي بِحكم البيئة التي كانوا يعيشون فيها، وطبيعة الحيـــاة والعلاقـات المختلفة التي كانت تربط فيما بينهم.

وقد ورد عنهم أسلوب المبالغة بطرقٍ شتّى في أفانين قولهم؛ ودفعت إليه أغراض أدبية متعددة .خاصـة عند الخطباء والشعراء؛ فرأينا المبالغة –مثلا– في شعر الفخر، والحماسـة، والرّثـاء، والغـزل، والوصـف وغيرها.

ويُمكن القول كذلك بأنّ التعبير بألوان البيان والتشبيه والمجاز –غالبا– ما يُقصد به إلـى الـمبالغة في الكلام، والغلو في التعبير، ومجاوزة الواقع العادي المألوف؛ ممّا يُضفي على الكـلام نوعـا مـن القـوّة؛ والتوكيد، والشدّة؛ المتصاعدة، والإكثار، والتكرار.

ونحن هنا اخترنا نوعا معهودا من أنواع أسلوب المبالغة الذي تناولناه بالدّراسة؛ والبحث، والتحليـل؛ والإحصاء في « عيون البصائر » .

وفي النهاية وجدنا أنّ هذا النّوعَ ينحصر في أوزان معينة تتفاوت فيما بينها من حيث درجة استعمالها، وأهميتها، وانقياسها، –كثرةً وقلّةً– كما تختلف فيما بينها من حيث أحكامُها النحوية الإعرابية في العمل فيمـا بعدها؛ أو عدم العمل فيه.

وممّا تجدرُ الإشارة إليه في هذا المقام أنّ صيغ المبالغة هذه ليست دائما تدلّ بأبنيتها وصورها وحدهـا على المبالغة ما لم تقُمْ قرينة دالة على ذلك.

صحيح إن صورة الكلمة –غالبا– ما تكون معتبرة في هذا المنْحَى بيْد أنّه لا يعوّل عليها فـي جميـع الأحوال؛ لأنّ هنالك عددًا مُعتبرًا من الأبنية والصّور يتخذ شكل صيغ المبالغة وأوزانها في سياق الكلام غـير أنّه لا يُعطي معنى المبالغة الذي وُضعت له بل يفيد معاني أخرى لا صلة لها بالمبالغة. ولا ينبغي أن يُـفهم من كلامنا هذا أنّنا نذهبُ إلى إهمال أو إلغاء هذه الأوزان وألفاظها من حيث هي وُضعت خصّيصًـا للدّلالـة على معاني المبالغة في الكثرة؛ والقوّة؛ وشدّة الوصف.

وإنّما علينا أن ننتبه عند استدلالنا عليها إلى عنصرين أساسين هامّين هما:

أ– عنصر الوزن والبناء أو الصورة التي عليها الكلمة.

ب– وعنصر الصيغة ضمن السياق التعبيري العام للنّص، ومقام الكلام.

وبعد هذا وذاك فقد كان هدفنا –منذ البداية– في هذا البحث هو التركيز على دراسة صيـغ المبالغـة الموظفة في « عيون البصائر » دراسة تقوم على الإحصاء والاستقراء ثمّ التحليل والاستنتاج مـع الحـرْص على الرّبْط بين المعنى اللغوي المعْجمي من جانب، وبين معنى الصيغة في السياق التعبيري العام؛ والخـاص كما وردت في النّص. وذلك قصد الوُصول إلى مدى احتياج العربية لهذا النمـط مـن التعبـير فـي الكتابـة والخطاب.

وأي هذه الصيغ أكثر استعمالا؟ ومن ثمّ تركّزت دراستنا في هذا البحث على هـــذه الأبنيـة أوّلا: على المستوى الإفراديّ وعلاقتها بالأبنية التي تتشابه معها تمامًا في الصورة، وتبيان أوجـه الافـتراق بينـها بالأدلة والقرائن المانعة من إرادة المعنى الظاهري المتبادر إلى الذّهن، وتوجيه الذّهن إلى المعنـى الخـفيّ الذي يُراد بصيغة معينة.

ثمّ ركّزنا بالمقابل على المستوى التركيبي لهذه الأبنية مع غيرها من الكلمات والعبارات اسمية كـانت أو فعلية، وأثر ذلك كله في دقة المعنى؛ وقوته؛ ووضوحه، وتوكيده، وكذا في بلاغة الكلام؛ وجودة التعبـير، وسداده.

ومن خلال هذه الدراسة تأكد لنا مدى احتياج العربية إلى هذا النمط من الاشتقاق في الكلام الجيّد؛ كما تأكد لدينا أيضًا تفاوت هذا النوع من الأبنية في درجة استعمال صيغها، وتداولها في الكلام العربـي الأصيـل حيث لاحظنا أن صيغة " فعّال" أكثر استعمالا من سائر الأوزان الأخرى؛ وأنّ صيغة "فَعُول" أكثر اسـتخداما من الثلاثة الباقيات؛ وأنّ وزن "مِفْعَال" أكثر تداولا من صيغتي "فَعِيل" و"فَعِلَ".

وإلى جانب هذه الأوزان القياسية هناك الصّيغ السّماعية التي ترد في الكلام بيـن الفينـة والأخـرى؛ الأمر الذي يجعلها تزاحم أخواتها من الصيغ القياسية لتحتل مكان الصّدارة وتضمن لنفسها –مستقبلا– صُبغـة الرّواج؛ والتداول في التعبير الكتابي؛ والشفهي.

ونُحبُّ ألا يفوتنا الحديث –بشيء من الاختصار والتركيز– عن أصل اشتقاق صيغ المبالغة المنقاسـة، والخلاف الدّائر حوله بين العلماء، والمتمثل في: هل هذه الصيغ تُشتق من مصدر الفعل الثلاثـيّ المتصـرّف المتعديّ، أو اللازم، أم من المتعديّ واللازم؛ أم من المتعديّ فحسب وهل هذه الصيغ قياسية، أم سـماعية؟؛ أو أنّ منها ما هو سماعيّ، ومنها ما هو قياسيّ؟

والمؤكد أنّ الخلاف لا يزال قائما حول هذه المسائل؛ ولم يُحسَم فيها بعدُ حتّى الآن؛ لأنّ هنالك فريقـا من علماء العربية قدامى ومُحدثين يرى أنّ صيغ المبالغة تُشتق من مصدر الفعل الثلاثي الـلاّزم والمتعـديّ؛ وفريق ثان يرى أنّها تُشتق من مصدر الفعل الثلاثي المتعديّ –ماعدا– صيغة "فعّال" فإنّها وحدهـا تُشـتق من اللازم والمتعديّ؛ ويُستدلّ على ذلك بقوله تعالى: (ولاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ؛ هَمَّازٍ، مَشَّاءٍ بِنَمِيـمٍ. مَنَّـاعٍ للخَيْرِ، مُعْتَدٍ أَثِيمٍ..) (القلم/10–13).

غير أنّ الدّراسة والبحث والتحري في اللغة كلّها ترجّحُ أنّ صيغ المبالغة الخمسة المشـهورة جميعـا تُشتق من مصدر الفعل الثلاثيّ المجرّد المتصرّف؛ متعديا كان أو لازما، وهي صيغ يؤتـى بـها للدّلالـة على المبالغة في الكثرة، والشدّة، والقوّة، والتوكيد في الحدث أو الاتصاف به.

وانقسموا أيضًا مذاهب وآراء عندما أرادوا معالجة مسألة القياس والسّماع فيها؛ فمنهم مـن قَصـر القياس على بعض الصّيغ منها نحو: " فعّال"، و"فُعول"؛ و"مِفْعال".

ومنهم من قال بالسّماع لبقية الصّيغ الأخرى مهما كان وصفها واشتقاقها؛ ومـصدرها، ومنهـم من جعلها جميعًا قياسية.

وذهب فريق آخر إلى اعتبارها جميعًا سماعية، وبذلك نفى عنها جميعًا انقياسها بأية حال من الأحوال فنراه يقول: (صيغ المبالغة صيغ سَمَاعية إذ لا تشتق من كلّ فعل صيغَة مبالغة على وزن " فعَّال" أو "مِفْعال"أو "فُعول" أو غير ذلك[1].

وفي موضع آخر نراه يأتي بكلام مُناقض للأوّل تمامًا حين يقول: (صيغ المبالغة قياسيةٌ لا تبنى إلاّ من الثلاثيّ وندر بناؤها من غيره نحو مِعْوَان من أعان، وبشير من بشَّر)[2].

وفي مكان ثالث يقول: (هناك صيغ سماعية وردت للمبالغة أشهرها: " فِعِّيل": قدّيس؛ "فُعَّال": كُبَّار؛ "فَاعِلَة": رَاوِية؛ "فعَالة": علاّمة؛ "مِفْعيل": مِنْطيق؛ "فاعول": فاروق، "فُعَلة": هُمزة)[3].

وهنا يحقّ للقارئ أن يتساءل عن المفهوم الذي أعطاه صاحب هذا الكلام لـ"السّماع" في كل من المرة الأولى والثانية؟

والتّساؤل الثاني من القارئ يتركّز حولَ الحُكْمين المختلفين المتناقضين اللّذين قرّرهما لهذه الأبنية حيث نجده يعتبرها مرّة صيغًا سماعية: إذ لا يمكن أن تَشْتَقَّ من كل فعل صيغةَ مبالغة على وزن " فعّال" أو "مِفْعال" ... ألخ ثمّ نجده يَعتَبِر هذه الأبنية نَفْسَها صيغا قياسية في موْضع لاحق ولا تبنى إلا من الثلاثي؛ وندر بناؤها من غيره.

كيف يمكن للباحث المبتدئ فرزُ هذه الأحكام والتوفيق بينها دون الوقوع في حيرة واضطراب وتناقض؟ وأين يكمن النقص في هذا الشأن؟

ونحبّ كذلك أن نشير في هذه العُجالة إلى أمر هام هو اعتمادنا كثيرا في الشّرح اللغوي، والتفسير المعنوي للصيغة على معجم لسان العرب لابن منظور وذلك يرجع -في نظرنا- لاعتبارات عديدة وهامة منها:

أوّلا: أنّ هذا المعجم أكثرُ من غيره توسُّعًا، ودقّة، وعُمقًا، وتنوُّعًا في شرح المفردة وتقصّي معانيها القريبة والبعيدة.

ثانيا: أنّه يستدلّ، ويعتمد على صحّة تفسيره للمفردة على الشواهد المختلفة بدءًا من الشّعر الجاهلي؛ إلى القرآن الكريم؛ إلى الحديث النبوي الشريف؛ وأمثال العرب وحكمهم.

ثالثا: أنّه كثيرًا ما يعرض لشرح وتوضيح معنى المفردة في سياقها التعبيري ضمن النّص الذي وردَت فيه؛ وهو مفيد جدًّا.

ورابعا: أنّه اعتمد في التنظيم والتبويب والتصنيف لمواد اللغة على الترتيب الأبجدي؛ وهو النظام المعمول به في عالم المعاجم والقواميس الحديثة التي تسهل الوصول إلى التعرف على موضع المادة في أقرب وقت وبأيْسر السبل وأقلّ جهد.

---

(1) – الصرف الوافي دراسة وصفية تطبيقية في الصرف تأليف هادي نهر/ الجامعة المستنصرية/ مطبعة العلم العالي بالموصل- بغداد- العراق/ سنة 1989، ص: 94-95.

(2) – المرجع نفسه، ص: 96.

(3) – المرجع نفسه، ص: 96.

وعلى الرّغم من ذلك فإنّنا لم نكتفِ بهذا المعجم وحده بل استعنا بغيره عندما تستدعي الضرورة ذلك؛ كالقاموس المحيط للفيروز أبادي؛ وأساس البلاغة للزمخشري وغيرهما من مصادر اللغة التي تعرض للمفردة العربية في معانيها المختلفة.

وحاولنا جاهدين -أثناء ذلك كله- أن نكون جدَّ مختصرين في هذا الجانب؛ وأن نقتصر على ما يُفيدنا في فهم معنى المفردة وإدراك أبعادها الدّلالية المتوقعة حتّى لا يفلت منا معناها الحقيقي أثناء الشرح، والتحليل، والنقاش ضمن السّياق الذي وردت فيه في مدوّنة « عيون البصائر ».

إنّ الأمثلة التي استخرجناها من مصنّف « عيون البصائر »؛ والتي بين أيدينا ترجّح كلّها بأنّ أبنية المبالغة -على حدّ سواء- تشتق من مصدر الفعل الثلاثيّ المجرّد -لازما كان أو متعديا- وأنّ الحاجة العصرية المتعددة الأوْجه تلِحُّ كلّها وتقضي بقياسها مادام ذلك لا يضر العربية في شيء؛ ومن ثمّ عدم الاقتصار فيها على السّماع.

والجدير بالذّكر أن حديثنا الآن مُنْصَبٌّ على الأمثلة المستخرجة من مدوّنة « عيون البصائر » لنقول: ففيما يخص صيغة "فعّال" فليس هناك خلاف في كونها تشتق من مصدر الفعل الثلاثي المجرّد المتصرّف اللازم والمتعدي نحو: " الأكّالين" و"خلاّب" و"الخوّان" و"دسّاس".

وهي أمثلة على الأفعال المتعدية إلى مفعول؛ ونقتصر على الإتيان بمثال واحد عليها من القرآن الكريم؛ ونترك الباقي للقارئ حيث يقول تعالى: (وأُمُّه صِدّيقَةٌ كَانَا يَأكُلاَنِ الطَّعَامَ) (المائدة/75). فكما هو ملاحظ في هذه الآية أن الفعل "يأكل" احتاج إلى فاعل ومفعول به؛ فالفعل: يأكل؛ والفاعل: ألف الاثنين الذي عبارة عن ضمير متصل بالفعل المضارع الذي هو من الأفعال الخمسة؛ والطَّعامَ: مفعول به.

أمّا اللازم فنحو "أفاك" و"توّاق" و"الخنّاس" و"الجيّاش" و"الصوّال" و"صخّاب" وغيرها.

وهي أمثلة على الأفعال اللازمة ونكتفي بهذا المثال من الذكر الحكيم يقول تعالى: (فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فإذا هِيَ تَلقَّفُ ما يأفِكُونَ) (الشّعراء/45) والشّاهد هنا هو الفعل: (يأفكُونَ) حيث اكتفى بفاعل فقط وهو الواو الضمير المتصل بالفعل لأنّه من الأفعال الخمسة. لذلك فهو فعل لازم لا يحتاج إلى مفعول.

وأمّا فيما يتعلق بالأوزان والصيغ الأربعة الباقية؛ فقد لاحظنا ما يخالف المذهب القائل بمجيء "فعول" و"مفعال" و"فَعيل" و"فَعِل" سوى من مصدر فعل ثلاثي متعدّ؛ لكنّ الشواهد التي في حوزتنا نراها تضم أفعالا متعدية وأفعالا أخرى لازمة.

فمن أمثلة اللازم "فخورَة" و"فَرِحينَ" و"لَعُوبًا" و"يَقظ".

ويمكن أن نأخذ صيغة "فَرِحينَ" ومادّتها المستعملة كثيرا في القرآن الكريم كشاهد على ذلك وهو قوله جلّ شأنه: (لله الأمرَ من قَبْلُ ومن بَعْدُ ويومئذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُون) (الرّوم/الآية:4).

فالفعل اللازم هو "يَفْرَح" وقد اكتفى بالفاعل المرفوع بالواو والنون لأنه جمع مذكر سالم "المؤمنون".

ومن أمثلة المتعدي: "حذِرة" و"رَحيمًا" و"السّميع" و"العليم" وغيرها.

ولإزالة الشّك واطمئنان القلب نُوردُ الشّاهد من القرآن الكريم على صيغة "حذِرة" في قوله تعالى: (أمَّنْ هُوَ قَانِتٌ أناء اللَّيْلِ سَاجِدًا وقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ) (الزمر/الآية:1).

فالمادة أتت في صيغة المضارع واحتاجت إلى فاعل مستتر عائد على القائنت؛ واحتاجت أيضًا إلى مفعول به " الآخرة".

وإنّ محاولة التوغل أكثر في لغة الإبراهيمي، وأسلوبه، ومفرداته، وتراكيبه من خلال السياق التعبيري العام يُمكّن من القول بأنّه يجمع في أدبه بين التراث والمعاصرة؛ فهو تراثيّ من ناحية لأنّه ينحو منحى الأدباء القُدامى، في الأسلوب، واللغة، والتراكيب، والمفردات. وهو معاصر لأنّه ينهج منهج المعاصرين في المحتوى والمضمون.

وهو في كلّ ذلك يظلّ مشدودا إلى الموروث القديم بفهم جديد مُعاصر.

فتأثره واضح في هذه الأبنية والصّيغ بالثقافة الإسلامية عامة، والقرآن الكريم على وجه الخصوص، أنظر إلى صيغ المبالغة التالية: " أفّاك"، "أثيم"، "الأكّالين"، " أليم"، " خنّاس"، "الخوّان"، " السّمّاعين"، " كذّاب"، " العليم"، " الصّديقين"، " فعّالا"، " قوّامين" وغيرها من هذا النحو من الألفاظ التي لا يتسع لنا المقام لحصرها وتعدادها، تجدْه وكأنّه اقتبسها من القرآن الكريم اقتباسا لولا توظيفه الخاص لها؛ لأنّك تشعر شعورا واضحا بأنّ كل صيغة من هذه الصيغ ذُكِرت في آية قرآنية معيّنة؛ ففي الصّيغتين الأوليين نجده متأثرًا بقول الله سبحانه : (وَيْلٌ لِكُلِّ أفّاكٍ أثِيمٍ) (الجاثية/ 7).

وفي صيغة "الأكّالين" نجده متأثرًا بهذه الآية: (أكّالُونَ للسُّحْتِ) (المائدة/42)؛ وفي صيغة "أليم" نلفيه متأثرًا بقوله تعالى: (سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ ولَهُمْ عذَابٌ أليم) (التوبة/79).

وفي صيغة: "خنّاس" نجده متأثرًا بقوله جلّ شأنه: (من شرّ الوَسْوَاسِ الخَنّاسِ) (النّاس/4)، وفي صيغة: "الخوّان" نراه متأثرًا بالآية: (إنّ الله لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوّانٍ كَفُورٍ) (الحج/38)؛ وفي صيغة: "السّمّاعين" نجده متأثرًا بقوله تعالى: (ومِنَ الذينَ هَادُوا سمّاعونَ لِلْكَذِبِ) (المائدة/42)، وفي صيغة "كذّاب" تأثر بالآية: (إنّ اللهَ لاَ يَهْدِي من هُوَ مُسْرِف كذّاب) (غافر/28).

وفي صيغة "السّميع" نلمح تأثره بالآية: (فتَقَبّل مِنّي إنّكَ أنت السّميعُ العليمُ) (آل عمران/35)؛ وفي صيغة "الصّديقين" نجده متأثرًا بقوله تعالى: (والصّدّيقينَ والشّهداءِ والصّالحِينَ) (النّساء/69).

وفي صيغة " فعّالا) نراه متأثرا بالآية الكريمة: (فعّالٌ لِمَا يُرِيدُ) (البروج/16)؛ وفي صيغة:"قوّامين" نجده متأثرا بقوله جلّ شأنه: (يا أيُّهَا الذين آمَنُوا كُونُوا قَوّامينَ بالقِسْطِ شُهَدَاءَ لله) (النّساء/135).

ومن خلال ملاحظتنا لهذه الصيغ المأخوذة من « عيون البصائر » يمكن تصور تلك المعارك المحتدمة التي كانت دائرة بين الأمّة الجزائرية المطبوعة على الحبّ والخير والأخوة وبين قوى الشّر والعُدْوان والخيانة والغدر ممثلة في الاستعمار الفرنسي وعملائه وأعوانه المخلصين له؛ بحيث يجوز لنا أن نقسم تلك الصيغ والأبنية إلى صنفين: صنف يمثل المبادئ والقيم الخيرية الإيجابية لأنها تجسد العدل والحق والخير والحب والجمال في أسمى معانيها؛ وهذه الصيغ هي: "المقدام"، "العليم"، "مسماح"، "رحيما"، "الصّدّيقين"؛ "مِخْجَامًا"، "قَوّامِينَ"، "فَعّالاً"، "الجوّال"، "الصّوّال"، "يقظة"، " حَذِرَة"، "خلاّب"، "وهّاجة"، "جيّاشًا"، "نضّاح".

وصنف ثان يمثّل المبادئ والقيم السلبية الشّريرة لأنّها تجسّد الظلم، والشّر، والعداوة، والكراهية، والقبح، والغدر، والخيانة، وما شابهها في أبشع معانيها وأحطها وهذه الأوصاف نراها مُشخّصة في أبنية المبالغة التالية: ""كذّاب"، "خوّان"، "دسّاس"، "خنّاس"، "عيّاب"، "سبّاب"،"أفّاك"، "أثيم"، "منّان"، "صخّاب".

وهي أوصاف تُجسّد العنف، والقسوة، والغدر، والخيانة والمكر، والدّسائس التي كان الاستعمار الفرنسي وعملاؤه وأعوانه يُمارسونه في قوة وشدة، وإصرار وتكرار على الأمة الجزائرية التي كانت -قبل ذلك- لا تحمل أي ضغينة، أو حقد، أو عداوة لفرنسا. وعلى الرّغم من ذلك كانت المبادرة بالشرّ، والاعتداء والسلب، والنهب من فرنسا، لذلك فا(البادئ أظلمُ).

ولذلك أيضًا فالشعب الجزائري ردّ على الاستعمار الغادر بالسلاح نفسه: بالقوّة؛ والشدّة؛ والإصرار الأكثر صلابة، والأكثر تحديا غير مبال بالقتل؛ والتشريد، والتجويع، والتعذيب ... ولكنّ ردّه هذا لم يكن ردّ الانتقام الأعمى؛ أو الحقد الطائش فهو (المقدام) عندما يتطلب الأمر الإدلاء بالحق الصّراح أو المواجهة في ميدان القتال؛ و(مسماح) إذا كان الموقف يقتضي الرفق واللّين؛ والصّفح عن المخطئ الذي يُعلن توبته، والاعتراف بحق الأمّة في الدفاع عن حريتها، وكرامتها واستقلالها، وحقها في تقرير مصيرها. وشاهد ذلك (الكولون) الذين كانوا يقطنون في الأرياف يُمارسون أعمالهم الفلاحية والزّراعية، ويعيشون مع عائلاتهم في طمأنينة وأمن ممّا جعلهم يعملون مع الثورة؛ ويدعّمونها بالمال والعتاد والمؤونة !

وهو(رحيم) بالمستضعفين من النّساء والشيوخ والأطفال الذين لا ذنب لهم فيما يقترفه الكبار من جرائم ومجازر الممثلون في ساسة فرنسا، ومرتزقيها؛ هواة الدمار وإفناء الأمم والشعوب التي لم ترتكب أية جريرة سوى أنها تطالب بحقها في العيش في ظل الحرية، والعزّة، والكرامة، والأمن، وبحقها في تقرير مصيرها بنفسها دون أي تدخل أجنبي. وهو أيضا (محجاما) عن فعل الشر؛ واقتراف الآثام وإلحاق الأذى بغيره من تقتيل وتشريد وتجويع وترهيب؛ الأمر الذي لا يجد الاستعمار أي حرج في اقترافه، بل يشعر بلذة كبيرة، ويحسُّ بنشوة عارمة عندما يشاهد الشعوب المستضعفة تتقلّب بين براثن العذاب، والجوع، والمرض، والشقاء والموت والجهل.

ونرى الإبراهيمي يوظف مفردات وصيغ مبالغة أخرى مضادة للأولى يفضح بها نوايا الاستعمار الخبيثة وخططه الماكرة المبيّتة؛ فيصفه بأقبح الأوصاف؛ وأبشعها في صراحة؛ وجرأة نادرة لا يختشى في الحق لومة لائم؛ أو بطش باطش؛ ولذلك نجد الكاتب يصفع العدوّ بهذه الصفعات القاتلة؛ ويضربُه في الصّميم قائلا له أمام الملأ أنت: "كذّاب"، " أفّاك"، "أثيم"، "خوّان"، "خنّاس"، "دسّاس"، "عيّاب"، "أكّال".

وهكذا نلاحظ أنّ جميع هذه الصيغ والأوصاف جاءت في صيغة مبالغة لتفيد القوة، والتوكيد، والاحتراف، وكثرة الممارسة للشيء؛ أو شدة الاتصاف به لدرجة أن يصبح عادة وطبعًا مُلازما للمتّصف به لا يستطيع التخلّص منه ولا العيش بدونه ليصير في النّهاية اسمه مقرونا بهذه الأوصاف، والطبائع الدّنيئة اللاصقة بكيانه أينما حلّ وارتحل. كما حدث لإبليس الملعون الذي إذا ذُكِرَ ذُكِرَت معه جميع شرور العالم، وآفاته. فإبليس كذّاب، خنّاس، دسّاس، عيّاب، خوّان، سبّاب، أفّاك، أثيم.

والاستعمار في حقيقته إبليس ملعون لأنه يتصف بأوصافه ويفعل أفعاله، والطيور على أشكالها تقع.

إنّ صاحب المهنة يعرف أسرارها، ودقائقها، وصناعتها، والهبوط بها والصعود، ودقة حبكها ونسجها، ويعلم جيدا الوقت الذي يتطلب السرعة في الإنجاز؛ والتنفيذ؛ والظرف الذي يقتضي التريّث والتمهل في استعمال العقاقير اللازمة للموقف متى تستدعي الضرورة ذلك.

وكذلك الاستعمار إبليس "كذّاب"، "دسّاس"، "خنّاس"، "خوّان"، "غرار"، من طراز فريد لأنّه ماهر في نصب المكائد؛ بارع في إغراء الجماهير بالمظاهر البرّاقة، حاذق بأساليب زرع الفتنة بين أوساط الجزائريين وتفريقهم شيعا وأحزابا، وقبائل متناحرة يوم وُجوده بينهم؛ أو بعد رحيله عن الجزائر؟

وقد يلجأ الكاتب من حين لآخر إلى استعمال بعض المفردات القديمة مثل: "الجوّال"، "الصّوال"، "غلاّب"، "وهّاجة"، "نضاح" وغيرها. ولم يدلّ ذلك على شيء سوى اعتماد الإبراهيمي في ثقافته وتكوينه على الموروث القديم والأصالة بدءًا من الشعر الجاهلي إلى الثقافة العربية الإسلامية بمختلف جوانبها وفروعها وكما نرى فإنّ الكاتب لم يغرق في هذا الموروث القديم، ولم ينغلق معه على نفسه؛ إنما نجده يوظف تلك المفردات والصيغ والتراكيب في محتوى ومضمون معاصر ممثّلا فيما استجدّ من علوم، ومعارف، وآداب وفنون كان نتاجها حضارة القرن العشرين المعقدة، المتشابكة، المتنوعة المعارف والفنون والآداب.

وقد كشفت لنا هذه الصيغ والأبنيَة عن شخصية الكاتب التي كانت تمقت الظلم والعبودية والاستغلال والإذلال للشعوب المستضعفة من قبل قوى الشر والطغيان، وتُحاربها حربا لا هوادة فيها. كما كشفت لنا أبنية المبالغة التي تحمل في طياتها قيما سلبية بشعة عن حب الإبراهيمي للعدالة والحرية والأخوة والأمن والازدهار والتقدم والرفاهية للإنسانية جمعاء دانيها وقاصيها.

ودلتنا هذه الدراسة لهذه الصيغ كذلك على ما كان يجري في البيئة الجزائرية من ظلم وتعسف وغدر وخيانة وبطش والاستعمار بالجزائريين أفرادا وجماعات؛ وعن المقاومة الصّامدة من الشعب على الرّغم من آلام الجوع والخوف والعُري والتشريد حتى لا يذوب في كيان الصّليبية الممْسوخة.

ويمكن القول الآن أنّه تأكد لنا هذا النسيجُ العامُ وهذه النظرية الكلية الجامعة التي تربط بين الناحية الشعورية الانفعالية للكاتب؛ وبين أسلوبه المتماسك المترابط في عباراته، وتراكيبه المتينة السّبك؛ وكذا ألفاظه المنتقاة المعبرة عن ذلك الوجدان المشحون بالانفعالات بإيحاءاتها؛ وظلالها؛ وأجوائها؛ والمتطابقة أخيرا مع القوانين والأحكام الصّرفية والنّحوية التي رسم حدودها رجال أفذاذ كرّسوا أعمارهم في سبيل خدمة العربية ولسانها صيانة لهما من التشويه، والفساد، والاضمحلال.

وقبل أن نتقدم ببعض الاقتراحات في موضوع أبنية المبالغة وأوزانها ومفرداتها نحسب -أولا- أن نستعرض إحدى المحاولات التي قام بها مجمع اللغة العربية بالقاهرة وهو يعرض لهذه الأبنية اللغوية؛ بشيء من التحفظ والاحتشام وشيء كثير من الحذر؛ عندما أراد إدراج صيغة من صيغ المبالغة في نطاق القياس؛ نحو ما فعل بصيغة "فعّيل" ؛ فهو يقرر بقوله: (في اللغة ألفاظ على صيغة "فِعّيل" بكسر الفاء وتشديد العين -من مصدر الفعل الثلاثي اللازم والمتعدي، للدلالة على المبالغة، وكثرتها تسمح بالقول بنياسها؛

ومن ثم يجوز أن يُصاغ من مصدر الفعل الثلاثي –لازما كان أو متعديًا– لفظ على صيغة "فعّيل" بكسر الفاء وتشديد العين، لإفادة المبالغة)[1].

إنّ التحفظ في موقف مجمع اللغة العربية بالقاهرة إزاء هذه الأبنية يبدو لنا في موقفين أساسين:

أولهما: أن المجمع اقتصر على إدراج صيغة "فعّيل" فحسب في نطاق القياس؛ وأغفَلَ صيغا أخرى عديدة مقصورة على السّماع نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: "مِفْعيل" و"فُعّال" و"فُعَّال" و"فُعَيّل" و"فُعَّل" ولها أمثلة معتبرة في اللغة كثيرة التداول والاستعمال مما يسمح القول –في رأينا بقياسها– مادام ذلك لا يلحق أي تشويه باللغة العربية بل بالعكس يفيدها ويجعلها قادرة أكثر على مسايرة التطوّر الحضاري الإنساني المعاصر.

وثانيهما: أن المجمع القاهريّ لم يحسم كلية في الصيغة التي جوّز القياس عليها عندما بقي مترددًا في الأمثلة المقدّمة؛ وظل متسائلا: هل هي من الثلاثي المجرد، أم هي من فعل ثلاثي المزيد، نحو لفظة "حدَيث" أهي جاءت من الفعل المستعمل "حدّثَ" الثلاثي المزيد، أم هي من فعل ثلاثي غير مزيد، هو "حَدَثَ" وإن لم يرد في الاستعمال ولعله من المُمَات أو المهمل أو غير ذلك؟

والمهم هنا أن المسألة ظلّت معلقة بدون إجابة شافية كافية مقنعة، غير مُرْفَقَةٍ بالدّليل والتعليل.

ونحن المُحدثين اليوم –عادة– ما نوجّه انتقاداتنا لعلمائنا القدامى الأجلاء نعيب عليهم فيها إغفال أو إهمال بعض المسائل اللغوية، أو النحوية، أو الصّرفية، أو الصّوتية، وعدم التعرض لها بشيء من التحليل، والشرح المستفيض، والتعليل، وبالأدلة المنطقية العقلية المقنعة حتى لا يبقى الحبل على الغارب، ولا تترك المسائل العلمية الشائكة معلّقة، وبذلك تكثر فيها الآراء، وتتشعّب، وتتعدد فيها الخلافات والنظريات، وتتناقض مما يجعل القارئ في حيرة، واضطراب أمام هذا الركام الهائل من الأحكام، والآراء، والنظريات الجُزئية المتضاربة المتناقضة في حقيقتها؛ فلا يمسكها ببعضها إلا خيط العنكبوت الدقيق الواهي الذي يتمزق وينحلّ لأبسط هزّة، أو هبوب ريح.

إنّ هذا العدد الضخم من الآراء، والنظريات، والأحكام في اللغة العربية جعل الدّارس –مرّة أخرى– يضيع؛ ويتيه في كثير من الأحيان أمام ما يُعدّ قياسيا عند بعضهم، وأمام ما يُعتبر شاذا. فما هو قياسيّ عند هذا العالِم اللغوي، فهو شاذ عند ذلك العالم الآخر. والعكس صحيح.

ولو حاولنا أن نعرض كثيرا من المسائل اللغوية، والصّرفية، والنحوية على العقل والمنطق لإيجاد الدّليل عليها، أو التعليل لها لوقفنا عاجزين حائرين؛ ولما وجدنا لذلك سبيلا ومَخْرجا غير أنّ ما عِبْنَاه على عُلمائنا الأقدمين في هذا الشأن فقد وقعْنا فيما يُشْبِهُه أو أفْدَح منه؛ من التقصير، والتّهاون لأننا لم نكد نضيف شيئا جديدا إلى ما جاء به أهل اللغة، والتصريف الأوّلين.

وبناءً على ذلك نحاول في الختام تقديم بعض الاقتراحات التي نعتقد أنها مفيدة، وناجعة للموضوع الذي قُمنا ببحثه وإجلاء بعض غوامضه؛ وخفاياه:

---

[1] – كتاب في أصول اللغة؛ مجموعة القرارات التي أصدرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة/ أخرجها وضبطها وعلق عليها: محمد خلف الله؛ محمد شوقي أمين/ الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية –القاهرة–مصر/1969، ص: 34.

1- ضرورة فصل الموضوعات، والمسائل اللغوية النحوية منها والصرفية، والصّوتية عن بعضها عند التطرق إليها بالدّرس، والبحث؛ وإعطاؤها حقها من الشرح، والتحليل؛ والتعليل؛ والاستدلال، ليكون استنباط الأحكام صحيحا سليما لا يشوبه أي تناقض أو اضطراب، أو ضعف، أو تفكك، وكمثال على ذلك موضوع أبنية المبالغة الذي لم يشر إليه الباحثون إلا ضمن معالجة موضوع اسم الفاعل، لا لشيء إلا أنه يشتق من هذا الأخير.

2- ضرورة إعادة النظر في جميع صيغ المبالغة خاصة تلك الأبنية التي يقال عنها: إنّها صيغ سماعية بدراسة مستقلة جادّة، موضوعية، دقيقة، معمّقة قصد إلحاقها بأخواتها القياسية لأنّ الحاجة العصرية، والتطوّر العلمي في شتى مجالات الحياة الثقافية والفنية والأدبية والتقنية يتطلبان ذلك.

3- ويحسن بنا -في الوقت الحاضر- أن نُدخل جميع أبنية المبالغة التي يعتبرها بعضهم سماعية في نطاق القياس لنُنسج على منوالها في شتى مناحي الحياة التي تتسع، وتتشعب كل يوم مادام ذلك لا يضير العربية في شيء؛ ولا يلحق بها أي تشويه أو اختلال، أو ضعف لنجعلها قادرة على مواكبة التطور الحضاري الإنساني الذي يسير بخُطى حثيثة وثابتة.

4- وجوب التخلص من النظرة التقديسية للغة العربية التي تعتبرها منطقة محرمة على الدارسين والباحثين وبالتالي لا يجوز الاقتراب منها لأنها اللغة التي نزل بها القرآن الكريم الذي يصيبه التحريف والتشويه والفساد في الشكل والمضمون إذا ما تعرضت العربية لأي تعديل أو تنظيم أو تطوير أو تصحيح لمفاهيم، أو نظم أو فصول فيها.

وينسى أصحاب هذه النظرة التقديسية للعربية أن القرآن الكريم نفسه دعا إلى التوسع في أصول العربية ومبادئها عن طريق التراكيب، والمفردات، والأساليب الراقية التي استخدمها هنا وهناك في تعابيره المتنوعة.

فقد استخدم مثلا أبنية المبالغة التي عدها بعض علمائنا قياسية نحو: "سمّاع"، "أكّال"، "منّاع"، "كذّاب"، "فخور"، "سميع"، "فرح" ... إلخ. كما استخدم صيغ المبالغة التي اعتبرها بعض علماء العربية سماعية نحو: هُمزة، لُمزة، حُطَمة، كُبَار، فُجَّار، ... إلخ.

وهذه في رأينا دعوة صريحة إلى التطوّر في اللغة، والتوسع فيها وبالتالي نبذ الجمود، والتخلص من مبدأ إبقاء ما كان على ما كان ! ! !؟

5- وحتى نتمكن من تحقيق بعض العناية؛ والدّور الخطير الذي يتعلّق بتيسير العربية، وصمودها، وتحدّيها، ونشرها، وتوسيع رقعة استعمالها بإقبال النّاس عليها، وجعلها تساير الرّكب الحضاري الهائل المدهش مثل غيرها من لغات الدول المتقدّمة في ميادين العلوم والفنون المتشعبة المعقدة يجدر بنا أن نتخلّص من الكلام النظري لننتقل إلى الميدان العملي الذي يجب أن يتجسد في إنشاء المجمع اللغوي الجزائري، وإنشاء معاهد خاصة بالدراسات اللغوية المعمقة على مستوى كل معاهد وجامعات الوطن.

ولا يدخل هذه المعاهد إلا الطلبة الذين أظهروا تفوّقا أكثر من غيرهم في هذا التخصص. وكذا علينا بتوفير الأجهزة، والمخابر، والمراجع اللغوية القيّمة، والأساتذة الأكفّاء من أهل الاختصاص، والخبرة، والبروز في ميدان الدّراسات اللغوية المعمّقة وبذلك نتجنب ترك هذا البحر الذي في أحشائه الدر للزمان يلعب به، وللرّياح تعصف به كما تشاء ... ونحن قادرون -دوما- على صنع المعجزات وخاصة والفرص مواتية، والظروف مناسبة، والرّجال، والأسباب؛ والوسائل العصرية جُلّها متوفر لدينا أكثر من أي وقت مضى لتحقيق هذا المشروع العلمي العزيز الجبّار.

6- وجوب محاربة ظاهرة التهرب من إنجاز البحوث والدراسات اللغوية والنحوية والصرفية واللسانية (علم الأصوات وما يتعلّق به من بحوث ودراسات، من بعيد أو من قريب) بدعوى أنّ البحث فيها شاق وطويل وصعب، وأنّ المراجع والمصادر في هذا الميدان نادرة في الوطن العربي عامة، والجزائر على وجه الخصوص إلى ما هنالك من المبرّرات والأعذار الواهية، والتي لا أساس لها من الصحة، في واقع الأمر، والميدان العملي الملموس.

7- ومع هجوم اللغات الأجنبية للبلدان المتقدمة على البلدان العربية، وفرض سيطرتها على صعيد الخطاب اليومي الشفهي، وتغلغلها في الإدارة والمؤسسات الصناعية والاقتصادية والمالية وغيرها. يجدر بنا أن نعيد النظر في كيفية تقديم دروس العربية بمختلف أنواعها إلى الجيل الحاضر، وإلى الأجيال القادمة التي أصبحت ترفض الطرق والأساليب التقليدية العتيقة العقيمة التي يُقدّم بها تعليم مواد العربية في مدارسنا ومعاهدنا وحتى جامعاتنا العربية في الوقت الحاضر. فإن لم يكن ذلك فإنّ العربية ستقابل بالصدف والهجران والنفور من قبل أبنائها الجُدد.

جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة للعلوم الإسلامية

الفـــــهارس العامـــــة

1 – فهرس الآيات القرآنية.

2– فهرس الأشعار

3– فهرس مصادر البحث ومراجعه.

4–فهرس موضوعات البحث.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

الآيات	رقمها/ الصفحة
سورة البقرة: 2	
- (وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا)	57/20
- (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً).	124/30
- (وأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ المَنَّ والسَّلْوَى).	90/57
- (وقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا).	96/83
- (وإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ).	140/186
- (ولاَ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الكِتَابُ أَجَلَهُ).	99/235
- (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا ولاَ أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ولاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولاَ هُمْ يَحْزَنُونَ).	91/262
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالمَنِّ والأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ ولاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ).	90/264
- (يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا).	77/276
سورة آل عمران: 03	
- (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ والمَلاَئِكَةُ وأُولُوا العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ).	122/18
- (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ).	124/59
- (لاَ يُؤَدِّهِ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا).	58،57/75
- (لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ).	57/113
- (وَلاَ تَهِنُوا ولاَ تَحْزَنُوا وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).	137/139
- (وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ).	54/140
- (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ).	99/159
- (وَإِنْ تَصْبِرُوا وتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ).	99/186
- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وصَابِرُوا ورَابِطُوا واتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).	115/200

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة النّساء: 04

-(وآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً). 165/04
-(الرِّجَالَ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ). 57/34
-(إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا). 34/36
-(ومَنْ يُطِعِ اللهَ والرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الذينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَبِيِينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ وحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا). 166/69
-(وكَانَ اللهُ سَمِيعًا بَصِيرًا). 74/134

سورة المائدة:05.

-(سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ). 75/42
-(وأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ). 167/75
-(فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا). 137/107

سورة الأنعام:06.

-(فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِبُونَكَ). 69/33
-(هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى والبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ). 103/50
-(وَلاَ أَعْلَمُ الغَيْبَ). 74/51
-(وَلاَ تَسُبُّوا الذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ). 96/108
-(شَيَاطِينُ الإِنْسِ والجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورًا). 63/103
-(وأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ولاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ). 175/153

سورة الأعراف:07.

-(والإِثْمَ والبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ). 137/33
-(وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وادْعُوه خَوْفًا وطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ). 126/56
-(ولَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ لَهُمْ قُلُوب لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا، ولَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا، ولَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ). 102/179
-(إِنَّ الذِينَ اتَّقُوا إِذَا مَسَّهُم طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ). 90/201

سورة التوبة:09.

- (وَ المُؤتفِكَاتِ أتتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالبيّنَاتِ). 72/70
-(علاّمُ الغُيُوبِ). 104/116

سورة يونس:12.

-(وبَشّرْ الذينَ آمَنُوا أنَّ لهُمْ قدَمَ صِدْق عِنْدَ رَبّهِمْ). 119/03
-(وَفرِحُوا بهَا). 160/22

سورة هود:11.

-(وَما منْ دابَّةٍ في الأرض إلاّ على الله رزقُها ويَعْلَمُ مُستقرَّهَا ومُستَودَعَهَا). 58/06
-(يقدُمُ قومَهُ يَوْمَ القيامةِ فأوْرَدهُمْ النّارَ). 119/98

سورة يوسف:12.

-(بدم كَذِب). 69/18
-(إنّي حفيظٌ عليمٌ). 140،104/55
-(و لا تَيْأسُوا منْ روْح الله إنّهُ لا ييأسُ من رَوْح الله إلاّ القومُ الكافِرُون). 97/87

سورة الرّعد:13.

-(عالمُ الغيْب و الشّهادة). 104/09
-(فأمّا الزّبَدُ فيذْهبُ جُفاءً و أمّا ما ينفعُ النّاس فيمكُثُ في الأرْض). 116/17
-(وفرِحُوا بالحياة الدُّنيا). 160/26

سورة إبراهيم:14.

-(تُؤتي أكلَهَا كُلَّ حين بإذْن رَبّهَا). 77/25

سورة الحِجْر:15.

-(إنّا نَحْنُ نَزّلْنَا الذّكرَ و إنّا لهُ لحَافِظُونَ). 59/09

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة النحل:16.

-(أمْ يَدُسُّهُ في التُّرَابِ). 60/59
-(هُدًى ورَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون). 144/64
-(وجَادِلْهُم بِالتي هِيَ أَحْسَنُ). 96/125

سورة الإسراء:17.

-(ويَدْعُ الإنْسَانُ بالشَّرِّ دُعَاءهُ بالخَيْرِ وكَانَ الإنْسَانُ عَجُولاً). 100/11
-(ومَا أُتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً). 121/85
-(قُلِ ادْعُوا اللهَ أوادْعُوا الرَّحْمَنَ). 145/110

سورة الكهف:18.

-(إذْ قَامُوا فقَالُوا: رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ والأرْض). 57/14
-(فَأَرَدْتُ أَنْ أعيبَهَا). 93/79
-(قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ ربِّي ولَو جِئْنَا بِمِثْلِه مددًا). 60/109

سورة مريم:19.

-(واذْكُرْ في الكِتَابِ إبْرَاهِيمَ إنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيئًا). 166/41
-(واذْكُرْ في الكِتَابِ إسْمَاعِيلَ إنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ). 168/54

سورة طه:20.

-(ولاَ تَعْجَلْ بالقُرْآنِ من قَبْلِ أَنْ يُقضَى إلَيْكَ وَحْيُهُ وقُلْ رَبِّي زِدْنِي عِلْمًا). 100/114
-(ولَقَدْ عَهِدْنَا إلَى آدَمَ من قَبْلُ فَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا). 99/115
-(فقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أو يَخْشَى). 96/144

سورة الأنبياء:21.

-(وأَوْحَيْنَا إلَيْهِمْ فِعْلَ الخَيْرَاتِ). 84/73
-(وهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) 144/75

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة الحجّ:22.

-(هُوَ الّذي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقةٍ). 124/05

سورة المؤمنون:23.

-(والّذينَ هُمْ للزَّكَاةِ فَاعِلُونَ). 85/04

سورة النور:24.

-(اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ). 112،51/35

سورة الفرقان:25.

-(وقَدِمْنَا إلَى مَا عَمِلُوا منْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا). 120/23
-(قَالُوا: وَمَا الرَّحْمَنُ). 144/60
-(وكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا). 57/67

سورة الشّعراء:26.

-(وفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الّتِي فَعَلْتَ). 84/19
-(وإنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ). 155،154/56

سورة النمل:27.

-(صُنْعَ اللهِ الّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ). 126/88

سورة القصَص:28.

-(إنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الفَرِحِينَ). 160/76
-(مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا). 89/82

سورة الرُّوم:30.

-(وهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ). 79/03
-(أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا في أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ ومَا بَيْنَهُمَا إلاَّ بِالْحَقِّ وأَجَلٍ مُسَمًّى) 103/08

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة لقمان:31.

-(إنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ). 110/18

سورة الأحزاب:33.

-(لاَ مَقَامَ لَكُمْ). 57/13
-(والذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا). 14/35
-(وكَانَ بالمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا). 144/43
-(إنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ والجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وأَشْفَقْنَ مِنْهَا وحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً). 126/72

سورة سبأ:34.

-(ويَرَى الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الحَقُّ). 122/06

سورة فاطر:35.

-(ولاَ يَغُرَّنَّكُمْ باللهِ الغَرُورُ). 51/05
-(إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ). 104/28،140،161

سورة يس:36.

-(أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وهُوَ الخَلاَّقُ العَلِيمُ). 35/81،104

سورة الصّافّات:37.

-(بَلْ جَاءَ بالحَقِّ وصَدَّقَ المُرْسَلِينَ). 166/37

سورة الزمر:39.

-(والَّذِي جَاءَ بالصِّدْقِ وصَدَّقَ بِهِ). 167/33
-(هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ) 14/38

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة غافر:40.

-(يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ ومَا تُخْفِي الصُّدُورُ). 55/19

سورة فصّلت:41.

-(فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ). 57/06
-(إِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ). 94/34
-(ومَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ). 35/45
-(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ). 103/53

سورة الزخرف:43.

-(أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى). 75/80

سورة الدّخان:44.

-(مُعَلَّمٌ مَجْنُون). 105/14
-(إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ، طَعَامُ الأَثِيمِ). 139/44،43

سورة الأحقاف:46.

-(قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا). 71/22
-(فَاصْبِرْ كَمَ صَبَرَ أُولُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ولاَ تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ). 99/35

سورة محمد:47.

-(إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ ويُثَبِّتْ أَقْدَامِكُمْ والَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ). 137/9،8

سورة الحجُرات:49.

-(لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ولاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ). 58/11
-(أَيُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا). 3،78/12

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة ق:50.

-(أوْ ألقى السَّمْعَ وهُوَ شَهيدٌ). 74/37

سورة الذّاريات:51.

-(يُوفكُ مَنْ أفِكَ). 71/09

سورة الطّور:52.

-(إنَّا كُنَّا فِي أهْلِنَا مُشْفِقِينَ). 134/36

سورة النّجم:53.

-(مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأى). 68/11
-(والمُؤْتَفِكَةَ أهْوَى). 72/53

سورة القمر:54.

-(خُشَّعًا أبْصَارُهُمْ). 14/07

سورة الرّحمن:55.

-(خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ صلْصَالٍ كَالفَخَّار). 110/14

سورة المجادلة:58.

-(قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ التي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا). 75/01
-(يَرْفَعُ اللهُ الذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ والذينَ أوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ). 122/11

سورة الحشر:59.

-(للفُقَرَاءِ المُهَاجِرِينَ الذينَ أخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وأمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ ورِضْوَانًا ويَنْصُرُونَ اللهَ ورسُولَهُ أوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ). 168/08
-(هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لهُ الأسْمَاءَ الحُسْنَى). 34/24

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة التحريم:66.

-(وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا). 167/12

سورة القلم:68.

-(وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ). 89/03
-(وإنّكَ لعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ). 135،94/04
-(ولا تطع كل حلاف مهين، هماز ،مشاء بنميم، مناع للخير، معتد أثيم). 31/12،11،10

سورة الحاقة:69.

-(في عيشة راضية). 36/21
-(ولو تقول علينا بعض الأقاويل). 87/44

سورة المعارج:70.

-(والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم). 34/24

سورة نوح:71.

-(ومكروا مكرا كبارا). 30/22

سورة القيامة:75.

-(لا تحرك به لسانك لتعجل به). 100/16

سورة الإنسان:76.

-(إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج، نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا، إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا). 125/3،2

سورة النبأ:78.

-(وجعلنا سراجا وهاجا). 50/13

سورة عبس:80.

-(وحدائق غلبا). 80/30

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة التكوير:81.

-(فلا أقسِمُ بالخُنَّس الجَوَار الكُنَّس). 62/16،15

سورة الانشقاق:84.

-(فلا أقسِمُ بالشَّفَق). 134/16

سورة البروج:85.

-(فعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ). 35/16

سورة الأعلى:87.

-(سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلى، الذِي خَلَقَ فَسَوَّى، والذِي قَدَّرَ فَهَدَى). 126/3،2،1

سورة الغاشية:88.

-(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت). 104/20،19،18،17

سورة الشمس:91.

-(ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها). 162/10،9،8،7

-(قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها). 60/10،9

سورة العلق:96.

-(اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق). 124/2،1

-(اقرأ باسم ربك الذي خلق). 144/01

-(خلق الإنسان من علق). 144/02

سورة البينة:98.

-(فيها كتب قيمة). 58/03

سورة الهمزة:104.

-(كلا لينبذن في الحطمة). 172/04

ملاحظة: تسجل الآية هنا مرّة واحدة مع الإشارة إلى رقم كلّ صفحة وردت فيها تلك الآية نفسها بصفة مكررة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهـــرس الأشعـــــار

الشّـاهـــد	الصفحة
حرف الهمزة المضمومة	
وَمَا أدْري، وسَـــوْفَ إخَـالُ أدْري * أقومٌ آلُ حِـــصْنٍ أمْ نِـــسَـــاءُ؟	058
حرف الهمزة المكسورة	
أعيشُ رَغْمَ الـدَّاءِ وَالأعْـــــدَاء * كالنَّسْـرِ فَوْقَ القِمَّـةِ الشَّمَّـــاء	107
حرف الباء المفتوحة	
إذَا التِي رَقَأتْ بَعْدَ الـكَرَى وذَوَتْ * وأحْـدَثَ الرَّيْقُ بالأفْـوَاهِ عَـيَّابَا	093
فَـمَا كَـانَ ذَنْـــبُ بَنِـي مَـالِـــكٍ * بِأنْ سُبَّ مِنْهُمْ غُـلاَمٌ فَسَـــبَّ	095
تَـرَوَّحْنَا مِنَ اللَّعْبَاءِ قَصْـــــرًا * وأعْجَلَنَا إلاهَـــةُ أنْ تَـؤُوبَـــا	114
وَلَكِنْ إذَا مَا حَـلَّ خَـطْبٌ فَسَامَحَـتْ * بِهِ النَّفْسُ يَوْمًا، كَانَ لِلكُرْهِ أذْهَـا	123
أوْدَى الشَّبَابُ، وحُـبُّ الـخَالَةِ الخَلِبَه * قَدْ بَرِئْتُ، فَمَا بِالقَلْبِ مِنْ قَلَبَـــه	067
إذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْـنَ عَيْنَيْـهِ عَـزْمَـهُ * وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ العَوَاقِـبِ جَانِبَا	099
حرف الباء المضمومة	
إذا اضطـرَبَ الـمُمَرُّ بِجَانِبَيْهَـا * تَـرَتَّمُ قَيْلَةٌ صَخِـــبٌ طَـرُوبُ	064
..... * إنَّ الضَّقَادِعَ فِي الغُدْرَانِ، تَصْطَخِبُ	064
أنَا الـرَّجُلُ الـذِي قَـدْ عِيْتُمُـوهُ * وَمَا فِيهِ لِعَيَّـــابٍ مَـعَـــابُ	093
أعَـــاقِرٌ كَـــذَاتِ رَحْـــمٍ * أمْ غَانِـــمٌ كَمَـــنْ يَخِيـــبُ؟	145
فَـإذَا سَمِعْتَ بِأنَّنِي قَـــدْ يِعْتُكُـــمْ * بِوِصَـــالِ غَانِيَةٍ، فَـقُلْ كَذَّبْـتُ	068
أنْـتَ مِنْ عُنْصُـــرِ الخُلُودِ لُبَـــابُ * كُـنْ إلى المَـجْدِ طَامِحًا يَا شَبَـابُ	102
مِشْعَـــلُ العِلْمِ فِي يَمِينِكَ يُهْـــدَى * كُـلُّ سَارٍ بِهِ وَيُجْلَى الـضَّبَـابُ	102
لَـكَ دِيـنٌ مَـدَى الدُّهُورِ عَزِيـزٌ * يُبْـذِلُ الـمَالُ دُونَـــهُ والرِّقَـابُ	102
فَـلَوْ أنَّ مَـحْمُودًا يُخَيَّرَ مُـدَنَّفًـا * تَنَشَّقَ رَيَّاهَـــا، لأقْلَـــعَ صَالِبُـه	169
فَـــصَدَقَتْهَـا وكَـــذَبْتُـــهَا * والـمَـرْءُ يَنْفَعُـــــهُ كِذَابُـــهَ	165
لَـــكَ مَـــضِ مَا مِثْلُهُ قَطُّ مَـاضٍ * تَتَبَاهَـــى بِمَجْـــدِهِ الأحْقَـــابُ	102
ولِسَـــانٌ لَمْ يَـدْنُ مِنْـهُ لِسَـــانٌ * وكِتَـــابٌ لَـمْ يَـدْنُ مِنْهُ كِتَـــابٌ	102
تَـلْكَ فِينَـــا وَدِيعَـةُ السَّلَفِ الـــزَّا * كِـي فَهَلاَّ تَصُونُـهَا الأحْـقَـــاب	102

نَـازَعْتَنَا يَـدُ الـزَّمَانِ عَلَيْـهَـا، * وتَغَالَـى فِـي نَهْبِهَا النُّهَّـابُ 129
يَا شَبَابُ إتجهْ إلى الـشَّرق، واحْفَظْ * كُلَّ كَنْـزٍ لهُ إلَيْـهِ انْتِسَـابُ 129
إنَّـمَا الـشَّرْقُ نِسْبَـةُ الـعَـرَبِ * الأحْرَارِ لَمْ تَنْقَطِعْ لَهَا أسْبَـابُ 129
إنَّـمَا الـشَّرْقُ للعُرُوبَةِ كَـهْـفٌ * آمِـنُ الظِّـلِّ لاَ يُصَـابُ 129
إنَّـمَا الـشَّرْقُ للعُرُوبَةِ وكْـرٌ * مِـنْ بَيْنِهَا تَؤُمُّـهُ أسْـرَابُ 129
أسْـكُتْ إوْلاَ تَنْطِـقْ، فَأنْتَ خَيَّـابُ * كَأنَّكَ ذُو عَيْبٍ، وأنْـتَ عَيَّـابُ 093

حرف الباء المكسورة

لاَ تَنْفُـرِي يَا نَـاقُ مِنْـهُ فَإنَّـهُ * شِـرِّيبُ خَـمْرٍ مِسْعَرٌ لِحُـرُوبِ 023
قَالَتْ لَهُ الـعَيْنَانِ: سَمْعًا وطَاعَـةً * وحَـدَّرَتَا كَالـدُّرِّ لَمَّا يُثَقَّـبِ 087
كَيْمَا أعُدَّكُـمْ لأبْعَـدَ مِنْكُـمْ * ولَقَدْ يُجَاءُ إلَـى ذَوِي الأعْيَـابِ 093
قُدَيْدِمَـةَ التَّجْرِيـبِ والـحِلْمِ أنَّنِـي * أرَى غَفَلاَتِ العَيْشِ قَبْلَ التَّجَـارِبِ 119
لَيْـسَ الـجَـمَالُ بِأثْوَابٍ تُـزَيِّنُنَـا * إنَّ الـجَمَالَ جَـمَالُ العِلْـمِ والأدَبِ 129
يَتَـحَدَّثُونَ مَـخَافَـةً ومَـلاَذَةً * ويُعَـابُ قَائِلُهُمْ وإنْ لَـمْ يَشْغَـبِ 055
أخُـنَاسُ قَـدْ هَامَ الـفُؤَادُ بِكُـمْ * وأصَابَـهُ نَبْلٌ مِـنَ الـحُـبِّ 062
قَلاَ مَا مَضَى يُثْنَى، ولاَ الشَّيْبُ يُشْتَرَى * فَاصْفِقْ، عِنْدَ السَّوْمِ، بَيْـعَ المُخَالِبِ 066
وغَيْـثٍ يَدَكْـدَاكٍ، يَـزِينُ رِهَـادَهُ * نَبَاتٌ كَوَشْـيِ العَبْقَـرِيِّ المُخَلَّـبِ 067
نَـادَتْ حَلِيمَةُ بِالـرَّحِيلِ وَدَاعِ، وأذَنَتْ * أهْـلَ الصَّفَاءِ، ووَدَّعَتْ بِكِـذَابِ 068
عَـرَاقِيبَ كُـومٍ، طِـوَالَ الـذُّرَى * تَخِـرُّ بَوَانِكُـهُ لِلرُّكَـبِ 095

حرف التّاء المضمومة

مَـلَكْتُمْ فَلَمَّا أنْ مَـلَكْتُمْ خَلَبْتُـمْ * وشَـرُّ المُلُوكِ الغَـادِرُ، الخَلْبُوتُ 066
غَلَبَـاءُ وَجْنَـاءُ عُلْكُـومٌ مُـذَكَّرَةٌ 080

حرف التّاء المكسورة

قَـدْ صُمْـتُ رَبِّي، فَتَقَبَّلْ صَامَتِـي 056
وقُمْـتُ لَيْلِي، فَتَقَبَّلْ قَامَتِـي 056
أدْعُـوكَ يَا رَبِّ مِنَ النَّارِ التِّـي 056
تَطَّلِـعُ رِيَّاهَا مِـنَ الكَفَـرَاتِ 169

حرف التّاء الساكنة

..... * فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الحَدِيثَ وأسْمَحَـتْ 123

حرف التّاء المكسورة

رَسُــولٌ أتَاهُـــمْ صَادِقٌ، فَتَكَذَّبُــوا * عَلَيْـــهِ وقَالُوا: لَسْتَ فِينَا بِمَاكِــثِ 069

حرف الجيم المضمومة

كَأنَّ ابْنَــةَ السَّهْــمِي دُرَّةُ غَائِـــصٍ * لَــهَا، بَعْــدَ تَقطِيعِ النُّبوحِ، وهِيــجُ 050
قَلْـــبِي دِينَـــهُ واهْتَاجَ لِلــشَّوقِ إنَّــهَــا * عَلَى الشَّوْقِ إخْوَانَ العَزَاءِ هَيُــوجُ 013
فِي صَحْــنِ بَهْمَاءَ يَهْتِفُ السَّرَابُ بِــهَا * فِي قَرْقَرٍ يِلْعَابِ الشَّمْسِ مَضْــرُوجُ 114
..... * أجْوَلِيٌّ ذُو مَيْعَـــــةٍ إضْرِيـــــجُ 101

حرف الحاء المضمومة

هَبَطْــنَ بَطْنَ رُهَــاطٍ واعْتَصَبْنَ كَمَا * يَسْقِي الجُذُوعَ، خِلالَ الدُّورِ نَضَّــاحُ 082
ولَــمْ يَخْشَوْا مَــصَالَتَــهُ عَلَيْهِـــمْ * وتَحْــتَ الــرَّغْوَةِ اللَّبَنُ الصَّرِيـــحُ 097

حرف الحاء الساكنة

رُوَيْــدَكَ لا يَـــخْدَعَنْكَ الـــرَّبِيـــعُ * وصَــحْوُ الفَضَاءِ وضَوْءُ الصَّبَــاحْ 082
فَفِــي الأُفُــقِ الرَّحْبِ هَــوْلُ الظَّلامِ * وقَصْــفُ الرُّعُودِ وعَصْفُ الرِّيَــاحْ 082
ولا تَــهْزَأَنَّ بِنَــوْحِ الـــضَّعِيــفِ * فَمَــنْ يَبْذُرِ الشَّوْكَ يَجْنِ الجِــرَاحْ 082

حرف الدّال المفتوحة

مُسَامِيَــةٌ خَـــوْصَاءُ ذَاتُ نَثِيلَــةٍ * إذَا كَــانَ قَيْــدَامُ المَــجَرَّةِ أقْــوَدَا 119
غُـــرَيْرِيَّةُ الأنْــسَابِ أوْ شَدَقَمِيَّــةٌ * يَصِلْـــنَ إلَى اليَبْـــدِ القَذَافِدِ فَدْفَدَا 052
قَالَــتْ لَهُ الــطَّيْرُ: تَقَــدَّمْ رَاشِدًا * إنَّـــكَ لا تَـــرْجِعُ إلاَّ حَامِــدَا 086،087
وَجَــالَ جُــؤُولَ الأخْــذَرِيُّ بوَافِــدٍ * مُغِـــدٍّ، قَلِيـــلاً مَا يُنِيخُ لِيَهْجُــدَا 100
أمَا كَانَ فِي مَعْدَانَ والقِيلِ، شَاغِـــلٌ * لِعَنْبَسَةَ الرَّاوِي عَلَيَّ القَصَــائِدَ !؟ 168
إذَا أنْــتَ أكْرَمْتَ الكَرِيمَ مَلَكْتَــــهُ * وَإنْ أنْـــتَ أكْــرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَــرَّدَا 147

حرف الدّال المضمومة

أتَانِـــي أنَّـــهُمْ مَزِقُونَ عِرْضَـــي * جِـــحَاشُ الكِرْمَلَيْــنِ قَدِيـــــدُ 014، 029
فِيـــهَا النُّجُومُ تُطِيعُ غَيْــرَ مُــرَاحَــةٍ * مَا قَالَ صَيْدَقُهَا الأمِيـــنُ الأرْشَــدُ 166
القَائِـــدُ الـخَيْلَ مِنْ أُلومَـــــةٍ أوْ * مِـــنْ بَطْـــنِ وَادٍ، كَأنَّـــهَا العَجَــدُ 132

حرف الدّال المكسورة

عَـــلامَا قَـــامَ يَشْتُمُنِـي لَئِيـــمٌ * كَخِنْـــزِيرٍ تَمَـــرَّغَ فِـــي رَمَـــادِ؟ 057
عِـــشْ عَزِيزًا أوْ مُتْ وأنْـتَ كَرِيـمٌ * بَيْـــنَ طَعْنِ القَنَا وخَـــفْقِ البُنُـــودِ 068، 115
قَـــرْوُسُ الـــرِّمَاحِ أدْهَبُ لِلْغَيْـــظِ * وأشْقَـــــى لِغِـــلِّ صَـدْرِ الحَقُـــودِ 115

لاَ خَيْـــرَ فِيهِ غَيْـــــرَ أَنْ لاَ يَهْتَـــــدِ، 098
وَأَنَّـــــهُ ذُو صَوْلَةٍ فِي المِـــــــزْوَدِ، 098
وَأَنَّـــــهُ غَيْرُ ثَقِيلٍ فِـــــــي اليَـــدِ، 098
فِـــي حَالِكِ اللَّوْنِ صَدَقٌ غَيْرُ ذِي أَوَدِ 165

حرف الرَّاء المفتوحة

وَإِنَّـــي لاَ أَسْتَحْيِي، وفِي الحَقِّ سِمْسَحٌ * إِذَا جَـــاءَ بَاغِي العُرْفِ، أَنْ أَتَعَذَّرَا 123
جَـمَالِيَّـــةٌ تَغْتَلِـــي بالـــــرِّدَافِ * إِذَا كَـــذَبَ الآثِـمَاتُ الـــهَجِيـــرَا 138

حرف الرَّاء المضمومة

ضَـرُوبٌ بِنَصْلِ السَّيْفِ سُوقَ سِمَانِهَا * إِذَا عَـــدِمُوا زَادًا فَإِنَّـــكَ عَاقِـــرُ 027
إِنَّ أَمْـرَأً غَـرَّهُ مِنْكُنَّ وَاحِـــــدَةٌ * بَعْـدِي وبَعْدَكِ فِي الدُّنْيَا، لَمَـــغْرُورُ 051
كَـــأَنَّ القُتُـــودَ عَلَـــى قَـــارِحٍ * أُطَـــاعَ الـــرَّبِيعِ لَهُ الغِرْغَـــرُ 052
وَمَا أَنَا وَحْـــدِي قُلْتُ ذَا الـــشِّعْرَ كُلَّـــهُ * وَلَكِنْ لِشِـــعْرِي فِيكَ مِنْ نَفْسِهِ شِـــعْرُ 036
إِذْ لاَ تَـــزَالُ لَكُـــمْ مُغَـــرْغِـــرَةٌ * تَغْلِـــي وأَعْلَـــى لَوْنَـــهَا صَهْـــرُ 052
إِذَا مَا الـــقَلاَسِيُّ والعَـــمَائِمُ أَخْنَسَـــتْ * فَقِيهِـــنَّ عَنْ صَلْعِ الرِّجَالِ حَسُـــورُ 061
مَـــنْ رَأَيْـــتَ الـــمَنُونَ عَزَّيْـــنَ أَمْ مَنْ * ذَا عَلَيْـــــهِ مِنْ أَنْ يُـــضَامَ خَفِيـــرٌ 089
أُحِـــبُّ الـــصَّبِيَّ السُّوءَ مِنْ أَجْلِ أُمِّـــهِ * وَأُبْغِضُـــــهُ مِنْ بُغْضِهَا وَهُـــوَ حَـاذِرٌ 154
إِنَّ الرَّزِيَّـــةَ مِنْ ثَقِيـــفٍ هَالِـــــكٌ * تَـــرَكَ العُيُونَ، فَنَوْمُهُنَّ غِـــرَارُ 052

حرف الرّاء المكسورة

..... * يَمْشِـــي كَمَشْـــيِ الـــفَرِحِ الفِخِّيـــرِ 110
ثُـــمَّ زَادُوا أَنَّـــــهُمْ فِي قَوْمِهِـــــمْ * غُفُـــرٌ ذَنْبَهُمْ غَيْـــرُ فُخْـــرِ 015
حَـــذِرٌ أُمُـــورًا لاَ تَخَافُ وَآمِـــنٌ * مَالَيْـــسَ مُنْجِيَهُ مِـــنَ الأَقْـــدَارِ 154،29،28
وَإِنِّـــي لَصَبَّارٌ عَلَـــى مَا يَنُوبَنِـــي * وَحَسْبُـــكَ أَنَّ اللهَ أَثْنَى عَلَى الـصَّبْـرِ 031
وَلَسْـــتُ بِنَظَّارٍ إِلَى جَانِـبِ الغِنَـــى * إِذَا كَانَـــتِ العَلْيَاءُ فِي جَانِبِ الفَقْـــرِ 031
فَأَصْمَـــتُّ عَمْـــرًا وَأَعْمَيْتُـــــهُ * عَـــنِ الجُودِ والـفَخْرِ، يَوْمَ الـفِخَـارِ 110
فِي فِئَـــةٍ بُسُـــطِ الأَكُـفِّ مَسَامِـــحٍ * عِنْـــدَ الـــفِضَالِ نَدِيمُهُمْ لَمْ يَدْثُـــرِ 123
قَدْ حَجَـــمَ النَّدْيُ عَلَـــى نَحْـــرِهَا * فِـــي مُشْـــرِقٍ ذِي بَهْجَةٍ نَاضِـرِ 127
وَهَـــلْ يَاثِمَنِّي اللهُ فِي أَنْ ذَكَـــرْتُهَا * وَعَلَّلْـــتُ أَصْحَابِي بِهَا لَيْلَـةَ النَّقْـرِ؟ 138
يَسْتَيْقِظُـــونَ إِلَى نُـــهَاقِ حَمِيرِهِـمْ * وَتَنَـــامُ أَعْيُنُهُمْ عَـــنِ الأَوْتَـــارِ 151
وَإِذَا طَلَبْتَ المَجْدَ أَيْـــنَ مَحَلُّـــهُ * فَاعْمِـــدْ لِبَيْتِ رَبِيعَـــةَ بْنِ حُـــذَارِ 155
حَـــذَارِ مِنْ أَرْمَـــاحِنَا حَـــذَارِ! * أَوْ تَجْعَلُـــوا دُونَكُـــمْ وَبَـــارِ 154

حرف الزاي المكسورة

لا يَأخُـذُ التَّأفِيـــكَ والتَّحَـــــزِّي * فِينَا، ولاَ قَـــولَ العِـــــدَى ذُو الأزِّ 071

حرف السّين المضمومة

ضَحُـوكُ الـسِّنِّ إنْ نَـطقُوا يخَيْـرٍ * وعِنْـدَ الـشَّرِّ مِـطْرَاقٌ عَبُـــوسُ 031

حرف السّين المكسورة

وَطَنِـي لَوْ شُغِلْـتُ بِالخُلْدِ عَنْـــهُ * نَازَعَتْنِـي إلَيْـهِ فِي الخُلْدِ نَفْسِـــي 136،84
شَهِـدَ اللهُ لَـمْ يَغِـبْ عَنْ جُفُونِـــي * شَخْصُـــهُ، ولَمْ يَخْـلُ حِسِّـــي! 136،84
قَطَائِـعُ مَاشٍ كَذَّبَـتْ كُـلَّ مَزْعَـــمٍ * لَهُـمْ ورَمَتْ مَا رَوَّجُـــوهُ بِإفْـلاَسِ 143،142،103
دِيَـارٌ مِنَ الـسُّكَّانِ نُخْلَـى نِكَايَـةً * وعَسْفًا وأحْيَاءُ تُسَـاقُ لأرْمَـــاسِ 143،142،103
وشِيـبٌ وشُبَّـانٌ يُسَامُـونَ ذِلَّـــةً * بأنْـــوَاعِ مَكْرٍ لاَ تُحَـدُّ بِمِقْيَـــاسِ 143،142،103
وَغِيـدٌ مِنَ البِيضِ الـحِسَانِ أوَانِـسٌ * تُهَانُ عَلَى أيْـــدِي أرَاذِلَ أنْكَـــاسِ 143،142،103
ويُسْلَبْـــنَ مِـنْ حَلْـيٍ لَهُنَّ مُرَصَّـــعٍ * بِكُـلِّ كَرِيـمٍ مِنْ جُمَـانٍ وأَلْمَـــاسِ 143،142،103
ويُنْكَبْـنَ فِي عِـرْضٍ لَهُنَّ مُطَهَّـــرٍ * مَصُونِ الحَوَاشِي طَيِّبِ العَرْفِ كَالآسِ 143،142،103

حرف الشّين المضمومة

أَلْقَـــى صُـدُورَ الخَيْلِ وهِيَ عَوَابِسٌ * وأنَا ضَـحُوكٌ نَـــحْوَهَا وبَشُـــوشُ 032

حرف الضّاد المكسورة

هَـجُومٌ عَلَيْهَا نَفْسَـهُ غَيْرَ أنَّـــهُ * مَتَـى يُرْمَ فِي عَيْنَيْهِ بِالشَّبَحِ يَنْهَـضِ 013

حرف الظّاء المفتوحة

وَمِـــنَ النَّاسِ مَـنْ يَعِـشْ شَقِيًّـــا * حِيفَـــةَ اللَّيْـلِ غَافِـلَ اليَقْظَـــهْ 150
فَـإذَا كَانَ ذَا حَيَـــاءٍ وَدِيـــنٍ * رَاقَـــبَ اللهَ واتَّقَـــى الحَفَظَـــهْ 150
إنَّمَـــا النَّاسُ سَائِـــرٌ ومُقِيـــمٌ * والَّـــذِي سَـــارَ لِلْمُقِيمِ عِظَـــهْ 150
جَـــاءَتْ قُرَيْـشٌ تَعُودُنِي زُمَـــرًا * وقَـدْ وَعَـى أجْـرَهَا لَهَا الـــحَفَظَـــهْ 150
ولَـمْ يَعُدْنِـي سَهْـمٌ ولاَ جُمَـــــحٌ * وعَادَنِـــي الـغُـرُّ مِـنْ بَنِي يَقْظَـــهْ 150
لاَ يَبْرَحُ العِزُّ فِيهِمُ أبَـــدًا * حَتَّـى تَـــزُولَ الجِبَالُ مِنْ قَرَظَـــهْ 150

حرف العين المفتوحة

ضَـــرُوبًا بِلَحْيَيْهِ عَلَـى عَـظْمِ زَوْرِهِ * إذَا الـــقَوْمُ هَـــشُّوا لِلْقِعَالِ تَقَنَّعَـــا 084
إنَّ الـــجَزَائِرَ قِطْعَـــةٌ قُدْسِيَّـــةٌ * فِـي الـــكَوْنِ لَحَنَّهَا الرَّصَاصُ ووَقَّعَا 113
وقَصِيدَةٌ أزَلِيَّـــةٌ، أبْيَاتُـــهَـــا * حَـــمْرَاءُ، كَانَ لَهَا (نُوفَمْبَرُ) مَطْلَعَـــا! 113
نَظَمَـــتْ قَوَافِيَهَا الجَمَاجِمُ فِي الوَغَى * وسَقَـــى الـنَّجِيـــعُ رَوِيَّهَا فَتَدَفَّعَـــا 113
غَنَّـــى بِهَا حُرُّ الـضَّمِيرِ، فَأيْقَظَـــتْ * شَـعْبًا إلَى الـــتَّحْرِيرِ شَمَّـرَ مُسْرِعَـــا 113

قــــوْمٌ بُيُوتُهُمْ أمْــنٌ لِجَارِهِـــــمْ * يَوْمًا إذَا ضَمَّتْ المَحْذُورَةُ القَزَعَا 155
لَـمْ يَـلْكُ مَعْرُوفُكَ بَـــرْقًا خُلَّبًـــا * إنَّ خَيْـرَ البَرْقِ مَا الغَيْثُ مَعَـــهْ 067

حرف العين المضمومة

أغَرَّ هِشَامًا مِنْ أخِيهِ ابْنِ أمِّـــــهِ * قَـــوَادِمُ ضَأنٍ يَسَّرَتْ وَرَبِيـــعِ 051
صَخِبُ الشَّوَارِبِ لاَ يَزَالُ، كَأنَّـهُ * عَبْدٌ، لآلِ رَبِيعَـــــةَ مُسْبَـــــعُ 065
أمِنَ المَنُونِ وَرَيْبِهِ تَتَوَجَّـــــــعُ * والدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْـزَعُ! 089
إذَا أنْتَ أكْثَرْتَ الأخِلاَّءَ، صَادَفَتْ * بِهِمْ حَاجَةً بَعْضَ الَّذِي أنْتَ مَانِعُ 159
إذَا أنْتَ لَمْ تَبْرَحْ تُؤَدِّي أمَانَـــــةً * وتَحْمِلُ أخْرَى أفْرَحَتْكَ الوَدَائِـعُ 159
إذَا قَـلَّ مَالُ المَرْءِ قَلَّ صَدِيقُـــهُ * وأوْمَـأتْ إلَيْهِ بِالعُيُوبِ الأصَابِع 168

حرف العين المكسورة

عَفَتْ بَعْدَ أتْرَابِ الخَلِيطِ، وقَدْ تَرَى * بِهَا بُدَّنًا خُورًا حِسَانَ المَدَامِـــعِ 052
إذَا مَا أتَاهُنَّ الـــحَبِيبُ رَشَفْنَـــهُ * رَشِيفَ العُرَيْرِيَّاتِ مَاءَ الوَقَائِعِ 052
أفْرَيْنِ، إنَّكَ لَوْ رَأيْتَ قَـــوَارِسِي * نَعَمًا يَئِـــنَ إلَى جَوَانِبِ صَلْقَعِ 055
حَـدَّثْتَ نَفْسَكَ بِالْقَسَاءِ، ولَمْ تَكُـــنْ * لِلْغَـــدْرِ خَائِنَةً مُغِلَّ الإصْبَـــعِ 055
ألا يا أم فـــارع لا تلومـــــي * علـى شيء رفعت به سماعي 075
تـعدل ذا الـــــميل إن رامنـــا * كـم عـدل الـغرب بالمسمـع 075
صـــدق حـــسام وادق حـــــده * ومـــحناء أسمـــر قـــراع 165

حرف الفاء المضمومة

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع * مـن الـمال مسحت أو مجنف 079

حرف القاف المفتوحة

أكذب الـــنفس إذا حـــــدثتهـــا * غـير أن لا تكذبنها في التقـى 069
ليـــث بعثر يصطاد الرجـــال، إذا * ما الـليث كذب عن أقرانه صدقا 069

حرف القاف المضمومة

مفعوعـم ، صخـب الآذي، منبعـــق 065
صلـى الإله على ابن عمرو إنـه * صـدق اللقاء، وصدق ذلك أوفق 165
من حطمة أقبلت حتت لنا ورقـا * نـمارس العود حتى ينبت الـورق 172
ومسمـــــعتـان وزمـــــارة، * وظـــل مـديد، وحـــصن أنيـــق 075

حرف القاف المكسورة

مـلك أغر من الملوك، تحلبـت * للسائليـــن يـــداه، غير مشفـــق 134

حرف الكاف المضمومة

كأنـــــــها، وهي تهاوى تهتلـك * شمس بظل، ذا بهذا يأتفـك 072

حرف اللاّم المفتوحة

053 تَجِيـــشُ عَلَيْنَا قِـــدْرُهُمْ قَدِيمُهَـــا * ونَقْتَـــوُهَا عَـــنًّا إِذَا حَمِيُهَا غَلَـــــى
027 أَخَـــا الحَـرْبِ لَبَّاسًا إِلَيْهَا جِـــلاَلَهَـــا * ولَيْـــسَ بِوَلاَّجِ الـــخَوَالِفِ أَعْقَـــلاَ
064 قَـــعَلَّكَ لَـــوْ تُبْدِلُنَا صَـــــــخُوبَـــا * تَـــرُدُّ الأَمْـــرَدَ المُخْتَارَ كَهْـــلاَ
70،69 كَذَبَتْـــكَ عَيْنُكَ، أَمْ رَأَيْـــتَ بِوَاسِـــطٍ * غَلَـــسَ الظَّلاَمِ، مِنَ الرَّبَابِ، خَيَـــالاَ؟
084 غَـــرَائِبٌ قَـــدْ عُـــرِفْنَ بِكُلِّ أُفْـــقٍ * مِـــنَ الآفَـــاقِ تُقْتَعَـــلُ اقْتِعَـــالاَ
087 تَحَنَّـنَ عَلَـــيَّ، هَـــدَاكَ المَلِيـــكُ !* فَـــإِنَّ لِكُـــلِّ مَـــقَامٍ مَقَـــالاَ
135 فَـــهُوَ الَّذِي يَبْنِـــي الطِّبَاعَ قَوِيمَـــةً * وهُـــوَ الَّذِي يَبْنِي النُّفُوسَ عُـــدُولاَ
135 ويُقِيـــمُ مَنْطِـــقَ كُلِّ أَعْـــوَجَ مَنْطِقٍ * ويُـــرِيـــهِ رَأْيًا فِي الأُمُورِ أَصِيـــلاَ
136 وإِذَا الـــمُعَلِّمُ لَمْ يَكُـــنْ عَـــدْلاً، مَشَـــى * رُوحُ الـــعَدَالَةِ فِي الشَّبَابِ ضَئِيـــلاَ
136 وإِذَا الـــمُعَلِّمُ سَـــاءَ لَحْظَ بَصِيـــرَةٍ * جَاءَتْ عَلَـــى يَـــدِهِ البَصَائِرُ حُـــوَلاَ
136 وَإِذَا أَتَـــى الإِرْشَادُ مِنْ سَبَبِ الهَوَى * ومِـــنَ الغُرُورِ، فَسَمِّهِ التَّضْلِيـــلاَ
101 فَأَبُـــوكَ أَحْزَمُهُـــمْ، وأَنْتَ أَمِيرُهُـــمْ * وأَشَـــدُّهُـــمْ عِنْدَ العَزَائِمِ جُـــوَلاَ

حرف اللاّم المضمومة

031 ولِلـــوَقْـــرِ مِثْـــلاَفٌ، ولِلْحَمْـــدِ جَامِـــعٌ * ولِلشَّرِّ تَـــرَّاكٌ، ولِلْخَيْرِ قَاعِـــلُ
074 دَعَـــوْتُ اللهَ، حَتَّـــى خِفْـــتُ أَنْ لاَ * يَكُـــونَ اللهُ يَسْمَـــعُ مَا أَقُـــولُ
079 أَخَـــذْتُ بِنَجْدٍ مَا أَخَـــذْتُ غُلَبَّـــةً * وبِالـــغَوْرِ لِي عِـــزٌّ أَشَمُّ طَوِيـــلُ
134 فَإِنِّـــي ذُو مُحَافَظَـــةٍ لِقَوْمِـــي * إِذَا شَفِقَـــتْ عَلَى الـــرِّزْقِ العِيَـــالُ

حرف اللاّم المكسورة

113 تَلْعَـــبَ بَاعِثُ يِذْمَّـــةِ خَالِـــدِ * وأَوْدَى عِصَامُ فِي الخُطُوبِ الأَوَائِلِ
029 قَالَـــتْ سُلَيْمَى: لَسْتَ بِالحَـــادِي المُدِلِّ * مَالَـــكَ لاَ تَلْـــزَمُ أَعْـــضَادَ الإِبِـــلِ
054 تَـــعَادَى بِنَا أَقْـــرَاسُنَا كُلَّ شَطْبَـــةٍ * عَـــنُودٍ وجَيَّاشِ الـــعِنَانِ مُنَاقِـــلِ
064 مِـــكَرٍّ مِفَـــرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِـــرٍ مَعًـــا * كَـــجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَـــلِ
113 قَـــدْ بِتُّ أَلْعِبُهَا وَهْنًا وتُلْعِبُنِـــي * ثُمَّ انْصَـــرَفْتُ وهِيَ مِنِّي عَلَى بَـــالِ
138 شَرِبْـــتُ الإِثْـــمَ حَتَّى ضَلَّ عَقْلِـــي * كَـــذَاكَ الإِثْـــمُ تَذْهَـــبُ بِالعُقُـــولِ
150 نَامَـــتْ خَلاَخِلُهَا وَجَـــالَ وِشَاحُـــهَا * وجَـــرَى الوِشَاحُ عَلَى كَثِيبٍ أَهْيَـــلِ
150 فَاسْتَيْقَظَـــتْ مِنْهُ قَلاَئِـــدُهَا التِـــي * عُقِـــدَتْ عَلَى جِيدِ الـــغَزَالِ الأَكْحَـــلِ
169 إِذَا قَامَتَا تَضَـــوَّعَ المِسْكُ مِنْهُمَـــا * نَسِيـــمَ الصَّبَا جَـــاءَتْ بِرَيَّا القَرَنْفُـــلِ
015 مِـــمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ وَهُـــنَّ عَوَاقِـــدُ * حُبُكَ النِّطَاقِ فَشَـــبَّ غَيْرَ مُهَبَّـــلِ
082 .... * يَتَضَحْـــنَ فِي حَافَاتِهِ بِالأَبْـــوَالِ

حرف اللاّم السّاكنة

فَعَّـــالُ أوْ مِفْعَـــالُ، أو فَعُـــــولُ * فِـــي كَثْـرَةٍ عَنْ "فَاعِلٍ" بَدِيـــــلْ 021
فَيَسْتَحِـــــقُّ مَالُهُ مِـــنْ عَمَـــــلْ * وَفِـــي "فَعِيـــــلٍ" قَلَّ ذَا "وفَعِـــلْ" 021
سَأَلْتُنِـــي عَنْ أُنَـــاسٍ هَلَكُـــــوا * شَـــرِبَ الـــدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَـــلْ 077
قُلْـــتُ لِـــقَوْمٍ خَرَجُوا هَذَا لِيـــــلْ * اَحْتَـــذِرُوا لا يَلْقَكُمْ طَمَالِيـــــلْ 154
سَيَجْرُفُـــكَ السَّيْلُ سَيْلُ الدِّمَـــــا * وَيَأْكُلُكَ الـــعَاصِفُ المُشْتَعِـــلْ 082
ذِكْرُ شَيْءٍ، يَا سُلَيْمَى، قَدْ مَضَـــى * وَوُشَاةٌ يَنْطِقُـــــونَ المُقْتَعَـــلْ 085

حرف الميم المفتوحة

مُطَـوَّقَةٌ خَطْبَاءُ تَسْجَـــعُ كُلَّمَـــا * دَنَا الصَّيْفُ وانْجَالَ الرَّبِيعُ فَأَنْجَمَا 101
لَعِبْتُ عَلَى أَكْتَافِهِمْ وَجُـــحُورِهِـــمْ * وَلِيدًا، وَسَمَّوْنِـــي لَبِيدًا وَعَاصِمَـــا 114
حَـــذَارِ حَذَارِ مِنْ قَـــوَارِسَ دَارِمٍ * أَبَا خَـالِـدٍ مِنْ قَبْـــلِ أَنْ تَتَنَدَّمَـــا 154
فَغَدَوْنَا عَلَيْهِمْ بُـكْرَةَ الـــــورْ * دِ كَمَا تُورِدُ النَّضِيـحَ الـــهِيَامَـــا 082
..... * أَعْـــدَدْتَ لِلْكُفَّـــارِ فِي القِيَامَـــــهْ 056

حرف الميم المضمومة

أَوْ مِسْحَلٍ شَنِجٌ عِضَادَةَ سَمْحَـــــجٍ * بِسَرَاتِـــهِ نَدَبٌ لَهَا وَكُلُـــــــومُ 29،28
وَأُرِثْتِـــي بَلْوَ الغَلْبَاءِ مَجْـــــدًا * حَـــدِيثًا، بَعْـدَ مَـجْدِهِمُ القَدِيـــــمُ 080
فَتَعَرَّفُونِـــي، إِنَّنِي أَنَادَاكُـــــــمُ * شَـــاكِ سِلاَحِـــي فِي الحَوَادِثِ مُعْلِمُ 105
عَـــرَفْتُ أَنْ لاَ يَفُوتَ اللهَ ذُو قَـــدَمٍ * وَأَنَّـهُ مِـنْ أَمِيـرِ الـسُّوءِ مُنْتَقِـــمُ 119
بِلاَدِي وَإِنْ جَارَتْ عَلَيَّ فَهِيَ عَزِيزَةٌ * وَقَوْمِي وَإِنْ ضَنُّوا عَلَيَّ فَهُمْ كِـرَامُ 121
..... * يَصُـــكُّ خُـــدُودَهَا وَجَـعٌ أَلِيـــمُ 132
تَجَنَّبْـــتُ هِـجْرَانَ الـــحَبِيبِ تَأَثُّمـا * إِلاَّ إِنَّ هِـــجْرَانَ الحَبِيبِ هُـوَ الإِثْـمُ 138
فَأَمَّـــا إِذَا عَضَّـــتْ بِكَ الحَرْبُ عَضَّةً * فَإِنَّكَ مَعْطُـــوفٌ عَلَيْكَ رَحِيـــمٌ 145
إِذَا نَحْـنُ سِرْنَا بَيْـنَ شَرْقٍ وَمَـغْرِبٍ * تَحَـرَّكَ يَقْظَانُ التُّرَابِ وَنَائِمُـــهْ 151

حرف الميم المكسورة

الشَّاتِمَـــيْ عِـــرْضِي وَلَمْ أَشْتِمْهُمَـا * وَالنَّاذِرِيـنَ – إِذَا لَمْ أَلْقَهُمَا- دَمِـــي 014
حَرَاجِيـجُ مِمَّا ذَمَّرَتْ فِي نِتَاجِهَـــا * بِنَاحِيَـــةِ الشَّجْرِ الغُرَيْرِ وَشَدْقَـــمِ 052
وَمَـــنْ هَابَ أَسْبَابَ الـمَنَايَا يَلْقَهَـــا *وَلَـوْ رَامَ أَسْبَـابَ الـــسَّمَاءِ بِسُلَّـمِ 095
أَنِخْـنَ لِتَهْجِيـــرٍ، وَقَدْ وَقَدَ الـحَصَى * وَدَابَ لُعَابُ الشَّمْسِ فَوْقَ الجَمَاجِمِ 114
أَلْحَقَـتْ مَا اسْتَلْعَبَـتْ بِالَّـــــذِي * قَـدْ أَنَى، إِذْ حَانَ وَقْتُ الـصِّـرَامِ 114
وَمَـهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ * وَإِنْ خَالَهَـا تُخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ 129

ولَمْ يَـــكُ فَظًّـــا قَاطِـــعًا لِـقَرَابَـــــــةٍ * ولَكِـنْ وَصُولاً للقَرَابَـــــةِ ذَا رُحْـــم 145
مَـاذَا هُنَالِـكَ مِـــنْ أُسْـــوَانَ مُكْتَئِـــبٍ * وسَاهِـــــفٍ فِي صَعْـدَةٍ حَطِـــــم 172
حَتَّـــى شَآهَـــا كَلِيـــلٌ مَوْهِنًـــا، عَمِـلٌ * بَاتَـتْ طِـرَابًا وبَاتَ اللَّيْـلُ لَمْ يَنَـــم 027
وكُـلُّ جَمَـــالَ لِلِـــزَّوَالِ مَآلُـــــهٌ * وكُـــلُّ ظَلُومٍ سَـوْفَ يُبْلَـى بْظَالِـم 034
تَهْـوَى حَيَاتِـي، وأَهْـوَى مَوْتَهَا شَفَقًـا * والمَـوْتُ أَكْـرَمُ نُـزَّالٍ عَلَى الحُـرَمِ 134
لِسَـــانُ الفَتَى نِصْفٌ ونِصْـفٌ فُـــؤَادُهُ * فَلَـمْ يَبْـقَ إِلاَّ صُـورَةُ اللَّحْمِ والـدَّمِ 147
فَـأَوْرَدَهَـــا عَيْنًا مِـنَ السَّيْـــفِ رَيَّـــةً * بِـــهِ بُـــرْءٌ مِثْـــلُ القَسِيلِ المُكَمَّـم 169

حرف الميم السّاكنة

أَعْطَـــاكَ يَا زَيْـدُ الذِي يُعْطِي النَّعَـــمْ 089
مِـــنْ غَيْـــرِ تَمَنُّـــنٍ ولا عَـــــدَمْ 089
بَـــوَائِكَا لَمْ تَنْتَجِـــعْ مَعَ الغَنَـــــمْ 089
فَكَـــمْ مَا تَرَيْـــنَ امْـــرَأً رَاشِـــــدًا * تَبَيَّـــنَ ثُمَّ انْتَهَـــى، إِذْ قَـــــدِمْ 120
وإِنْ يَـــكُ قَـــوْمٌ قَدْ أُصِيبُـــوا، فَإِنَّهُـمْ * بَنَـــوْا لَكُـمْ خَيْـــرَ البَنِيَّـــةِ والقَـدَمْ 119

حرف النّون المفتوحة

وقَبْلَـــكَ مَا أَغْلَوْلَبَـــتْ تَغْلِـــــبٌ * بِغَلْبَـــاءَ تَغْلِـــبُ مُـــغْلَوْلَبِينَـــا 080
قَـــصَالُوا صَـــوْلَهُمْ فِيمَـــنْ يَلِيهِـــمْ * وَصُلْنَـــا صَـــوْلَنَا فِيمَنْ يَلِينَـــا 098
أَوْ تَتْـــرُكَنَّ إِلَى الـــقِسِّيسِ هِـــجْرَتَكُمْ * ومَسْحَكُـــمْ صُلْبَكُـمْ رَخْمَانَ قُرْبَانَـا 144

حرف النّون المضمومة

وكُـــنْ عَلَـى الـــخَيْرِ مِعْوَانًا لِذِي أَمَـلٍ * يَرْجُـــو نَـــدَاكَ، فَإِنَّ الحُرَّ مِعْوَانُ 031

حرف النون المكسورة

وقَـــدْ قَطَعْنَـــا الـــرَّمْلَ غَيْرَ حَبْلَيْـــنِ * حَبْلَـيَّ زَرُودٍ ونَقَـــا الأَغَـــرَّيْنِ 052
وخَلَطَـــتْ كُـــلُّ دِلاَثٍ عَلْجَـــــنِ * تَخْلِيـــطَ خَرْقَاءِ الـــيَدَيْنِ خَلْبَـــنِ 067
وَيْـــلٌ لأُلْبَـــانِ الـــعَجُوزِ مِنِّـــي 075
إِذَا دَنَـــوْتُ أَوْ دَنَـــوْنَ مِنِّـــي 075
كَأَنَّنِـــي سَمَعْمَـــعُ مِنْ جِـــنِّ 075
رَبَّـــاءُ مَرْقَبَـــةٍ، مَنَّـــاعُ مَعْلَبَـــةٍ * رَكَّـــابُ سَلْهَبَةٍ، قَطَّاعُ أَقْـــرَانِ 079
لَـــوْلاَ فَـــوَارِسُ تَغْلِـــبَ ابْنَـــةِ وَائِـلٍ * وَرَدَ عَلَيْـــكَ العَدُوُّ كُلَّ مَكَـــانِ 080
بُـــورِكَ المَيِّتُ الـــغَرِيبُ، كَمَا بُـــو * رِكَ نَضْـــحٌ الـــرُّمَّانِ والـــزَّيْتُـــونِ 083

حرف النّون السّاكنة

وخَـــانَ الـــزَّمَانُ أَبَـــا مَالِـــكٍ * وأَيُّ امْـــرِئٍ لَمْ يَخُنْـــهُ الزَّمَـــنْ ؟ 055

حرف الهاء المفتوحة

وتَهْـوي إذَا الـعِيسُ الـعِنَاقُ تَفاضَلَـتْ * هُـويَّ قَدُومِ الـقَيْنِ حِينَ فِعَالِهَـ 085
تَـدَلَّى عَلَيْهَـا بَيْنَ سِـبٍّ وخَيْطَـةٍ * يـجَرْدَاءَ مِثْلِ الوَكْفِ، يَكْبُو غُرَابُهَ 095
رَحَـلْتُ سُمَيَّـةَ غُـدْوَةً أَجْمَالَهَـا * غَضْبَـى عَلَيْكَ فَمَا تَقُولُ بَدَالَهَـ 169
أَعْطَيْـتَ فِيهَا طَائِـعًا، أَوْكَارَهَـا * حَدِيقَـةً غَلْبَـاءَ فِـي جِدَارِهَـ 080
غَلَـبَ الـمَسَامِيحَ الوَلِيدُ سَمَاحَـةً * وكَفَـى قُرَيْشَ المُعْضِلاَتِ وَسَادَهَـ 123

حرف الهاء المكسورة

قُـلْ لِلإِمَـامِ الـمُقْتَدِي بِأُمِّـهِ: 056
مَا قَاسِـمُ دُونَ مَـدَى ابْنِ أُمِّـهِ، 056
فَقَـدْ رَضِيَنَـاهُ فَقُمْ فَسَمِّـهِ. 057

حرف الياء المكسورة

لَـوْ قَـدْ حَدَاهُـنَّ أَبُو الجُـودِيِّ، 168
بِرَجَـزٍ مُسْحَنْفِـرِ الـرَّوِيِّ، 168
مُسْتَوِيَـاتٍ كَنَـوَى البُـرَنِيِّ. 168

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس مصادر البحث ومراجعه[1]

1- القرآن الكريم برواية وَرش.

2- الإبراهيمي: (محمد البشير)

-عيون البصائر، الشركة الوطنية للنّشر والتوزيع الجزائر، د، ت، د.ط.

3- الأستراباذي: (رضي الدّين محمد بن الحسين الأستراباذي النحوي).

شرح شافية بن الحاجب في الصّرف، تحقيق وضبط وشرح محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدّين عبد الحميد. دار الكتاب العلمية -بيروت- ط1/1982.

4- أنيس: (إبراهيم).

من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية. جامعة القاهرة، ط7/ 1985.

5- التبريزي: (الخطيب)

-شرح القصائد العشر، تحقيق الدكتور فخر الدّين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة -بيروت- ط3/1979.

6- تُركي (رابح)

-الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ط3/1981.

7- ابن جِنّي: (أبو الفتح عثمان)

-المنصف، شرحٌ لكتاب التصريف للإمام عثمان المازني النَّحوي البصري، تحقيق لجنة من الأستاذين: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده القاهرة، ط1/1954.

8- حسن: (عباس)

-النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط3/1974.

9- الراجحي: (عبده)

-التطبيق الصرفي، دار المعرفة، الجامعة الإسكندرية - مصر- ط1/1988.

10- زكريا: (مفدي).

-اللّهب المقدّس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ط1/1983.

11- الزُّوزني: (أبو عبد الله الحُسَيْن بن أحمد الحُسين الزوزني).

[1] - اعتمدتُ في ترتيب مصادر البحث ومراجعه، على ما اشتهر به مؤلف الكتاب أو الكتب، سواء اسمه أو كنيته أو لقبه، وذلك حسب ما عرف به لدى الباحثين، كما أنني فضلت طريقة إثبات أسماء مؤلفي الكتب -وهي الطريقة العلمية المفضلة عند أغلب الباحثين- بدلا من الاعتماد على طريقة إثبات أسماء الكتب ثم أسماء مؤلفيها، كما أن لبعض المؤلفين أكثر من كتاب، رغم أنني اعتمدت في أغلب هوامش الرسالة على إثبات اسم الكتاب فقط، طلبا للاختصار.

-شرح المعلقات السبع للإمام الأديب القاضي المحقّق أبي عبد الله الحُسَيْن بن أحمد الحُسين الزوزني. ضبطه وكتب مقدمته وتراجمه وتعليقاته محمد علي حمد الله، نشر وتوزيع المكتبة الأموية بدمشق المطبعة التعاونية /1963 د. ط.

12- الزمخشري: (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر)

- أساس البلاغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط3/ 1985.

- الكشّاف عن حقائق عوامل التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل رتّبه وضبطه وصحّحه مصطفى حسن أحمد، دار الكتاب العربي -بيروت-، ط3/1987.

13- ابن السكّيت: (أبو يوسف يعقوب بن إسحاق).

-إصلاح المنطق، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون. دار المعارف بمصر، ط3/1949.

14- سيبويه: (أبو بشر عمرو بن قنبر).

- كتاب سيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام هارون مكتبة الخانجي - القاهرة- ط3/1988.

15- سيد: (قطب)

- في ظلال القرآن، دار الشروق بالقاهرة ط12/1986.

16- السّيوطي: (جلال الدّين عبد الرّحمن السّيوطي)

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة صبيح دار التراث، القاهرة، ط3/ د.ت.

- همع الهوامع مع شرح جمع الجوامع، تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية - الكويت- ط1/1979.

17- الشّابي: (أبو القاسم)

-الأعمال الكاملة. الدّار التونسية للنشر- المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر ط 1984.

18- الشنقيطي: (أحمد الأمين).

- شرح المعلّقات العشر وأخبارِ شعرائها د.ت، د.ط.

19- شوقي: (أحمد)

- الشوقيات، دار الكتاب العربي. بيروت، ج1 د.ت، د.ط.

20- الصّابوني: (محمد علي الصّابوني).

- صفوة التّفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت- لبنان. ط4/1981.

21- صقر: (عبد البديع)

- شاعرات العرب: جمع وتحقيق عبد البديع صقر. منشورات المكتب الإسلامي ط1/1967.

22- طه: (حسين).

- مع المتنبي، دار المعارف بمصر ط9 د.ت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

23- ابن عاشور: (محمد الطاهر ابن عاشور).
- تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 د.ط.
24- عبد القاهر: (ابن عبد الرحمن الجرجاني النحوي).
- دلائل الإعجاز طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية الجزائر 1991.
25- عُبيد: (أحمد)
- ذكرى الشاعرين حافظ إبراهيم، أحمد شوقي- تقديم وترتيب أحمد عُبيد- عالم الكتب- بيروت- ط2/ 1985.
26- عتر (نور الدّين).
- منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر للطّباعة والتوزيع والنشر- دمشق- ط3/ 1981.
27- ابن عُصفور: (علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد).
- الممتع في التصريف، تحقيق فخر الدّين قباوة، الدّار العربية للكتاب، طرابلس، ط5/1983.
28- ابن عقيل: (بهاء الدّين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري).
- شرح ألفية ابن مالك، دار التراث بالقاهرة ط20 /1980.
29- علي خليفة: (محمد العيد محمد علي خليفة).
-ديوان محمد العيد محمد علي خليفة -الشركة الوطنية للنشر والتوزيع -الجزائر- مطبعة البعث قسنطينة 1967.
30- أبو علي الفارسي: (الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان).
-التكملة للإيضاح العضدي، تحقيق الدكتور حسن شاذلي فرهود.
-ديوان المطبوعات الجامعية السّاحة المركزية بن عكنون الجزائر 1984 د.ط.
31- غريب: (جورج).
-المتنبي: دراسة عامة، جورج غريب أستاذ الأدب العربي في المعهد الأنطوني دار الثقافة بيروت- لبنان - ط 1983.
32- الغزالي: (محمد).
- الإسلام والطّاقات المعطّلة، نشر الزيتونة للإعلام والنشر باتنة، الجزائر- ط 1987.
33- ابن فارس: (أبو الحسن بن فارس بن زكرياء الرازي).
- الصّاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر- بيروت- ط2/1963.
34- الفيروز أبادي: (مجد الدّين محمد بن يعقوب).
- القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت- ط1/1983.
35- ابن قتيبة: (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري).
- أدب الكاتب، حققه وعلّق على حَوَاشيه ووضع فهارسه محمد الدّالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2/1986.
36- القُرطبي: (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري).
- الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2/1957.

37- كَرُّو: (أبو القاسم محمد كَرُّو).
- الشابي: حياته وشعره. الدّار العربية للكتاب 1984 -طرابلس- الجماهرية العربية الليبية.د.ط.
38- ابن كثير: (عماد الدّين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدّمشقي).
- تفسير القرآن العظيم، أشرف على طبعها وتصحيحها لجنة من العلماء، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت- لبنان- د.ت، د.ط.
39- ابن المقفع: (أبو محمد عبد الله المعروف بابن المقفع).
- الأدب الكبير والأدب الصّغير. دار الجيل- بيروت- لبنان. د.ت، د.ط.
40- ابن منظور: (جلال الدّين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم).
- لسان العرب، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه علي شيرى، دار إحياء التراث العربي -بيروت- ط1/1988.
41- نهر: (هَادِي).
-الصّرف الوافي: دراسة وصفية تطبيقية في الصّرف الجامعة المستنصرة مطبعة العلم العالي بالموصل -بغداد- العراق سنة 1989.
42- ابن هشام: (أبو محمد عبد الله جمال الدّين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام المصري).
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ومعه عُدّة السّالك إلى تحقيق أوضح المسالك، تأليف محمد محيي الدّين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية -صيدا- بيروت، د.ت، د.ط.
- شرح شذور الذهب، شرحه وحققه محمد محيي الدّين عبد الحميد. د.ت، د.ط.
43- ابن يعيش: (موفق الدّين يعيش بن علي بن يعيش).
- شرح المفصّل، مكتبة المتنبي، القاهرة د.ت، د.ط.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأبحاث الواردة بالدوريات العربية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- ابن باديس: (عبد الحميد بن محمد بن مصطفى بن مكي بن باديس).

- مجلة الشّهاب ج1 م5/12 محرّم سنة 1355هـ الموافق لأبريل سنة 1936.

2- محمد: (خلف الله).

- كتاب في أصول اللغة مجموعة القرارات التي أصدرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة من الدورة التاسعة والعشرين إلى الدورة الرابعة والثلاثين في أقيسة اللغة وأوضاعها العامة وفي الألفاظ والأساليب، معلقا عليها ومقرونة بما قدم في شأنها من بحوث ومذكرات.

أخرجها وضبطها وعلق عليها: محمد خلف الله، محمد شوقي أمين/الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية -القاهرة- 1969.

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
الإهـداء	2
المقدمـــة:	3
الفصـــل الأول:	10
المبحث الأول: حظ صيغ المبالغة من الدرس النحوي واللغوي.....	11
المبحث الثاني: صيغ المبالغة بين القياس والسماع.....	20
المبحث الثالث: اشتقاق أبنية المبالغة والقول بتعدد صيغها وأوزانها.....	25
المبحث الرابع: تداخل صيغ المبالغة بغيرها من المشتقات في سياق الاستعمال والأوزان..	33
الفصـــل الثانـــي:	39
مرحلة الاستقراء والإحصاء لصيغ المبالغة القياسي منها والسماعي في عيون البصائر....	40
الفصـــل الثالـــث:	45
مرحلة التحليل اللغوي لهذه الصيغ.....	46
الفصـــل الرابـــع:	47
دراسة تحليلية إفرادية وتركيبية لأبنية المبالغة الواردة في عيون البصائر.	
المبحث الأول: صيغة فَعَّال.....	48
المبحث الثاني: صيغة فَعُول.....	108
المبحث الثالث: صيغة مِفْعَال.....	117
المبحث الرابع: صيغة فَعِيل.....	130
المبحث الخامس: صيغة فَعِل.....	148
المبحث السادس: صيغ أخرى سماعية	163
الخاتمة.....	177
الفهارس العامة.....	188
فهرس الآيات القرآنية.	189
فهرس الأشعار.....	199
فهرس مصادر البحث ومراجعه.....	209
فهرس موضوعات البحث.....	214

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأستاذ عبد الله بوربيع من مواليد 1949 بالحروش ولاية سكيكدة، دخل الكتّاب القرآني منذ السابعة من عمره حتى السنة السادسة عشرة من عمره، حيث انتقل لطلب العلم والمعرفة في المدارس الحرة المنتشرة عبر سكيكدة وقسنطينة منذ سنة 1965 .

ولذلك فهو عصامي اعتمد على نفسه في تكوينه الثقافي والعلمي حيث تحصل على الشهادة الابتدائية سنة 1968 بسكيكدة، وعلى شهادة الأهلية سنة 1969 بسكيكدة أيضا وهو بالخدمة الوطنية بمدينة باتنة آنذاك .

وعندما أنهى خدمته الوطنية في أفريل من سنة 1971 التحق بالتعليم الابتدائي بالحروش حيث كان يُكوّن ويتكون في الوقت نفسه بالجامعة المسائية بقسنطينة حيث نجح في المسابقة للدخول إلى الجامعة سنة 1974، ولم يلتحق بالجامعة حتى 1975 لظروف مادية بحتة، عانى ما عانى خلالها من صراع بين الالتحاق بالجامعة لإتمام الدراسة وبين البقاء مع الأبوين العاجزين المحتاجين -رحمهما الله- إلى من يأخذ بيدهما . وفي الأخير تغلب حب العلم والتعطش إليه على واجب البقاء مع الوالدين وهكذا واصل دراسته بمعهد الأدب والثقافة العربية بجامعة قسنطينة إلى أن تخرج سنة 1979 حيث التحق بالتعليم الثانوي مباشرة وكانت رغبته لا تزال جامحة للعلم حيث راح يعلم بالتعليم الثانوي ويفكر في الالتحاق بالجامعة حيث قيض الله له أن يشارك في مسابقة الدخول إلى جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بقسنطينة سنة 1987 وقد أُختبر في الامتحان الشفهي على يد الشيخ محمد الغزالي والدكتور عمار طالبي -رحمهما الله وأسكنهما فسيح جنانه- فنجح الطالب في هذه المسابقة التي حضر بعدها لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية سنتين نظري وعشر سنوات دراسة تطبيقية ، لقي فيها ما لقي من المتاعب والعقبات خاصة وهو أب لأربعة أطفال وأستاذ بالتعليم الثانوي الذي يتطلب ما يتطلب من جهد وتحضير وتصحيح ونشاط ثقافي حتى وفقه الله للمناقشة في 13 من شهر مارس 1999، وهو من الذين يحملون شعار: (وَإِنَّمَا رَجُلُ الدُّنْيَا وَوَاحِدُهَا مَنْ لَا يُعَوِّلُ عَلَى أَحَدٍ) .

عبد الله . بوربيع .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية